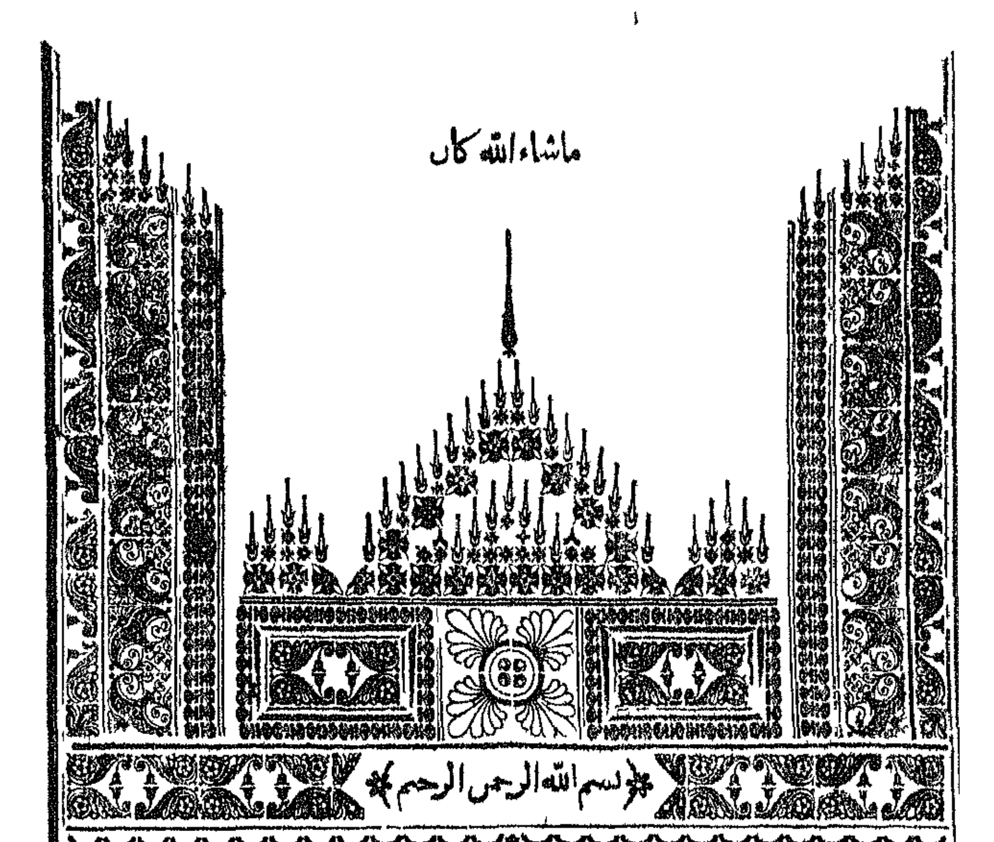
﴿فهرست غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة﴾

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للشيخ
الامام العلامة الاديب المتفنن أبي اسحق
برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي
الكتبي المعروف بالوطواط
رحمه الله تعالى
آمين
م

حلل موشاة وأظهرت نفائس المحاسن في أنواع من البراعة معشاة وأزاهر بيان
بعد والملفظ بها غايات وبروح المعنى بها صاحب آداب وجعلته شاملا للمصائد
سواردها بأهلا من الفضائل أعذب مواردها محتويا من أحرار الألفاظ على درر
منظومة تستضيء الخواطر بلمحات سلكها ومن أسرار المعاني على سر رشته ومنه
تستروح الخواطر بنفحات مسكها

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدر أو شمت لأغنت عن المسك

(وكسوته) من الأشعار بردة رفيعة وأبدعت فيما أودعته فيه من الفكاهات
الرائقة البديعة من نوادر مطربات وأبيات منضدات هي للأوراق شموس
مشرقات ولآلئ أنوارها باهرات ألفاظها أرق من النسيم وأروق من النسيم
(مفرد) كما أزهرت روضات حسن وأثمرت * فأضحت وسجع الطير فيها يغرد
(وجنبته) خرافات الأخبار ومطولات الأسمار لئلا يسأمه عند المطالعة
النفوس ولئلا يكون ذكرها وصحا في غرر الطروس (وجعلته) ستة عشر بابا
تسفر عن وجه الإبداع نقابا وجعلتها متضادة لتضاد الأخلاق والشيم وتباين
الأقدار والهمم كل باب يشتمل على ثلاثة فصول في ثلاثة معان تملك بلطائفها
من أذهان الهمم كل قلب عان وهذه الفصول في الأبواب أجناس وصلت بلآلئ
أنواعها ومعاهد أناس نصبت أشراك النفوس ترباعها فجاءت فصولا تعبر
عن حسان فنونها ومعانيها وتعرب وجه غرائبها وشواردها (وقدمت) في أبواب
المحامد فصلا في مدائحها لينتسم المتأمل عرف اليمن من فواتحها (وأتبعته) فصلا
ثانيا فيما ذكر عن المتحلين بها من أزهار خمائل الأشعار وأبكار عقائل الأفكار
الفائقة باختيارها ودرر الأمثال السائرة الرائقة في اختيارها وهي عن غرر المفاخر
سافرة (وعززت) بثالث في ذم ما ضد من الأخلاق ليتبين بطراز أعلامها أداة البدر
بطراز أعلامه الخسوف والمحاق والشيء بالشيء يعرف فيذكر بعد أن كان يجهل وينكر
فربما تجاذبت الأحاديث أذيالها وطلبت من المعنى أشكالها ولا غرو فالحديث
كما قال شجون وأحسنه ما جد حده ويمسي الهزل مقرون على أني لم آل
جهدا في إضافة كل شيء إلى ما يشاكله ويلائمه ويضاهيه في المعنى ويساهمه مما
يجري في هذا الأسلوب ولا يخرج عن المقصود والمطلوب (ورتبت) فصول أبواب
المدام على العكس من أبواب المحامد والمآثر وأطلعت في دياجي مساويها من
محاسن الملح الأنيق الزاهر ترتيبا الأرباب في جودته أريب ويعرف بما يؤمن به من
كل ما ريب فأبوابه على اختلافها بائتلافها في الحسن نظائر وبعضها لبعض
ضرائر إن ازدهى الحسن بأيامها بقسيمه ووصفه تميس الآخر عن حسن برصفه



الحمد لله الذي جعل اللسان عنوان عقل الانسان وآله لاظهار سر الجنان
بفصيح العبارة وصريح البيان وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المجتبى من سرة
عدنان المبعوث بجوامع الكلم الشاملة لانواع البيان الباهرة بفصاحتها عقول
ذوي الفطن والاذهان والمخصوص بمحاسن الشيم المتممة لمكارم الاخلاق ومزايا
الاحسان والحائز في حلبات الاصطفاء قصبات الرهان وعلى آله وصحبه
فروع شجرته الباسقة الافنان وفراقد سماء رسالته أعيان السادات وسادات
الاعيان صلاة وسلاما دائمين ما دام طرف العلم مقادا بعنان البيان * وبعد *
فاني لما رأيت تغاير معاني الأخلاق دالا على تباين مباني الاعراق والنفوس
تتفاوت في ميلها الى أغراضها على حسب اختلاف جواهرها واعراضها حداني
غرض اختلج في سري وأمل اعتلج في صدري على أن أجمع كلاما في المحامد والمذام
المتعلقة بنفوس الخواص والعوام وأجعله كتابا يغني اللبيب عن الخليل والنديم
ويعمر بالحديث والقديم فشمرت عن ساق الجد وحسرت عن ساعد الكد وعمدت
الى حسان الكتب المجموعة في ضروب الادب فتصفحت مضمونها وتلمحت
فنونها واستنقدت عيونها واستخرجت ابكارها وعونها وجمعت في هذا الكتاب

في الاخلاق أن طبع المطبوع أملك للنفس التي هي محل لاستبطانه اياها وكثر اعانته لها والادب طارئ على المحل عرضي فيه قال الشاعر في ذلك

اذا كان الطباع طباع سوء ❊ فليس بنافع أدب الاديب

(وقال آخر)

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه ❊ يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء فان صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من مخالطة اللئام ورب طبع كريم أفسدته معاشرة الاشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الاخيار (وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن الاخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه وقال بعض الحكماء في وصية لولده يابني احذر مقاربة ذوي الطباع المرذولة لئلا يسرق طبعك من طباعهم وأنت لا تشعر ثم أنشد

واصحب الاخيار وارغب فيهم ❊ رب من صاحبته مثل الجرب

فاذا كان الخليل كريم الاخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فهو في محاسن الشيم يقتدي وبنهج رشده في طرق المكارم يهتدي واذا كان سيئ الاعمال خبيث الاقوال كان المعتبر به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه ويكدي الهواجر ويسهر الليالي الى أن يرتقي شرفات المجد والمعالي فقد قيل من شمر عن ساق الجد وجد مفتاح الجد ومن كلام الثعالبي لا يحصل برد العيش الا بحر النصب ولله در الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي حيث قال

سأعرض عن كل مسألة ❊ يعرض دونها العطب

فان أسلم رجعت وقد ❊ ظفرت وأنجح الطلب

وان أعطب فلا عجب ❊ لكل منية سبب

وقال عمرو بن العاصي المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان وضعها اتضعت وقال الشاعر

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ❊ ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء النفس عزوف غروف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وان أهملتها فسدت وقال الشاعر

وطيب عرفه (مفرد) فذاك لما استتم معناه حسنا * والضد يظهر حسنه الضد
وسددته هدى رجاء أن يصيب صميم الآمال والأغراض وحذرا أن تصرفه
النفوس عند النقد بالصد عنه والإعراض * ووسمته بغرر الخصائص الواضحة
وعرر النقائص الفاضحة * اسم يكون لحلة أدبه طرازا معلما ويكون أسراره معلما
ومعلنا إذ الكتاب لا يعلم ما في باطنه إلا من سمة عنوانه كما أن الإنسان يعلم ما في
قلبه من لمحات وجهه وفلتات لسانه (وأنا راغب) لمن وقف على هذا الكتاب
من سراة الأعيان والكتاب القاطف في أزهار الآداب من جنان الخواطر
العاطف بثمار الألباب في غصان النوادر أن لا يفوّق لهدف الأخيار سهم الإنكار
وأن يحدق إليه بصر الاعتقاد عند الانتقاد فأي جواد لا يكبو وأي مهند لا ينبو
ومع هذا فإن لسان التقصير عن القيام بالعذر قصير والمصنف وإن استفرغ في
تنقيح ما ألف عمره وعقله معرض لطاعن وحاسد إلا أن يتاح له عاذر ومقيل
(مفرد) وإني لأرجو أن يتمم أمره * من الناس حر شأنه الصفح والستر
والله أسأل أن يكسبه قبولا مشرقا يكون به لداء القلوب مشفيا ويكسبه
حسنا ورونقا حتى يكون بعيون العقول مرعيا وللأفهام مرضيا وبه أستعين
على سبيل الرشاد فيما نحاول فهو المعين بهدايته لتحقيق ما رجوت (ولما انتهى)
بنا سوق حديثنا إلى غاية البيان عن المراد وحاز قصب السبق في مضمار النطق
بالسداد رأينا صوابا أن نعقبه بذكر مقدمة في حض الإنسان على الدأب في طلب
المعالي ليظفر بالحظ الأوفر من الشرف المتعالي فتكون أسا لما قصدنا فيه التحرير
والتعبير من الكشف عن ماهية الأخلاق وحقيقة معانيها وكيفية صورها
ومبانيها بقول شاف وتلخيص كاف وهو مما اخترناه من كلام الحكماء الأعلام
أولي البصائر والأحلام (قالوا) الخلق عادة للنفس يفعلها الإنسان بلا روية وهي
نوعان جميل محمود وقبيح مذموم والأخلاق المحمودة وإن كانت في بعض الناس
غريزة فإن الباقين يمكن أن يصيروا إليها بالرياضة والألفة ويرتقوا إليها بالتدريب
والعادة فإنهم وإن لم يكونوا على الخير مطبوعين صاروا به متطبعين والفرق
بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب منفعل والتطبع مجذوب مفتعل فقد
تتأتى بهما مع التكلف وتفترق بأثرهما مع الاسترسال وقد يكون في الناس من
لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الأخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوق إلى
المنقبة وتتأفف من المثلبة لكن سلطان طبعه يأباه عليه واستعصاؤه مع
تكلف ما ندب إليه يختار العطل منها على التحلي ويستثقل الحرب على فواتها
بالتسلي فلا ينفعه التأنيب ولا يدفعه التأديب وسبب ذلك على ما [illegible] المتكلمون

ما كان في الحق أن تأتي بفعالهم ❊ وأنت تحوي من الميراث ما تركوا

(وقال آخر) تزين الفتى أخلاقه وتشينه ❊ وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

(وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي)

وإني رأيت الوسم في خلق الفتى ❊ هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

(وقال أبو الطيب مقتفيا أثره ومصدقا خبره)

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له ❊ إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال بعض من له في الحكمة فضل المقال منبها على ما يدرك به رتبة الكمال الإنسان التام من نزع عن نفسه رذيلة المساوي والملاوم وبذ بجملته المساوي والمقاوم وهذا الحد قلما ينتهي إليه إنسان وإذا انتهى الإنسان إلى هذا كان بالملائكة أشبه منه بالناس لأن الإنسان مضروب بأنواع الشر مستول عليه وعلى طبعه ضروب النقص والكمال وإن كان بعيد المنال فإنه ممكن وذلك أن الإنسان إذا صرف عزيمته وأعطى الاجتهاد حقه كان ممكنا وهو أن يكون راغبا بنفسه مع مناقبه وخصائصه متيقظا لصرف معايبه ونقائصه واردة طرائقه شريعة المكارم الصافية راوية خلائقه في أراد المحامد الصافية مستوعبا كل فضيلة متجنبا كل رذيلة مجتهدا في بلوغ القصوى ودفع النفوس مجانبا وتهوى عاشقا الصورة الجمال مستلذا محاسن الخلال يرى الكمال دون محله والتمام أقل أوصافه وفضله وقد قيل قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنسانا أو إنسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا (قال المتنبي)

ولم أر في عيوب الناس شيئا ❊ كنقص القادرين على التمام

(وقال علي بن مقلة)

وإذا رأيت فتى بأعلى قدره ❊ في شامخ من عزه المترفع

قالت لي النفس العروف بفضلها ❊ ما كان أولاني بهذا الموضع

(والمنهج القويم) الموصل إلى النماء الجميل أن يستعمل الإنسان فكره وتمييزه فيما يتضح عن الأخلاق المحمودة والمذمومة من غيره ويأخذ نفسه بما استحسن منها واستملح وصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل له كفاك تهذيبا وتأديبا لنفسك ترك ما كرهه الناس من غيرك (وقيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته

إذا أعجبتك خلال امرئ ❊ فكنه تكن مثل من يعجبك

وليس على المجد والمكرمات ❊ إذا جئتها حاجب يحجبك

(وقالوا) من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الأحمق بعينه

صبرت على الاداب حتى تولت * وألزمت نفسي هجرها فاستمرت

وجرعتها المكروه حتى تجردت * ولو حملته جملة لاشمأزت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت

وكانت على الآمال نفسي عزيزة * فلما رأت عزمي على الترك ولت

(وقال آخر) والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

(وقالوا) الفخر بالنفس والافعال لا بالاعمام والاخوال وقالوا الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية (وقال عامر بن الطفيل)

واني وان كنت ابن فارس عامر * وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمقنب

(وقال أبو الطيب المتنبي)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

(وقالوا) كن عصاميا لا عظاميا ومعناه لا تفتخر بشرف آبائك ولكن بما يؤثر من أنبائك وعصام المشار اليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان بن المنذر فسئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية والرتبة الحالية فقال

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

وقالوا شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا جمال لشريف نسبه وسخف أدبه (ويحكى في هذا) أن رجلا من بني هاشم تخطى رقاب الناس في مجلس أحمد بن ابي داود فقال له أحمد يا بني الادب ميراث الاشراف ولست أرى عندك من سلفك ميراثا فاستحسن كلامه من حضر مجلسه (شاعر)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق

فأقم لنفسك في انتسابك شاهدا * بحديث مجد للقديم محقق

(آخر) اذا ما الحي عاش بعظم ميت * فذاك العظم حي وهو ميت

ومن يك بيته متقادما * وهدمه فليس لذالك بيت

(ابن الرومي) وما الحسب الموروث لا در دره * بمعتد الا بآخر مكتسب

فلا تتكل الا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب

وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوي حسب

اذا المرء لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس في الحطب

(وقال آخر يهجو رجلا شريفا)

من كان يفخر ماشادت أوائله * فانت تهدم ما شادوا وما ملكوا

لا تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله * فانما دل على جهله

(ويقال) الانسان يضارع الملائكة بقوة الفكر والتمييز ويضارع البهيمة بقوة الشهوة والغذاء فمن صرف همته الى رتبة الفكر والتمييز حتى يرى بهما عاقبة فعله فحقيق أن يلحق بالملائكة فيسمى ملكا لطهارة أخلاقه ومن صرف همته الى رتبة القوة الشهوانية باشار اللذة البدنية يأكل كما تأكل الانعام فحقيق أن يلحق بالبهائم فيصير اما غمرا كثور أو شرها كخنزير أو ضريا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو روّاغا كثعلب أو جامعا لذلك كشيطان ولقد صدق من قال

واذا الفتى ساس الامور بعقله * واعين بالتأديب والتهذيب
نمت الامور به فسير رسابقا * في كل حال مشهد ومغيب

(اللهم) كما خلقت الانسان بقدرتك في أحسن تقويم وأعليته باختصاصك له دروة التكريم وهديته بارادتك نجدي الخير والشر وعرفته بقصائلك في معاني النفع والضر رقص اللهم بجوامع نفوسنا الى اقتفاء آثار الاكارم واقتفاء ما يبعث على حمدها من صنوف المكارم وذد اللهم سوائم طباعنا عن مراتع الملاوم ومرابع ما يتوجه به علينا لوم اللوائم فانك الخذلان والعون وبيدك أزمة المكان والسكون * وهذا أوان الشروع في تمام هذا الكتاب عما أكتبه من زهرات الآداب واختصار أفنان فنونه الدانية القطاف المنسقة بانواع القصص والالطاف

﴿الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول﴾

سعة الاخلاق هبة من الله فاذا أراد الله بعبد خيرا هيأه خلقا حسنا وقال عليه الصلاة والسلام من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب الى لقائه وتنافست في مودته وقالوا أحسن الشيم ما نشأ منه بادرة الكرم (وأوصى) حكيم ولده فقال يا بني ان مكارم اخلاقك تدل على شرفك وطيب أعراقك سمع بعض الاعراب يقول لولده

أبني ان البر شيء هين * وجه طليق وكلام لين

وفي بعض الكتب القديمة الاخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة وقالوا من حسنت أخلاقه طابت أعراقه (وقيل) لبعض الادباء متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال اذا اتقى من خلقه وجاد بما لديه واحتاط من القول أصدقه وحسن في كل الاحوال خلقه فذلك الذي أسرع الى الكمال طرفه (ويقال) ان في التوراة يقول الله تعالى يا موسى لتكن وجهك بساما وكلامك لينا تكن أحب الى الناس والى من يعطيهم الذهب والفضة وقال ابن الرومي

له محيا جميل يستدل به * على جميل وللبطنان ظهران
وقل من ضمنت خيرا طويته * الا وفي وجهه للخير عنوان

(وما أصدق قول القائل)

وما اكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

(وفي بعض الآثار) المروية عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة يكذب رسلك ويجحد آياتك فأوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه

وعلى ذكر الحجاب وان لم يكن من الباب

كانت العرب تقول ما شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم واذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوي الضعيف خير خلال الولاة سهولة الحجاب

وصف أخلاق أهل الوفاق

فلان خلقه كنسيم الاسحار على صفحات الانوار أخلاق قد جمعت الحرية أطرافها وفرشت المروءة أكنافها أخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته وتؤلف الآراء المشتتة في مودته أخلاق هي المسك لولا فأرته والورد لولا مرارته والماء لولا انسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر قد جمع شرف الاخلاق الى طيب الاعراق

له خلق على الايام يصفو * كما رقت على الزمن العقار

الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من الباب الاول

في وصف الاخلاق الحسان المتعلقة بنفوس الاعيان

(قال) الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في الميزان شيء أثقل عند الله من الخلق الحسن وما حسن الله خلق رجل وخلقه فأدخله النار وقال علي كرم الله وجهه نعم الحسب الخلق الحسن وقال الحسن البصري

بث الصنائع في البلاد فإنها * تجني إليه مكارم الأخلاق

(وقال أبو الطيب المتنبي)

تلذ له المروءة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرام

(ولله در القائل)

المجد شهد لا يرى مشتاره * جنيه إلا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه امرؤ * لم يوه عاتقه خفيف المحمل

(وقال علي بن الفضل)

لو يرتقي الدر على جملاته * ما كان يبحث الغائص في طلابه
ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه * إلا وراء الهول من عبابه
من يعشق العلياء يلق عندها * ما يلقى المحب من أحبابه

(وقال الشاعر)

دعني أنل ما لا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل

(وقال الأشعث بن قيس) واسمه معديكرب لقومه إنما أنا رجل منكم ليس لي فضل
عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم وأقضي
حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل هذا فهو مثلي ومن
زاد عليه فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه قيل له وما هذا قال أحضكم على
مكارم الأخلاق

ومن روائع عادات السادات ووشائع سادات العادات

السخاء والنجدة والمروءة فالسخاء التبرع بالنائل قبل إلحاف السائل والنجدة
الذب عن الجار والإقدام عند الكريهة والمروءة حفظ الرجل دينه واحترازه نفسه
عن الدنس إلى غير ذلك من الأخلاق الجميلة التي هي بالمدح كفيلة وسنذكر جملة
منها فيما سيأتي (وقيل) أسباب السؤدد ستة العقل والحلم والصيانة والصدق
والعلم والسخاء وأداء الأمانة وأضيف إلى ذلك الصبر والتواضع والعفاف
فتلك عشرة كاملة في محاسن الشيم شاملة (وقال) ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصحابة أسود من معاوية فقيل له أهو خير من أبي بكر وعمر
قال هما خير منه وهو أسود منهما لحلمه وجوده فيا معشر قريش بعد الحلم والجود
السؤدد (ويحكى) أن رجلا رأى معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال إني
أظن هذا الغلام سيسود قومه فقالت أمه هند ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه

(آخر) خلق سهول المكرمات سهوله * ووعر الأنام من أوعاره
إن لاح فهو الصبح في أنواره * أو فاح فهو الروض في نواره

(المتنبي) صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

(آخر) موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب
تسمو العيون إليه كلما انفرجت * للناس عنه وجوه الأبواب والحجب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

* فصل من مكارم الأخلاق الدالة على طيب الأعراق *

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو ما أوصاه به ربه عز وجل في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وباطنه بشغاف قلبه أثنى عليه بقوله تنويها بفضله الجسيم وإنك لعلى خلق عظيم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه (وقال) الحسين بن مطير يفخر

أحب مكارم الأخلاق جهدي * وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(وقال الأحنف بن قيس) واسمه الضحاك وقيل صخر ألا أدلكم على المحمدة الخلق السجيح والكف عن القبيح (وقال) أكثم بن صيفي لولده يا بني ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب إليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (وقيل) لجمعة بن رافع الدوسي من أكرم الناس قال من إذا قرب منح وإذا بعد مدح وإذا ظلم صفح وإذا ضويق سمح (وقالوا) من الأخلاق التي تزين ولا تشين وتحض على المكرمات وتعين نشر البشر وترك الكبر وصبر الحر وسلامة الصدر (وقال) جعفر ابن محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعا عند الضيق وأعدلهم حكما عند الغضب وأبسطهم وجها عند المسئلة وأرحمهم قلبا إذا سلطوا وأكثرهم صفحا إذا قدر (وقال) عامر العدواني يا معشر عدوان الخير ألوف عروف وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه وإني لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم (وقال) يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فإن الذم قلما ينجو منه أحد ومن رغب في المكارم صبر على المكاره واجتنب المحارم (ويقال) المكارم موصولة بالمكاره فمن أراد مكرمة احتمل مكروها (وقال) أبو الشيص

عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم يكن * سوق الثناء تعد في الأسواق

شمائله فإني رأيت هذا وأناسه يعلمه أهل العلم رأيت خصالاً أعجبتني
رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير وما رأيت
أحداً أجود منه ولا أكرم صلى الله عليه وسلم (وقال) معاوية لا ينبغي للملك
أن يكون كذاباً ولا حديداً ولا بخيلاً ولا جباناً ولا حسوداً فإنه إن كان كذاباً
ووعد بخير لم يرج أو أوعد بشر لم يخف وإن كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية
وإن كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة وإن كان جباناً اجترأ
عليه عدوه وضاعت ثغوره فذل وإن كان حسوداً لم يشرف أحداً ولا تصلح الناس
إلا بأشرافهم (وقال) ليس للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته وليس له
أن يكذب لأن أحداً لا يستكرهه شيئاً ولا أحد يكرهه على ما يريد وليس له أن يكون
حقوداً لأن خطره عظم عن المجازاة (وقال) عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك
أن يظلم وبه يستدفع الظلم ولا أن يجهل ومنه يلتمس الأناة ولا أن يبخل ومنه يتوقع
الجود (وقالوا) ينبغي للملك أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير وحافظاً لا يبلغ البخل
وشجاعاً لا يبلغ التهور ومحترساً لا يبلغ الجبن وقائلاً لا يبلغ الهذر وصموتاً لا يبلغ
العي وحليماً لا يبلغ العجز (وقال) أسماء بن خارجة لا أشاتم أحداً ولا أرد
سائلاً فإنما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه * وروى البيهقي في كتابه
شعب الإيمان بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في
الابن ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن يشاء من
عباده صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان وإعطاء
السائل والمواساة بالنائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم
والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهن الحياء * ومن أخلاقهم صون الوجه بقناع
الحياء وعقل اللسان عن اللجاج والمراء الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد العقل
الصريح وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه تعلم ولائه
المحامد وسبق وجمع من خلال الكمال ما افترق (قال) رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن لكل شيء خلقاً وخلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة وقال الحياء لا يأتي إلا بخير وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قيل كيف ذلك يا رسول الله قال من
حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى وترك زينة الحياة
الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء *

(وقيل) السيد من أروى ناره وحمى معاره ومنع جاره وأدرك ثاره وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا
وعدتم وأدوا الأمانة إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا
أيديكم (وذكر) أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص
فسلم ثم جلس فلم يلبث أن قام فقال معاوية ما أكمل مروءة هذا الفتى قال عمرو
إنه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر إذا لقي وبأحسن
الحديث إذا حدث وبأحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر المؤنة إذا خولف
وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع إلى دينه وترك
مخالطة لئام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر منه (وقال) هشام بن عبد
الملك لخالد بن صفوان بم بلغ بكم الأحنف ما بلغ قال إن شئت أخبرتك بخلة واحدة
وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث قال فما الخلة قال كان أقوى الناس على نفسه
قال وما الخلتان قال كان موقى الشر ملقى الخير قال فما الثلاث قال كان لا يحسد
ولا يبخل ولا يبغي (وقال) رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا
ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي قال وما ذاك
قال بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك (وقال) عبد الملك
لبنيه كلكم يترشح لهذا الأمر ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ومال مبذول
ولسان معسول وعدل تطمئن إليه القلوب وأمن تستقر به في مضاجعها الجنوب
(وقيل) لقيس بن عاصم المنقري بم سدت قومك قال ببذل القرى وترك المرا
ونصرة المولى (وروي) عن علي رضي الله عنه قال لما أتينا بسبايا طيئ كانت في
النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء لمياء جمة الخصر هضيمة الكشح مصقولة المتن
فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنسيت عقلها ما رأيته من جمالها فكان
من كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تمن علي وتخلي
عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومها إن أبي كان يحمي الذمار
ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة
أبدا فقال عليه الصلاة والسلام من أبوها فقالوا حاتم طيئ فقال عليه الصلاة والسلام
لو كان أبوها مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ثم
قال للمسلمين ما جاريت أسمها ومروءة أعتقها عن التهمة والاصطناع فلو وعوا لعقلت
فقالوا يا رسول الله أمرنا لأمرك تبع فاصنع ما بدا لك فقال أعطي أصحابي وأهلك
أعدائي وأبدل الأنصار بالسداد عصابة وأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجعت إلى أخيها عدي وكان بدومة الجندل فقالت ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك

طالب رضي الله تعالى عنهم

يغضي حياءً ويغضى من مهابته * فلا يكلم إلا حين يبتسم

(لليلى الأخيلية في توبة الحميري)

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

(ولابن المعتز) ويظل صباغ الحياء بخده * فتارة يصفر تاره ويورّد

(وقال آخر) كريم يغض الطرف فضل حيائه * ويدنو وأطراف الرماح دواني

* جوامع مدائح الأخلاق والشيم المحمودة والآلة والكرم *

(مدح) أعرابي رجلاً فقال كان والله يعطي في المكارم غير ضال في طرقها ولا متشاغل بغيرها عنها (وقال آخر) فلان لو وجد الكرم في يد غيره لعلم أنه ضالته (ومدح) أعرابي رجلاً فقال كان والله صحيح النسب محكم الأدب من أي أقطاره أتيته انثنى إليك بكرم فعال وحسن مقال (وذكر) أعرابي رجلاً فقال كأن الألسن والقلوب رضيت له فلا تنعقد إلا على وده ولا تنطق إلا بثنائه وحمده * وقالوا فلان من بحر لا يخاف غمره ومن ماء لا يأتلف كدره وسأل يحيى بن خالد رجلاً عن ابنه الفضل فقال بركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلئ العلم منتثرة من مسارب منطقه (نظم) هذه الكلمات ابراهيم بن هلال الصابي في أبيات يمدح بها الوزير المهلبي

له يد برعت جوداً بنائلها * ومنطق دره في الطرس منتثر

فعالم كامن في بطن راحته * وفي أناملها سحبان مستتر

(وقال زرعة بن شبان مادحا)

مآثره غر وأيامه زهر * وطلعته بدر وراحته بحر

وهذا غاية في التقسيم (وقال ديك الجن) بعضهم مثل ذلك

إن العلا شيمي والبأس من نعمي * والحمد خلط دمي والصدق معشوقي

(وقال النمر بن تولب مفتخرا)

لا يعلم اللامعات اللاقحات معي * ما تحت كشحي ولا يعلمن أسراري

ولا أخون ابن عمي في حليلته * ولا القعيد بأي عي ولا جاري

(وقال آخر يفخر بنفسه وكان دميم الخلق أي قصيرا)

ألم تعلمي يا عمرك الله أنني * كريم على حين الكرام قليل

إذا كنت في القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حتى يقال طويل

فإن لم يكن جسمي طويلاً فإنني * له بالفعال الصالحات وصول

الحياء اسم جامع يدخل فيه الحياء من الله تعالى لان فيه وقف كل ذم ومذمة ووقف
كل مدح (وقال) يزيد بن علي اني لاستحيي من الله تعالى ان أفضي اليه بشيء أخفيه
من غيره * والحياء من الناس يكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح و يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يتقي الله اتقاه الناس * وقيل هو أن يستحيي
منهم في سره كما يستحيي منهم في جهره (وقيل) من المروءة أن لا تعمل شيئا في السر
تستحيي منه في العلانية وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه (وقال)
النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عليك بالحياء والأنفة فانك ان استحييت من الغضاضة
اجتنبت الخساسة وأما استحياء الرجل من نفسه فهو أن لا يأتي في الخلاء الا
ما يأتي في الملا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في
خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان عثمان بن عفان قد خص من
الحياء بأجل السهام ومنح منه بأوفر الاقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأنه تستحيي منه الملائكة الكرام قال الامام مالك رضي الله عنه انه أول من
ضرب الالية في السفر وقالوا من لا يستحيي من نفسه فجدير أن لا يستحيي من غيره
(وقالوا) في حد الحياء التوقي من فعل المساوي خوف الذم و يقال الحياء خوف
المستحيي من تقصير يقع به من غيره هو أفضل منه وقال عمرو بن بحر الجاحظ
الحياء لباس سابغ وحجاب واق وستر من العيب وأخو العفاف وحليف الدين
ورقيب من العصمة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن ارتكاب الارجاس
وسبب الى كل جميل (وقالوا) من عفت أطرافه حسنت أوصافه (وقال) لا ترض
قول امرئ حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترضى عقله ولا ترض عقله حتى ترضى
حياءه فان ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم فاذا قوي الحياء قوي الكرم
واذا ضعف الحياء قوي اللؤم (وقال) بشار بن برد

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفي بطني انطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال بعض الاعراب)

ورب قبيحة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

(وقالوا) لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ولم يرق بالالحاح ماؤه * وقالوا حياء
الوجه بحيائه كما أن حياء الغرس بمائه (وقال) ابن المعتز في كتاب الآداب من كساه
الأدب ثوبه ستر عن الناس عيبه * وقالوا فلان يقطر من أسارير وجهه ماء الحياء
و يبرز لا عذره جادس الطلياء (وقال) الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي

وعدم الانتفاع بها (وأما) قولهم أزنى من قرد فهو قرد بن عمرو بن معاوية الهذلي وقيل هو الحيوان المعروف (وأما) قولهم أظلم من حية فلأنها لا تتخذ لنفسها بيتا بل كل بيت قصدته هرب أهله منه وتركوه لها (وأما) قولهم أحمق من دغة فإنها امرأة بنت مغنج وهو ربيعة بن عجل ومن حمقها أنها تزوجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم فحملت فلما ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان فوضعت فاستهل الوليد فانصرفت إلى الرحل تظن أنها أحدثت فقالت لضرتها يا هنتاه أيفغر الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه ثم مضت الضرة وأخذت الولد إليها وربته وبنو العنبر يعيرون بذلك ويعرفون ببني الجعراء (وأما) قولهم أفقر من ابن المذلق فهو رجل من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد بيتة ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس وفي أبيه يقول الشاعر

فإنك إن ترجو تميما ونفعها * كراجي الندى والعرف عند المذلق

ويروى بالدال المهملة (وأما) قولهم أكذب من فاختة فلأن حكاية صوتها هذا أوان الرطب تقول ذلك والطلع لم يطلع (قال بعضهم)

أكذب من فاختة * تصيح عند الكرب
والطلع لم يبد لها * هذا أوان الرطب

(وقالوا) عشر خصال في أناس أقبح منها في غيرهم الفسق في الملوك والكذب في القضاة والخديعة في العلماء والغضب في الأبرار والغدر في الأشراف والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء والهزء في الفقراء والشح في الأغنياء والفخر في الأعزاء

(الفصل الثاني من الباب الأول في ذكر الصنائع والمآثر) (والمنجية عن اكتساب الأوزار)

(قال) خالد بن صفوان كان الأحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه (لما) ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان بعد موت أبيه من قبل الواثق دخل عليه عبد الله بن خالد بن سعد المعروف بأبي العميثل بقصيدة يمدحه فيها ويهنئه بالولاية خاطبه فيها بقوله

يا من يؤمل أن تكون خصاله * كخصال عبد الله أنصت واسمع
اصدق وعف وبر وانصف واحتمل * واكفف وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن وانتد وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي * وهديت للنهج الأسد المهيع

(آخر) إن كنت ترغب في سنا الكرام فسر * في الناس بالعدل والدين الذي شرعوا

(وقال ابن حبيب التميمي)

اذا ما رفيق لم يكن خلف ناقتي ❊ له مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي ❊ فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى ❊ على له فضلا بما نال من فضلي
(آخر) وما أنا بالساعي بفضل زمامها ❊ لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها ❊ لأبعثها خفا وأترك صاحبي
اذا كنت رب القلوص فلا تدر ❊ رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها وأردفه فان حملتكما ❊ فذاك وان كان العقاب فعاقب

(وقال مالك بن نويرة الفزاري)

لا يبعد الله قوما ان سألتهم ❊ أعطوا وان قلت يا قوم انصروا نصروا
وان أصابتهم نعماء سابغة ❊ لم يبطروها وان فاتتهم صبروا
والكاسرون عظام الاجبار لها ❊ والجابرون عظاما ليس ينكسر

(وقال مروان بن أبي حفصة يمدح آل معن بن زائدة من أبيات)

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا ❊ أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ❊ ولو أحسنوا في النائبات وأجملوا

❊والاسباب المانعة من السيادة سبعة❊

الحداثة والبخل والربا والظلم والحمق والفقر والكذب وأعرف هذه الاسباب فوجدتها قد تفرقت في الاعيان الاماثل والسراة الافاضل (أما الحداثة) فقد ساد أبو جهل وما طرشاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته (وأما البخل) فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من مادر الحاجب وقيل من أبي حباحب (وأما الربا) فقد ساد عامر بن الطفيل وكان أربى من قرد (وأما الظلم) فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية (وأما الحمق) فقد ساد عيينة بن حصن وكان أحمق من دغة (وأما الفقر) فقد ساد أبو طالب وعتبة بن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق (ولا) نعرف في العرب والعجم كذابا ساد غير المهلب بن أبي صفرة فانه كان أكذب من فاختة وكان اذا أخذ في الحديث يقول أصحابه راح يكذب

❊شرح ما ذكر من الامثال الواقعة في هذا الباب❊

(أما) سيادة أبي جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة نادي سادات قريش لا يدخلها الا مسود (وأما) قولهم أبخل من أبي حباحب على احدى الروايتين فهو رجل من العرب كان لا يوقد نارا ضعيفة فاذا أبصرها مستضيء أطفأها وعلى الرواية الاخرى فهي النار التي تقدحها الخيل بحوافرها وتوصف بالبخل لقلتها

أكرمك ألم أشرفك قال بلى قال فكان جزائي منك أن أجرت عدوي قال وماذاك أيها
الأمير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلح الله الأمير أجر واحدة من اثنتين لي فيهما
مراء إما أن أثلج صدرك بيمين أو ترسل رجلاً من ثقاتك يفتش منازلي قال وتحلف قال
نعم فأحلفه بطلاق زوجته وعتق عبيده ومشيه إلى مكة راجلاً حافياً فحلف له ثم
انصرف إلى منزله وأعلم زوجته فاعتزلت عنه وقالت له لا تنقطع عني لئلا يشعر بك
فلما عزل صالح عن مصر ورجع إلى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته وأعتق
رقيقه ومشى إلى مكة كما شرط عليه (ولما) كان يوم فتح مكة لجأ الحرث بن هشام إلى منزل
أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستجيراً بها فدخل عليها علي على خبرته
الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت أم هانئ يا ابن أمي قد أجرته فلم يلتفت إلى قولها
فوثبت فقبضت على يده وقالت والله لا تقتله وقد أجرته فلم يقدر على أن يرفع قدمه
عن الأرض وجعل يفلت منها ولا يقدر فدخل النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقالت
يا رسول الله ألا ترى ابن أمي أجرت فلاناً فأراد علي أن يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أجرنا من أجرت ولا تغضبي علياً فإن الله يغضب لغضبه أطلقي عنه فأطلقت
عنه فقال عليه الصلاة والسلام يا علي غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت
أن أرفع قدمي من الأرض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو أن أبا طالب ولد
الناس كانوا شجعاناً (ومن أحسن ما يحكى في هذا الباب) أهدر المهدي دم رجل كان
يسعى في فساد دولته وجعل لمن يدله أو يأتيه به مائة ألف درهم فاختفى الرجل زماناً
ثم ظهر متنكراً خائفاً يترقب فبصر به رجل في بعض دروب بغداد فعرفه وأخذ بيده
وقال بغية أمير المؤمنين فاجتمع الناس عليه وتعاونوا على أن يطلقوه منه فلم يقدروا
فبينما هو في تلك الحالة إذ مر معن بن زائدة فناداه يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف
الرجل وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي جعل لمن
يدله أو يأتيه به مائة ألف درهم فقال معن لبعض غلمانه انزل عن دابتك واحمله
عليها وانطلق به إلى منزلي فقال الرجل أتحول بيني وبين بغية أمير المؤمنين فقال معن
اذهب إلى أمير المؤمنين وأخبره أنه عندي فذهب الرجل وأوصل الخبر إلى المهدي
فبعث إليه من يحضره فركب معن وقال لمن حوله من غلمانه في منزله لا يخلص إلى
هذا الرجل أحد ومنكم عين تطرف فلما دخل على المهدي سلم فلم يرد عليه السلام
وقال له أتجير علي قال نعم قال ونعم أيضاً فقال معن يا أمير المؤمنين لقد قتلت في طاعتكم
باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً في أيام كثيرة عرف فيها بلائي وعنائي فما
رأيتموني أهلاً أن يوهب لي رجل واحد استجار بي فأطرق المهدي ملياً ثم رفع رأسه
وقد سري عنه وقال لقد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد فقال معن فإن رأى أمير المؤمنين

حافظ إذا غدروا وأشجع إذا جبنوا * وأحلم إذا جهلوا وأبذل إذا منعوا

﴿ومن مآثر ذوي الكرم في الجوار الذب عن النزيل وحفظ الجار﴾

كما أن الكريم يرعى حق اللحظ ويحفظ حرمة اللفظ (وقالوا) وجه الكريم جنة وكلمته جنة * كان بعض الهاشميين إذا نزل به جار قال له يا هذا إنك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك علي دونك فاحتكم علي حكم الصبي على أهله وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها وذلك أن الصبي إذا كان عزيزا في أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويقصر عنه فهم أبدا يسعون في تحصيل أغراضه وآرابه ليظفر بأربابه ويقدموه على أترابه (وكان) حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل بفنائه جراد فجاء أهل الحي إليه ليأخذوه فمنعهم منه وقال لهم ما تريدون منه قالوا نريد قتله فإنه نزل بجوارك فقال أما إذ سميتموه جاري فوالله لا تصلون إليه أبدا وطردهم عنه (وكان) ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير وكانت الطير لا تصاد بأرضه ولا تنفر (وحكي) أن زيادا الأعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على ابنه حبيب فبينما يشربان في بستان إذ وقعت حمامة على غصن شجرة فهدرت فهاج زياد فقال له حبيب ارمها فأرادها فقال إني كنت أراه معها فقال زياد هو أشد لشوقها ثم أنشد

تغني أنت في ذممي وعهدي * وذمة والدي إن لا تضاري
وبيتك أصلحيه ولا تخافي * على زغب مصغرة صغار
فإنك كلما غنيت صوتا * ذكرت أحبتي وذكرت داري
فإما يقتلوك طلبت ثأرا * لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها سهما فأصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت يا ابن بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه إلى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار أبي أمامة جاري وذمته ذمتي والله لأغرمنك دية الحر وأخذ له من ماله ألف دينار وقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية * قضى لي بها شيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجار أجرته * من الطير إذ يبكي شجاه ويندب

(ولما) ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر فأرسل إليهم أبا عون ومحمد بن الأشعث الخزاعي بعسكر فهزما الحكم وبلغ صالح بن علي أن رجاء بن روح دخل مصر واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره وأرسل إليه فحضر فقال ألم

فروا بعطارد بن حاجب بن زرارة بن عدي فسألوه ذلك فقال قولوا شعرا وجدوه فلم
يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأتوا على بني مجاشع فرأوا دقة ملأى إبلا
وبه صعصعة جد الفرزدق وهو يعنيه إبل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل
القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه فأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم
فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة
هذا أول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد
(ومما) يجري مجرى أفراح الناس بالماء القراح ويتعلق به تعلق الآمال
بالراح ما حكاه الجهشياري في كتاب الوزراء أنه لما تفرق الأمر عن مروان بن محمد
الجعدي طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه
الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد
منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشي عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع بما
يكره فقال لهم تثبتوا فإن في عبد الحميد علامات يعرف بها فأرسلوا إلى من أرسلكم من
ينعته وصفها فيه فإنا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات
اشتمل عليها بادنه فأخذ وحمل إلى أبي العباس السفاح فولى عقوبته عبد الجبار
ابن عبد الرحمن فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى
مات وقيل غير ذلك وإنما ذكرته بما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى
(وقريب من هذه الحكاية) ما حكاه صاحب المستجاد قال لما أحرق جامع مصر
ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا لهم خانا كانوا ينتفعون به الريث فقبض
السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع
وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت في يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت في يد رجل
رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا أم لي ما باليت فالتفت إليه شاب
كان إلى جانبه فقال له في رقعتي الجلد ولا أم لي خذ رقعتي وادفع إلي رقعتك فأبى
عليه فأقسم أن لا بد ففعل فقتل هذا وجلد هذا (وحكى) الزبير بن بكار في كتابه
الذي سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل
وسهيل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه كلما دفع إلى رجل منهم
قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه (مسلم بن الوليد) ألمح من هذه حلية

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها ※ والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وقال عمارة بن حمزة)

يبني مضرته لنفع صديقه ※ لا خير في شرف أذاله مع

(البحتري) يحول ذو القربى مرارا وربما ※ وفى لك عند العهد من لا تناسبه

أن يفعله فيكون قد أخطأه وأغناه فقال قد أمر له بخمسين ألفا فقال يا أمير المؤمنين إن صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد أمر له بمائة ألف درهم قال فعجلها له فإن خير البر عاجله فحملت فأخذها وانصرف بها إلى الرجل ولم ير المهدي وجهه (والمثل المضروب) في هذا الباب جار كجار أبي داود * وذلك أن أبا داود نزل بكعب بن مامة وكان كعب إذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وأهله وحماه ممن يقصده وإن هلك له شيء أخلفه عليه وإن مات وداه إلى أهله فجاوره أبو داود الإيادي فتعلم منه فكان يفعل بجاره ما فعل كعب به فضرب به المثل وسمي كعبا (قال) علي بن العباس بن جريج الرومي

هو المرء أما ماله فمحلل * لعاف وأما جاره فمحرم

(وقال شمس بن البرصاء)

وجارا نماد من فناء عزيزة * كما روي نمر لا يحل اصطيادها
نكون علينا نصفها وضمانها * وللجار إن كانت تريد ازديادها

(وقال مروان بن أبي حفصة)

هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم فوق السماكين منزل

(ولآخر) الباذلون الندى والناس باخلة * والمانعون وحق الجار محترم

* ومن صنيع من زكت في الكرم أرومته صون المعتصم بنفسه من عدو يرومه *

(ورد) في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود اسمع مني والحق أقول من لقيني بحسنة واحدة حكمته في جنتي قال داود يارب وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب كربته (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه (ويقال) من كفارات عظائم الذنوب إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب (وقيل) أفضل المعروف إغاثة الملهوف (ومن أمثالهم) رب أخ لك لم تلده أمك (ومن) الأخبار في ذلك ما حكي أن حاتما الطائي مر بأرض عنزة فناداه أسير يا أبا سفانة أكلني القد والإسار والقمل فقال ما أنا بأرض قومي وقد أخطأت إذ نوهت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خل عنه سبيله واجعلني في القيد مكانه ففعل وبعث إلى قومه فأتوه بما فدى به نفسه (وذكر) أن بني كلب بن وبرة أغاروا على حي من أحياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستنجدوا عليهم وقالوا إما الثأر وإما الديات فسألوهم المهلة في ذلك إلى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا أماما أماما وحيا حيا فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا ينفعهم وكانوا زهاء مائة نفس

بأن يدفع اليه ما ترك عنده فلما أصبح قال له ليس الى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بالادراع فدفعها الى ورثة امرئ القيس (وفيه) يقول الاعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ❊ في جحفل كسواد الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله ❊ حصن حصين وجار غير غدار
اذ سامه خطتي خسف فقال له ❊ قل ما بدا لك اني مانع جاري
فقال ثكل وغدر أنت بينهما ❊ فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ❊ اقتل أسيرك اني مانع جاري
فقال تقدمة اذ قام يقتله ❊ أشرف سموأل فانظر في الدم الجاري
أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها ❊ طوعا فأنكر هذا أي انكار
فشك أوداجه والصدر في مضض ❊ عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار أدراعه من أن يسب بها ❊ ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا أشتري عارا بمكرمة ❊ فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق ❊ وزنده في الوفاء الثاقب الواري

(وفي ذلك يقول السموأل مفتخرا)

وفيت بأدرع الكندي اني ❊ اذا ما خان أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا ❊ تهدم يا سموأل ما بنيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا ❊ وماء كلما شئت استقيت

والملك هو الحرث بن شمر الغساني (وحدث) الكندي في كتابه أخبار الامراء بمصر قال لما ولي المطلب بن عبد الله امارة مصر من قبل المأمون حذره أهل مصر من ابراهيم ابن نافع الطائي قبل الوصول اليه أن يثب عليه فطلبه المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان هبيرة بن هشام صاحب شرطة مصر يعرف المكان الذي اختفى فيه وكان ابراهيم بن نافع قد أودع ماله عند هبيرة بن هشام فسعى بهبيرة الى المطلب فاحضره وقال له ادفع الي ما أودعه عندك ابراهيم فقد انتهى الي ان ماله مودع عندك وان لم تأتني به أحدثت ما فيه عقابك فأنكر فأوجعه ضربا وهو يزداد انكارا فلما طال على المطلب جحود هبيرة وخاف عليه المطلب تركه فلما سكن عن ابراهيم الطلب أخرجه هبيرة من مصر سرا ثم أرسل اليه ماله بعد ذلك مع التجار وفيه يقول سعيد بن عفير

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه ❊ هبيرة في الطائي وفاء السموأل

وحسب الفتى من نصحه ووفائه * عفيه أن يؤذى ويسلم صاحبه

(آخر) قوم إذا خالفتهم * لم تخش بائقة الصروف
وإذا وصلت حبالهم * حبلا أمنت من المخوف

(وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يمدح الأمين بحسن العهد والذمم

أصبحت حبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني لما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني

* ومن أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الأمانة *

(قالوا) الوفاء أفضل شمائل الحمد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الإخلاص في الود وأحق الأفعال بالشكر والحمد (وقالوا) الوفاء أتم خلال الجلال وهو نهاية الكمال فمن الخصلة النفيسة وجب المحافظة عليه ولقد صار رسما دارسا وحلة لا تجد لها لابسا ومعرفة قل أن تجد لها مستأنسا ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر * مغرى برعي العهود مصطبر
هذا الذي لا أزال أسمعه * وماله في الزمان من أثر
لو أن كفي عشية ظفرت * قاسمته في المتاع والعمر

(وقالوا) من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق والتزم بنفسه رعي العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق (وقال) بالوفاء تملك القلوب وتستدام الألفة بين المحب والمحبوب (وقالوا) من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من إخوان الصفاء وما أحسن من قال

إذا أنت محضت المودة صافيا * ولم ترع من وصل الصديق مجافيا
ووفيت بالعهد الذي خانه الورى * ولم أرحلوا على العهد باقيا
فقد حزت أسباب المكارم كلها * وجددت للعليا رسوما عوافيا

(وقالوا) الوفاء صفاته كثير حاسدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام (وقالوا) إذا ترك الوفاء نزل البلاء (وقد قال) من أودع الوفاء صدره والرجال ملك أعناقهم (ومن أمثالهم) في ذلك أوفى من السموأل وهو السموأل بن عاديا بن حباء اليهودي صاحب قصر تيماء المسمى بالأبلق الفرد (ومن خبره) أن امرأ القيس كان قاصدا الشام فأودع السموأل أدراعه وكراعه ومات امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده فأبى أن يسلمه له فقال إن لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر وقال أجلني الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار

مصر وهو آخر ملوك بني أمية وكانت دولتهم ثلاثا وتسعين سنة واحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى بها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح فامنه ولم يحط عنده وقال الجهشياري قتل وقد ذكرناه (ومن) أحسن ما تطرب به الاسماع وتلطف به كثيف الطباع ما يحكى ان معاوية بن أبي سفيان تزوج ميسون بنت بحدل ونقلها من البدو الى الشام وكانت كثيرة الحنين الى أناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها يوما فسمعها تنشد

لبيت تخفق الارواح فيه * أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي * أحب الي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني * أحب الي من قط ألوف
وبكر يتبع الاظعان صعب * أحب الي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف * أحب الي من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى * الى نفسي من العيش الظريف
فما أبغي سوى وطني بديلا * فحسبي ذلك من وطن شريف

فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت بي ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا ثم طلقها وردها الى اهلها (ويقال) من الوفاء تشوق الرجل لاخوانه وحنينه الى اوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه وقالوا الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (ويقال) من علامة الكريم ان تكون نفسه الى مولده تواقة والى مسقط رأسه مشتاقة (شاعر)

احب بلاد الله ما بين منعج * الي وسلمى ان يجود سحابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي * واول ارض مس جلدي ترابها

(وقالت) الحكماء ارض الرجل ظئره وداره مهده والغريب كالغرس الذي زايل ارضه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر وفطرة الرجل مجبولة بحب الاوطان مجبولة على تذكار ما مضى من الزمان * وقد ذكر ابن الرومي السبب الموجب لحب الاوطان بقوله

وحبب اوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(وقالوا) ليس في الحيوان السابح اشد وفاء من السمكة فانها اذا فارقت الماء لا تزال تطلبه ولا تألف غيره حتى تموت

﴿ومن محاسن خلال الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف﴾

وقاه المنايا إذ أتته بنفسه * وقد درت في عارض متهلل

(أتى الحجاج) بقوم ممن خرج عليه فأمر بهم فضربت أعناقهم وأقيمت صلاة المغرب وقد بقي من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به علي قال قتيبة فخرجت والرجل معي فلما كنا ببعض الطريق قال لي هل لك في خير قلت وما ذاك قال إني والله ما خرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندي ودائع وأموال فهل لك أن تخلي سبيلي وتأذن لي حتى آتي أهلي وأرد على كل ذي حق حقه وأوصي ولك علي أن أرجع حتى أضع يدي في يدك قال قتيبة فعجبت له وتضاحكت لقوله قال فمضينا هنيهة ثم أعاد علي القول وقال إني أعاهد الله لك على أن أعود إليك قال قتيبة فوالله ما ملكت نفسي حتى قلت له اذهب فلما توارى عني شخصه أسقط في يدي فقلت ماذا صنعت بنفسي وأتيت أهلي مهموما مغموما فسألوني عن شأني فأخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج وبتنا بأطول ليلة فلما كان عند أذان الغداة إذا الباب يطرق فخرجت فإذا أنا بالرجل فقلت أرجعت قال سبحان الله جعلت لك عهد الله علي فأخونك ولا أرجع فقلت أما والله إن استطعت لأنفعنك وانطلقت به حتى أجلسته على باب الحجاج ودخلت فلما رآني قال يا قتيبة أين أسيرك قلت أصلح الله الأمير بالباب وقد اتفقت لي معه قصة عجيبة قال ما هي فحدثته الحديث وأذن له فدخل ثم قال يا قتيبة أتحب أن أهبه لك قلت نعم قال هو لك فانصرف به معك فلما خرجت به قلت له خذ أي طريق شئت فرفع طرفه إلى السماء وقال لك الحمد يا رب وما كلمني بكلمة ولا قال لي أحسنت ولا أسأت فقلت في نفسي مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني وقال لي جزاك الله خيرا أما والله ما ذهب عني ما صنعت ولكن كرهت أن أشرك مع حمد الله حمد أحد (ولما) تفرق الأمر عن مروان بن محمد وآذن بزوال ملكه وغلبة بني هاشم عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى إني قد احتجت أن تكون مع عدوي وتظهر لهم الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إليك تدعوهم إلى حسن الظن بك فإن استطعت أن تنفعني في حياتي وإلا فلا تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي إلا الوفاء حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ثم أنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يشمل الناس ظاهره

فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله سبع وخمسون سنة وقتل ببوصير قرية من صعيد

السر والعلانية مؤثرا وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته
وأشرق نور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

أكل ولاية لا بد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال * على الأيام إحسان وعدل

(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل * وكان كسرى يقيم رجلين من مواليه عن يمينه وشماله إذا أراد النظر في أمور الناس فكان إذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك (وقيل) إنه كتب ثلاث رقاع في إحداها أمسك غضبك فإنك لست بإله وإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة احمل عباد الله على الحق فإنه لا يسعهم إلا ذلك وكان إذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فإذا رآه غضب على أحد ناوله الرقعة الأولى فإن رآه تمادى على غضبه ناوله الثانية فإن لم ينته ناوله الثالثة (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في الموسم فإذا اجتمعوا قال يا أيها الناس إني لم أستعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من أموالكم إنما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فمن كانت له عند أحد مظلمة فليقم * ووصف أعرابي أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل في أقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب مصغ إلى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للغريب ولا مجحف بالقريب (وكان) شمس المعالي قابوس ابن وشمكير عادلا في مملكته كان لا يوقفه شيء عن إقامة الحق عليه ولو أنه أقرب الناس إليه * ووقع جعفر بن يحيى إلى بعض عماله أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه منك من ولي أمرك * ووقع أخوه الفضل بئس الزاد إلى المعاد التعدي على العباد (وسأل) عمر بن عبد العزيز رجلا من جنده عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغني موفورا والفقير مجبورا فقال الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتي * وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له هلا صبرت حتى تستقر بك المنزل فقال الخير سريع الذهاب وخشيت أن أؤخره بعدي وإنما هي فرصة فإن فاتت عم الندم واستصحب الكرم * قال شاعر يمدح مولانا أصحاب مهدة الكرام من الرؤساء الجلة

لا يقدح الظنة في حكمه * شيمته عدل وإنصاف
يمضي إذا لم تلقه شبهة * وفي اعتراض الشك وقاف

(فالعدل) قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وبه وضعت الموازين وهو
المرغوب المألوف المؤمن من كل مخوف به ائتلفت القلوب والتأمت الشعوب
وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وانعقدت عرى اليمن والفلاح وشمل
الناس التناصف والتواصل والتعاطف وهو مأخوذ من الاعتدال الذي هو
القوام والاستواء المتجافيان للميل والالتواء وهو ميزان الله في أرضه الذي يوفى
به الحقوق ويرتفع به الصدوع والفتوق * وحقيقته وضع الأمور في مواضعها
لا يوضع الشدة مكان اللين وضد ذلك ولا السيف مكان السوط وبالعكس من
ذلك وإلى هذا أشار المتنبي في قوله

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

(والإنصاف) هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات
الفاضلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل
واجتناب الرذائل فالإنصاف استظهار والعدل استكثار فيصير الملك بالإنصاف
مستظهرا وبالعدل مستكثرا وما نقص ملك من إنصاف ولا خلا من إسعاف
(وقيل) قيل من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه * وقيل عدل السلطان أنفع
للرعية من خصب الزمان * وروى الثقات بأسانيدهم عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة (وعن) عبد الرحمن بن
عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم
القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا * وقال حكيم لبعض الملوك أيها الملك
اعتبر ملكك بإظهار عدلك وإيثار فضلك لإجمال برك وتمكين عزك وقواعد
مركبك وكثافة موكبك (ويقال) الملك يبقى على العدل والكفر ولا يبقى على
الإيمان والجور وإليه أشار الشاعر بقوله

عليك بالعدل إن وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

(ودخل) عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال
لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون قد وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك فقال إنه أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت
لهما سمعي وبصري وقلبي وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وعما قلت (وقال) إذا
عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد لم ينفعه عدله بجوره (وقال) حق على من
ملكه الله على بلاده وحكمه في عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا
وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرا وللحق في

يا حبذا حين تمسي الريح باردة * وادي الأشاء وفتيان بها هضم
مخدمون كرام في مجالسهم * وفي الرحال إذا صاحبتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم * إلا يزيدهم حبا إلي هم

(وكان) رضي الله عنه إذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت إلى أن قصرت على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي فقالت لي أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها قدرها (واشترى) أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تمرا بدرهم فحمله في ردائه فسأله بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله (وحكى) الشعبي قال ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرني يدك فأخرجها فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (ودخل) بعض الشعراء على الحسن بن زيد فأنشده * الله فرد وابن زيد فرد * فقال بفيك الأثلب الأثلب * الله فرد وابن زيد عبد * ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض (وكان) عبد الله بن عمر إذا سافر مع قوم يحتطب لهم ويطبخ لهم ويسقي لهم ويؤذن لهم (وكان) أبو هريرة خليفة مروان بن الحكم على المدينة فيحتطب ويأتي بالحزمة الحطب على ظهره يشق بها السوق ويقول جاء الأمير حتى يعلم الناس به فيبصرون إليه في حوائجهم (البحتري مادحا)

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تساما * ويدنو الضوء منها والشعاع

(ولآخر) تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * إلى طبقات الجو وهو وضيع

(وكان) ابن مسعود إذا مشى خلفه أحد قال ارجعوا عني فإنها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع (ولما) ولي علي بن عيسى الوزارة وذلك في سنة ثلثمائة رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت إليهم وقال أنا الأمير لي أنه أبى أن تفعلوا هذا أفكيف بتكلفه وما أجرى الإحسان لما علمهم ومنعهم من المشي في ركابه فكأنما عناه أبو تمام بقوله

(ومما اتفق على مدحه الأوائل والأواخر التواضع من خيار الفضائل والمفاخر)
(قالوا) ينبغي لمن عظم قدره وامتثل نهيه وأمره وانتشر في الخافقين ذكره
أن يكون للإعجاب مطرحا وعن الكبر متباعدا ومتزحزحا فإن همة الرجل العاقل
الفاضل شريفة علية وباحتقار ما أوتيت من رياسات الأموال والأعمال ملية
(قال) ذو النون من تطأطأ لقي رطبا ومن تعالى لقي عطبا (وقال) عروة بن الزبير
التواضع من مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها إلا التواضع * ويقال التواضع
في الشرف أشرف من الشرف * ويقال اسمان متفق معناهما ويفترق لفظهما التواضع
والشرف * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والأمة
والمساكين ويقول لو دعيت إلى كراع لأجبت وكان يخصف النعل ويحلب
الشاة ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم إذا أعيت ويأكل
معها ويحمل بضاعته من السوق ويسلم مبتدئا ويصافح الغني والفقير ويباسط
أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وما دعاه أحد
من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك وقال لا تفضلوني على يونس بن متى
ولا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح إن الله اتخذني عبدا
قبل أن يتخذني رسولا وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا ويأكل الحمص
ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (وقال) البراء
ابن عازب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى
التراب شعر صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة
هذا وإنسان بصيرته ينزع عن الإبانة عن علو قدره فيقول أنا سيد ولد آدم آدم ومن
دونه تحت لوائي أنا أول من تنشق عنه الأرض لست كأحدكم إني أظل عند ربي
يطعمني ويسقيني * شرف صرفت أماني الآمال عن بلوغ مداه وقطعت دونه
أيدي الطمع فلا يصل إلى علاه (ولما) ولي أبو بكر الخلافة قال إني وليتكم ولست
بخيركم فبلغ كلامه الحسن البصري فقال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه (وسئل)
بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا في زي مسكين (وقال) ابن
عباس كان أبو بكر رضي الله عنه كثيرا ما ينشد

إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس رأفته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

(آخر) إن السعيد الذي عمت سيادته * فتى يفر من الدنيا إلى الدين
يصد بالطرف منه عن زخارفها * فيغتدي ملكا في زي مسكين

(وقال المرار بن المنقذ العدوي)

من لباس السادات ذوي المروآت ذوات الالوان وابهام من لباس الغلمان والنسوان
قال الشاعر ذل للذي يخرج عن شكله * ليرى اسباب اوعار
كيف يرجى ان ينال العلا * ولم ينل الدهر من عار
من فارق المعهود من زيه * فذاك لا كاس ولا عار
(ورأى) انسان على أبي طاهر الجزري ثوبا حسنا فلامه في ذلك وعنفه فانشد
على ثياب فوق قيمتها فلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس
فثوبك صحيح تحت أذياله دجى * وثوبي ليل تحت أذياله شمس
فكل من افتخر بغيره من الاكارم ومدح امثاله ورأى اكتسابه خلال المكارم
أمن لقدره وأسمى له اقتدى بالمعالي في هذا المذهب وحكم بعصبه المذهب
وذلك أنه دخل على يحيى بن خالد في سمل وكان لا يبالي ما لبس فعابه عليه فقال يا أبا
علي جزى الله من رفعه فيما جاله وماله حتى رفعها اكرامه ومنه ودنسه وأنه هواه
فله ولسانه (قال) شاعر في المعنى الذي نحاه
لا تنظرن الى الثياب فاني * خلق الثياب من المروءة كاسي
(وقال أبو هفان واجاد في المعنى الذي أراد)
تعجبت درّ من شيبي فقلت لها * لا تعجبي فطلوع البدر في السدف
وزادها عجبا ادرتحت في سمل * وما درت درّ أن الدر في الصدف
(ولآخر في المعنى)
يا هذه كم يكون اللوم والفند * لا تنكري رجلا أثوابه قدد
ان يمس مفردا فالسيف منفرد * والليث منفرد والدر منفرد
أو كنت انكرت طمريه وخلقهما * فالبحر من فوقه الاقذاء والزبد
ان كان صرف الليالي دريه * فان طمريه فيه صيم لبد
(ومن) المروءة النظافة فانه ورد عن مكحول أنه قال من نظف ثوبه قل همه ومن
طاب ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما ظهرت مروءته (وقيل) من الظرف والكرم
الاستقصاء في التعطر * وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بطيب ريحه من منزله برائحة
المسك وكان اذا سلك طريقا عرف السائل عنه انه قد سلك ريحه * وكان ابن
عباس رضي الله عنهما اذا اجتاز في طريق قال الناس اطيب مسك أو ابن عباس
اطيب ريحه (قال الشاعر)
ويفوح مسكا طيب ريح ثيابه * وكذاك ريح الماجد الوهاب

﴿الفصل الثالث من الباب الاول﴾

﴿في ذم التملق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان﴾

مبتذل في القوم وهو مبتذل ✽ متواضع في الحي وهو معظم

(وقال) الحسن أربعة لا ينبغي لشريف ان يأنف منهن قيامه عن مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ من علمه (وقال) عبد الله بن مسعود رأس التواضع ان تبدأ بالسلام من لقيت وان ترضى بالدون من المجالس (وقال) عبد الله بن شداد أربعة من كن فيه فقد برئ من الكبر من اعتقل العنز وركب الحمار ولبس الصوف واجاب دعوة الدون من الرجال

✽ومما يدل على شرف الانفس ولزوم النفس بانواع المروءة✽

(قال) بهرام بن بهرام المروأة اسم جامع للمحاسن كلها وقال بعض البلغاء المروأة جامعة لاشتات المبرات جالبة لاسباب المسرات دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق باطفة لغلائل الفوائد عاقلة لشوارد المحامد✽وقال بعض الحكماء المروأة محبة جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة (وقالوا) اولى الناس بالمروءة من له سمو الهمة ✽وقد جمع الله تعالى متفرقاتها في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ✽ وجمعها النبي عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو من كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخوان ممدوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف ✽وجمعها آخر فقال مروأة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وكف الاذى عن جيرانه (وقال) أعرابي والله لولا أن المروأة ثقيل محملها شديد مؤنتها ما ترك اللئام للكرام منها شيأ ✽ وقالوا المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال يزيد بن المهلب لولده كن احسن ما تكون في الظاهر حالا اقل ما تكون في الباطن مالا (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ✽وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان الله جميل يحب الجمال (وقالوا) مروأة الرجل ان لا يلبس ثوب شهرة كما قال بعض الظرفاء كل ما اشتهت نفسك والبس ما اشتهاه الناس ✽ولقد أحسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب من لا يلبس ثوب شهرة فقال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها ✽ وعليك من شهر الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت ✽ واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

(وقالوا) الفقر البارح خير من الزي الفاضح (وقال) عبد الملك بن صالح لبس

ويعظ الناس بفعالك ولا تعظهم بقولك (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس

﴿ومما يعاب من خلال الانسان ان يكون بديع مقال اللسان﴾
﴿رديء فعال الاحسان﴾

قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من اخلاق المؤمنين (ابن المعتز) من كثر ملقه لم يعرف بشره * ذم اعرابي قوما فقال هو لهم أمر من الدفلى وألسنتهم من العسل أحلى وقال الشاعر

اذا انصتوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

(وقال ابن حمير)

الناس فطروف حشوها صبر * وفوق افواهها شيء من العسل
تحلو لذائقها حتى اذا انكشفت * له تبين ما تحويه من دغل

(وقالوا) فلان يبدي وجه المطابق الموافق ويخفي نظر المسارق المنافق قال شاعر

يا أيها المحلى غير شيمته * ومن سجاياه التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

(وقالوا) شر الناس من هو في الظاهر صديق موافق • وفي الباطن عدو منافق قال شاعر

لعمرك ما ود اللسان بنافع * اذا لم يكن اصل المودة في القلب

(وقال) رجل لعلي رضي الله عنه على السلام على الاخوان فقال لا تبالغ بهم المماق ولا تقصر بهم عن الاستحقاق (ولقد) صدق صالح بن عبد القدوس في قوله

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان واهله

(وقال آخر وبالغ في الذم)

لم يبق في الناس الا المكر والملق * شوك اذا لمسوا زهر اذا رمقوا
فان دعتك الى ائلافهم قدر * فكن جحيما لعل الشوك يحترق

(آخر) خل النفاق لاهله * وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك ان ترى * الا عدوا او صديقا

(آخر) ترى الصحبة عند اللقا * وبرئت في السر من العلم
فسد الك من وصله * ولا تكثرن عليه الندم

﴿ومما يلحق بهذا ان عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياء﴾

(الرياء) من الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواردت

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تخلق بما ليس من خلقه فهو منافق (وقال) ابن مسعود من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ بذلك نفسه (وقيل) ما اللسان بأدل على الضمائر من ظاهر الرجل على باطنه (وقال) زهير بن أبي سلمى

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ✽ وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(وقال آخر) كل امرئ راجع يوما لشيمته ✽ وإن تخلق أخلاقا إلى حين

(وقال) بعض الحكماء لتلميذه يا بني باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق حسن ما شئت لما شئت (وقالوا) ما أقبح بالإنسان أن يقول ما لا يفعل وما أحسن الفعل ابتداء قبل القول فإن من مات محمودا أحسن حالا ممن عاش مذموما (وقال) أكثم بن صيفي فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة (ويقال) أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال (وكان) رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ✽ وانظر إلى هذه الفراسة المنيرة بحجاب القلوب المكشوف لها الغطاء عن حجاب الغيوب (وقال) بعض الحكماء لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب إلي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين (وقال) ارسطاطاليس وجهك مرآة قلبك فإنه يظهر على الوجوه ما تضمره القلوب وقالوا العيون طلائع القلوب (وقد) أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا (فمن ذلك) قول بعضهم

إن العيون لتبدي في نواظرها ✽ ما في القلوب من البغضاء والإحن

(وقال آخر) تريك أعينهم ما في صدورهم ✽ إن الصدور يؤدي سرها النظر

(آخر) عيناك قد دلتا عيني منك على ✽ أشياء لولاهما ما كنت أدريها

تظل في نفسك البغضاء كامنة ✽ والقلب يضمرها والعين تبديها

والعين تعرف من عيني محدثها ✽ إن كان من حزبها أو من أعاديها

(ويقال) العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في السر فضحه في العلانية (وقالوا) حقيقة النفاق اختلاف السر والعلن واختلاف القول والعمل (وقال) أبو سعيد الجرجاني لا ينبغي أن يكون حسن القول مع قبح الفعل (ولام) الشعبي واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصيره في الخطبة لما كان عاملا على مصر وتركه استعمال البلاغة مع القدرة عليها فقال إني لأستحي من الله تعالى أن أقول بلساني على منبري خلاف ما أعلمه من قلبي (وكتب) رجل إلى صديق له أما

ولم يرد الإله به ولكن * أراد به طريق القافلة

(آخر) ودع التواضع في اللباس تحريا * فالله يعلم ما تجن وتكتم

فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الإله وأنت عاص مجرم

(وقال) أربعة لا يعتد بهن زهد الخصي وتوبة الجندي وشكوى المرأة ودعوى الأحداث (صلى) رجل صلاة خفيفة فقيل له أخففت الصلاة فقال لأنها صلاة ليس فيها رياء (نظر) أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد وهو ساجد يبكي فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا في بيتك

ومن ظرف الحكايات وعجب الفكاهات

عمن كان له من الرياء غرة فاضحة ومن عدم الحياء سمة لائحة

(وفد) على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبي بردة فجعل يصلي ويطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعا فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى إليه داره بين العشاءين وهو يصلي فقال له خفف فإن لي إليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت بك عليه في ولاية العراق فما تجعل لي قال لك علي عمالتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له فأتى العلاء بالشرط إلى عمر فقال إنه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا (وأدخل) على المنصور رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه وإن كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن ننخدع لك ولم يوله شيئا (مر) بعض المرائين بابن مراد وهو جالس على باب داره وبين عيني الرجل سجادة عظيمة وكان ابن مراد شيخا ابن ثمانين سنة ومتعبدا من [illegible] بلا أثر بين عينيه فقال امرأتي طالق إن كان في استي من القعود ما في جبهة هذا من السجود (وضع) بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها وأوثق عليها ثوما وبات فانزاحت العصابة عن مكانها وصارت في ناحية صدغه فأصبح فقيل لولده كيف أصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (وقال) ظريف من الشعراء المرائين يكرهه في معرض الوصية

شمر ثيابك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاء بثوم

وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وبلغ) الرشيد قول أبي نواس

يا أحمد المرتجى في كل نائبة * قم سيدي نعص جبار السموات

(وقوله) ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

فيه القصص والأخبار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (وأما الحياء) فهو من ثلاثة أوجه من الله ومن الناس وحياء المرء من نفسه فإنه من استحيا من الله ولم يستحي من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيا من الناس ولم يستحي من الله فقد استهان بالله ومن استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر وويل لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بقلبه (وكان) أبو مسلم الخولاني يقول ما عملت منذ كذا وكذا سنة عملا أبالي أن يراه الناس إلا حاجة الرجل إلى أهله وحاجته إلى الخلاء (وقال) الحسن البصري لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة (وقال) الفتح بن خاقان كنت يوما ألاعب المتوكل بالنرد فاستؤذن لأحمد ابن أبي داود فأذن له فلما قرب منا هممت برفعها فمنعني المتوكل وقال كيف أجاهر الله بشيء وأستره عن عباده (وكان) الشبلي إذا رأى من يدعي التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (وقال) شاعر يذم المرائين منهم

قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير

(آخر)

أظهروا للناس نسكا * وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
لو يكن فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

(ولآخر يحض على الاعتزال عن هؤلاء)

لا تصحبن عصابة * حلقوا الشوارب للطمع
يبكوا وجل بكائهم * ما للفريسة لا تقع

(قال) ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقال لي ما حاجتك قلت زيارتك قال ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمن الشباب فاسقا ثم شبت فصرت مرائيا والله إن المرائي لشر من الفاسق (ويقال) كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (ذم) الشيخ الهمداني أصحاب الرياء فقال فبعض لحيته لسواد جبهته وأظهر ورعه ليخفي طمعه وقصر سرباله ليظهر سرباله وتغشى جرابه ليعطى جرابه يبرز في ظاهر أهل السمت وهو في باطن أهل الصمت (شاعر)

تصنع كي يقال له أمين * وما يعني تصنعه الأمانه

ولم

﴿في مساوي اخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والنميمة﴾

(قالوا) النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار (وقال) بعض الحكماء الاشرار يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد ويترك الصحيحة (وقالوا) لم يمش ماش شر من واش والساعي بالنميمة مهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه كما حكي أن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وانما نظر شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك ولو ردت كلمة ساع الى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها والنمام شر من الساحر فان النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسده الساحر في المدة الطويلة (أتى) رجل عبد الله بن عباس وهو والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه بنميمة فقال له ان شئت سألنا عما جئت به فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك فقال ان شئت أن تفعل فافعل (شاعر)

تنح عن الطرق أوساطها * وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع الحديث * شريك لقائله فانتبه

(وقال أبو الاسود الدؤلي)

لا تقبلن نميمة بلغتها * وتحفظن من الذي أنباكها
ان الذي ألقى اليك نميمة * سينم عنك بما ها واسطا كها

هذا مفهوم قول الناس من نم لك نم عليك (وسعى) رجل برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فأنت داخل تحت حكم هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك (وقال) بعض الملوك لولده لا كن أبغض رعيتك اليك أشدهم كشفا لمعايب الناس فان للناس معايب وأنت أحق بسترها وانما تحكم بما ظهر لك والله يحكم فيما غاب عنك واكره للناس ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تصغ الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان قال قول نصيح (وقال) ارسطاطاليس النميمة تهدي الى القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عنك (وقالوا) شر من النميمة قبولها لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه (وقال المهدي) ما الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته ولا تخلو أن يكون الساعي حاسد نعمة فلا

(وقوله) ما جاءنا أحد مذ مات يخبرنا * في جنة من قد كان أو نار

فقال هذا كلام زنديق وأمر الفضل بن الربيع بحبسه فحبسه وتناساه زمانا فأظهر التوبة وكتب إلى الفضل من الحبس هذه الأبيات

فارعوى باطلي وأقصر جهلي * وتبدلت عفة وزهاده
بركوع أزينه بخشوع * واصفرار مثل اصفرار الجراده
لو تراني شبهت بالحسن البصري في حال نسكه أو قتاده
التسابيح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلاده
فإذا شئت أن ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفاده
فادع بي لا عدمت تقويم مثلي * وتأمل بعينك السجاده
تر أثرا من الصلاة بوجهي * توقن النفس أنه من عباده
لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده
ولقد طال ما شقيت ولكن * أدركتني على يديك السعاده

فلما وصلت الأبيات إلى الفضل ضحك منها وكلم فيه الأمين فأطلقه ولما أطلق من حبسه كتب إلى الفضل يشكره على جميل فعله

﴿الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول من هذا الباب﴾

(في ذم من ليس له خلاق وما اتصف به من الأخلاق)

قال الله تعالى همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم هذه النقائص كلها يجمعها سوء الخلق (وقيل) إن سوء الخلق شؤم يجذب صاحبه في الدنيا إلى العار وفي الآخرة إلى النار (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال الشؤم سوء الخلق (وقال) عمر بن الخطاب إذا كان في الإنسان عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة هي سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسعة (شاعر)

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه * فأصبح مذموما قليل المحامد

(وقالوا) من ساءت أخلاقه طاب فراقه (وقالوا) سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر ويكاد سيء الخلق أن يعد من البهائم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وروي) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه والزمام في يد شيطان يجره إلى النار أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (وقالوا) فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيمة مشؤمة وخيم وخيم وطبع طبيع

لا يكذب المرء إلا من مهانته ＊ أو عادة السوء أو من قلة الأدب

ويكفي في ذم الكذب قوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إليّ من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل (وقيل) لا يجوز أن يكذب الرجل لإصلاح نفسه فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده (ولقد صدق من قال)

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به ＊ إن اللسان لما عوّدت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له ＊ في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

ويكفي في معرة الكذب أن من عرف به بهت إذا نطق وكذب وإن صدق (قال) رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط فقال له أبو حنيفة أما هذه فواحدة أشهد عليك بها وقال الأصمعي لرجل كذاب أصدقت قط قال نعم قيل له فعجب قال خفت أن أقول لا فأصدق (وقيل) لبعض الحكماء أيما أشر الكذاب أو النمام فقال الكذاب لأنه يختلق عليك والنمام ينقل عنك (شاعر)

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ＊ ل فحيلتي فيه قليلة

(ومن ظريف أخبار الكذبة) أن رجلا من آل الحرث بن ظالم قال لعبد الملك إن الحرث غضب يوما فانتزع في ثوبه فندر من ثوبه أربعة أزرار فوقعت أربعة أعين من عيون جلسائه (شاعر)

حلفت برب مكة والمصلى ＊ وأيدي الواقفين على عكاظ

لأكذب ما يكون إذا أتاني ＊ وشددها بأيمان غلاظ

وآفة الكذب النسيان كذا ورد في المثل المأثور والخبر المشهور (قال الشاعر)

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل ＊ لدى الناس كذابا وإن كان صادقا

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ＊ وتلقاه ذا دهن إذا كان حاذقا

＊ومن مستقبح خلائق اللؤم الصراح اللسان البذي والوجه الوقاح＊

قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم ＊ وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما استب رجلان إلا غلب ألأمهما ＊ وقال الأحنف بن قيس ألا أخبركم بأدوأ الداء الخلق الدني واللسان البذي (وقالوا) اللئيم بعيد الحياء جنته والوقاحة جنته ووجهه صلب ولسانه سلب (وقالوا) الفاقة خير من الصفاقة (وقال) أبو حيان إن الخصم إذا كان الهوى مركبه والعناد مطيته فلن ينجع فيه

أسوق غيظه أو عدوا فلا يعاقب له فعل وإنما لأشمت به (ولقد) أحسن بعض الشعراء الظرفاء في قوله

لا تسمعن من الحسود مقاله * لو كان حقاً ما يقول الواشي

(وقال آخر فيمن يصله بقالة نماما)

وصاحب سوء وجهه لي أوجه * وفي فيه طفل للسرى تصرب
ولا بد لي منه فما يعصني * ويسعى على جار ووجهي يقطب
كما يدرب الحاج في كل منهل * يلم على ما كان منه ويشرب

(وقال السري الرفاء يذم نماما)

أنم بما استودعته من زجاجة * يرى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(وقال ابن وكيع في المعنى)

لم يستتر غيّه لؤما * كنائم الظلام بسربار
أنم من المعول على مشيب * ومن صافي الزجاج على عقار

(ولقد أحسن محمد بن شرف القيرواني في قوله يصف نماما)

وناصت قد أدناه الورى أذنا * كالقمع يعطيها كل ما سقطا
يظل بالقول والأخبار مجتهدا * حتى إذا ما وعاها فارق ملقطا

* والنميمة والكذب رضيعا لبان وفي مشوار الأذية فرسا رهان *

(قال) أبو حيان التوحيدي الكذب شعار خلق وأدب سيء وعادة فاحشة وقل من استرسل معه إلا ألفه وقل من ألفه إلا أذله (وأوصى) بعض الحكماء ولده فقال إياك والكذب فإنه يزري بقائله وإن كان شريفاً في أصله ونبله وإن كان عن مراقي أهله (وقالوا) لا يجتمع الكذب والحياء (أرسطاطاليس) فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق بالصدق (وقال) بزرجمهر الكاذب والميت سواء فإنه إذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته (وقال) معاوية يوماً للأحنف وقد حدثه أتكذب قال والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين (وقال) بعض الأعراب عجبت من الكذاب المشيد لكذبه وإنما يدل الناس على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة إن قال حقاً لم يصدق وإن أراد خيراً لم يوفق فهو الجاني على نفسه بفعاله الدال على فضيحته بمقاله فما صح من صدقه نسب إلى غيره وما صح من كذب غيره نسب إليه (ويقال) الكذب جماع النفاق وعماد مساوي الأخلاق عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه من نفسه وهو آمن ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال الشاعر)

إن النموم أغطي دونه خبري * وليس لي حيلة في مفتري الكذب

الوصمة لضاربه (وقال أبو تمام)

مساو لو قسمن على الغواني ✽ لما أمهرن إلا بالطلاق

(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من كن فيه فهو منافق من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا ائتمن خان (وقالوا) اللئيم كذوب الوعد خؤون العهد قليل الرفد (وقالوا) اللئيم إذا استغنى بطر وإذا افتقر قنط وإن قال أفحش وإن سئل بخل وإن سأل ألحف وإن أسدى إليه صنيع أخفاه وإن استكتم سرا أفشاه فصديقه منه على حذر وعدوه منه على غرر

✽ومما اخترناه في ذم اللئام من درر الأهاجي والذام✽

(ذم) أحمد بن يوسف الكاتب بني سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال إنهم مساوي السفل ومساويهم فضائح الأمم ألسنتهم معقودة بالعي وأيديهم معقولة بالبخل وأعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ✽ ولا تبيد مخازيهم وإن بادوا

(وذم) أعرابي قوما فقال أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلباسهم في الدنيا الملامة وفي الآخرة الندامة ✽ وذم أعرابي قوما فقال أولئك قوم هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم وأكثرهم تجرما على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء (وكان) عيسى بن فرخان شاه [illegible] على أبي العيناء في حال وزارته فلما انصرف عنها لقي أبا العيناء في بعض الطرق [illegible] عليه سلاما خفيفا فقال أبو العيناء لغلامه من هذا قال أبو موسى فدنا منه [illegible] بعنان بغلته وقال لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك فالحمد لله على ما آلت إليه حالك فلئن كانت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعمة وما شكرت حق المنعم ثم أطلق عنانه ورجع إلى مكانه فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب فما كان الذنب قال [illegible] حاجة أقل من قيمته فردني عنها بأقبح من خلقته (قال) [illegible] بذلك الوادي فإذا أنا بأعرابي على [illegible] فإذا [illegible] (أنشد هذا المعنى شاعر فقال)

أرى حللا تصان على رجال ✽ وأعراضا تذال [illegible]

يقولون الزمان به فساد ✽ وهم فسدوا وما فسد الزمان

(وسئل) بعض العلماء عن رجل فقال هو [illegible]

ولو جبت البلاد سهلا ووعرا وقطعت الفيافي (قال) بعض الشعراء في خصم معاند

تراه معد الخلاف كأنه * يرد على أهل الصواب موكل

(وقالوا) الوقاحة في الرجل تدل على لؤم نجره وخساسة قدره وقلة خيره وكثرة شره وقال الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على أحد * إلا تكامل فيه الشر واجتمعا

(وقال بعضهم في ذم أوقاح)

لو أن أكفهم من جر أوجههم * قاموا إلى الحشر فيها مثل ما رقدوا

(ولأبي الفرج مثل ذلك وأحسن في قوله)

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة * فأقد منها حافرا للأشهب

أنشدنا ناصر الدين حسن الكاتبي عن ابن القصب لنفسه في أوقاح فقال

تعالى الله خالقها وجوها * فما أبصرت من الحيوان حالا

لقد صلبت وقدت من صفاة * وغير خلقها حتى استحالا

وقد وليت لي منها حذاء * وليت لنعلي منها نعالا

(وقال الناجم يهجو)

للعرض منه مثلم من قوارير * ووجه مثلم من حديد

لم يعصهم على الوقاحة وقال الوحيد والوقاحة من الوجوه الوقاحة تدل على صاحبه الإهمال ويمنح له الإقبال ويلقطه الإرطاب ويلقمه ما يستطاب ويقصره على قول الأباطيل ويبسط له فعل ما لا يطاق (ثم أنشد)

إذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الأمور كما يشاء

(وقال) جعفر الصادق إن الله يبغض السباب الطعان الفحاش قال الشاعر

من لم يكن عنصره طيبا * لم يخرج الطيب من فيه

كل امرئ يشبهه فعله * وينضح الكوز بما فيه

أصل الفتى يخفى ولكنه * من فعله يظهر خافيه

﴿جماع ما يتعلق به الأرذال من اللؤم والخلال﴾

(قال) بعض الحكماء أربعة من علامات اللؤم إفشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الأحرار وإساءة الجوار وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه فتلكأ وأبى أن يخبره فأقسم عليه أن لا بد فقال حسود كنود لجوج حقود فقال عبد الملك ما في إبليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره وبرئ من جميع خلال الخير بأسره وبالغ في ذم نفسه وتحرى في الدلالة على لؤم طبعه وأفرط في إقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال

كم قائل ما فعلك أحمر رائب * ماذا أقول وقد عصيت الناقدا
ولقد عرضتك بارئهم بدرهم * ومن يريدها وجدت مرادا
فاقر بظرفك هل ترى لك شاكرا * أو ذاكرا أو حاسدا أو حامدا
(آخر) أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه * عرض عززت به وأنت ذليل

﴿الفصل الثاني من الباب الثاني﴾
﴿في ذكر البخل والقبيح الدال على لؤم الوضيع﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت (وقال الشاعر)

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع

(وقالوا) فلان لا يستحي من الشر ولا يصح أن يكون من أهل الخير فلو أدبت كلمة سوء لم تجب إلا به وإن رفعت لقمة لما وقعت إلا عليه (وسئل) معاوية عن السفلة فقال الذي ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف كما قال بعض الأعراب وقد سئل عن رجل فقال عليه كل يوم قسامة من فعل تشهد عليه بلؤم أصله وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال * وقال بعض العارفين أفعال المرء شهود لؤم أصله * وسئل محمد بن الحسن عن السفلة فقال من يحمل قطعة الخام ويأكل في الطريق ويعيب الطعام * وقال الأصمعي السفلة من لا يبالي بما قال أو قيل له (وقال يحيى بن أكثم) السفلة الذي لا يعنيه ما صنع (وقال أبو مسلم) اللئام الأغراض غرض لم يرع فيه مدح ولا ذم * وسمع الأحنف رجلا يقول لا أبالي أمدحت أو ذممت فقال يا هذا استرحت من حيث تعب الكرام

﴿ومن فعلات من خلع في اللؤم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن﴾
﴿من أمثال العرب في ذلك﴾ أكفر من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وصار في تربيته دهرا فأحسن إليه فلما بلغ الحلم هجاه هجوا وافتخر بها فطعنه فتركه حتى مات واغتاله (وحكى) الأصمعي أن أعرابيا ربى جرو ذئب وجعل يغذيه بلبن شاة له حتى كبر فسرح معها يوما للرعي كعادته فحركته الطبيعة اللئيمة والنفس الذئبية على افتراس الشاة فلما رأى الأعرابي الشاة فريسة أنشد

عقرت شويهتي وفجعت قومي * بشاتهم وأنت لها ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الأديب

لئيم الجد عظيم الكبر كبير الفخر (وسئل) آخر عن رجل فقال لو قذف على الليل لؤمه لانطمست منه نجومه (وسئل) آخر عن رجل فقال يكاد يعدي بلؤمه كل من سمي باسمه (وقال) حجاج بن هرون والله ماله في الشرف أساس متين ولا في الخير عادات حسان (وذم) أعرابي رجلا فقال هو غمة الدين خلق الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه (وذم) آخر رجلا فقال أما الوجه فذميم وأما الخلق فذميم وأما الخيم فوخم وأما العرض فلئيم وأما الحسب فلئيم (وقال) الجاحظ فلان لا تنجع فيه الرقى ولا تعقد فيه الحيل ولا يهزه المدح ولا تخزيه الذم ولا تخجله التقريع ولا تذله التوبيخ ولا يرحم المظلوم فان استرحمته ازداد غلظه ولا يرق لفقير وان تعرض له قتله جوعا (وقال) آخر فلان غش في دينه وذرق في دنياه رث في مروأته سمج في هيئته منقطع الى نفسه راض عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كتوم لما آتاه الله من فضله ملاف يلوح ان سأل ألحف وان وعد أخلف لا ينصف الاصاغر ولا يعرف حق الاكابر

(وأنشد لابن قادوس) يا من تبدم العقل طلعته * بأس المنازل الرمداء بالظلم

(وقالوا) فلان كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

(قال الشاعر يهجو قوما لئاما)

هم الكشوث فلا أصل ولا ثمر * ولا نسيم ولا ظل ولا ورق

حووا من اللؤم حتى لو أضاء لهم * ضوء السهى في ظلام الليل لاستتروا

لو صافحوا المزن ما ابتلت أناملهم * ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا

(ومن محاسن الملحق في الذم) فلان له كيد قحب وسبلة تيسية وسيرة قواد وذل ماله وملق دابه ونحل كلب وحرص نباش وبين خوارب ووحشة قرد

(قال ابن حجاج في مثل ذلك)

نسيم حش وريح مقعده * ونصب أفعى وبين مصلوب

(وله يهجو)

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه أبي يعـ * ـلى ولا نور بهجة الإسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر * دون والوجه والقفا والغلام

(ومن الملحق) فلان يروغ من الجود روغان الثعلب ويشره الى الادناس شره الخنزير ويستسلم الى عدوه استسلام الضبع ويدب الى الشر دبيب العقرب وينام عن الخير نوم الفهد ويجبن عن القرن جبن العصفور ويخبط في الجهل خبط الناقة (ابن عروس يهجو)

﴿ومما جاء في ذم الغدر وأنه من أركان الخيانة﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يرفع لكل غادر لواء فقيل هذه غدرة فلان (وقالوا) من نقض عهده ومنع رفده فلا خير فيه (وقالوا) الغدر يضل في كثير من المواطن ولا عذر لغادر ولا خائن (شاعر)

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة ❊ أن لا يرى إلا صريع حوادث
ما زالت الأرزاء تلحق بؤسها ❊ أبداً بغادر ذمة أو ناكث

(وقالوا) الغدر من ضعف الغدر (وقال) من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره وقال علي رضي الله عنه الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء (ذكر) أن عيسى عليه السلام مر بإنسان يطارد حية وهي تقول له والله لئن لم تذهب عني لأنفخن عليك نفخة أقطعك قطعاً فمر عيسى وعاد فوجد الحية في جونة الرجل محبوسة فقال لها ويحك أين ما كنت تقولين قالت يا روح الله إنه حلف لي وغدر بي فسم غدره أقتل له من سمي ❊ أغرق الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس بن معديكرب فإن عبد الرحمن غدر بالحجاج لما ولاه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله وكانت بينهم ثمانون وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه (وغدر) محمد بن الأشعث بأهل طبرستان وكان عبد الله ولاه إياها فصالح أهلها على أن لا يدخلها ثم غدر بهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر (وغدر) الأشعث بن قيس بني الحرث بن كعب غزاهم فأسر ففدى نفسه بمائتي بعير فأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة فلم يؤدها حتى جاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية (وكان) بين قيس بن معديكرب وبين مراد هدنة إلى أجل فغزاهم في آخر يوم من الأجل وكان يوم الجمعة فقالوا إنه لا يحل لنا أن نقاتل يوم السبت فقاتلهم فلما كان صبيحة السبت قتلهم فقتلوه وهزموا جيشه (وغدر) معديكرب بمهرة وكان بينه وبينهم عهد فغزاهم إلى أجل فغزاهم فأصابوه فقتلوه ونهبوا ما معه وقطعوا ما له

﴿ومما جاء في الأمانة والخيانة وذل المرء إذا أراد الخيانة﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً (ومن) الحكايات في هذا الباب ما يحكى أن بشر بن عوف وكان من أعيان الأمراء وأصحاب الجاه دخل على معاوية ومعه جارية فأقعدها بين يديه ثم المال فقال معاوية أنا أقبلها أو أردها إلى أخذها فقيل عاقبها ثم قال فعلم الحاضرون أن الشماتة في قلبه ثم قال لا إلا أن يكون لها ولد فقال معاوية فيها
يقول الشاعر لمن يا عشر ... ❊ في ذمي المرء ... بالغدر

وأعارته من مالك الحزين على بن القين فساق منهم بالالفاظ واحاطه الاعيه ولم
يقدر واعليه ولا وصلوا اليه فعادوا وقالوا ان امامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت
جميلا فارحل ولك الذمام والحماية فرحل فلما اطمأن وسكن أحدقوا به فقاموا فوثبوا
عليه وقتلوه

❊ ومما يستغرب منه ويستعجب في هذا الباب ويستعذب ❊

لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث برز من أصحاب عبد الرحمن عبد الله
ابن سوادة الحارثي وطلب البراز فبرز اليه بعض أصحاب الحجاج فقتله عبد الله ثم
عاد فطلب المبارزة فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد فطلب البراز فخرج اليه آخر فقتله
ثم عاد وطلب البراز فقال الحجاج للجراح بن عبد الله الحكمي اخرج اليه فخرج فقال
له عبد الله وكان صديقه ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح
وما هو قال أنهزم لك فترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وأما أنا فأحتمل مقالة
الناس في انهزامي حبا لسلامتك فاني لا أحب قتل مثلك من قومي قال افعل فحمل
الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح يريد قتله فصاح بعبد الله
غلام له وكان ناحية عنه وكان معه اداوة وقال له يا سيدي ان الرجل يريد قتلك
فعطف على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه فقال له يا جراح بئس
ما جزيتني به أردت لك العافية وتريد قتلي انطلق فقد تركتك للصداقة التي بيني
وبينك ثم مات ما بين المقاتلين ❊ قصد أبو بكر الخوارزمي الصاحب بن عباد وهو
بأرجان فحجبه فقال فيها

وما حللت بتلك الارض ❊ تواثقهم لحاق حين بدا لي
لسكك أم وامر بل نائل ❊ وبعلمت هدى وأحد عمار

فلما بلغ الى هذا البيت قال له قد تكرر العلم وهو آلة الكتاب وبه عليم ورأس فقال
فسيلته فحدثه بها فقال يا زائرا أتانا ❊ فوق يده وبحشوهم
ما حلقت بنا بها ❊ الا السيف وقلم

خلع عليه كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان في مجلسه من الثياب مراوده
للصاحب فطلب لقاءه فحجبه فلم ير منه ذلك وانصرف وهجاه بقوله

لا تمدحن ابن عباد ولو هطلت ❊ كفاه بالجود حتى جاوز الديما
لكنها خطرات من وساوسه ❊ يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

واتفق ان مات الخوارزمي فبلغ قوله هذه الابيات ولما بلغ الصاحب موته قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا ❊ أمات خوارزميكم قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره ❊ ألا لعن الرحمن من كفر النعم

علي رضي الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم (وقال) الظلم يجلب النقم ويسلب النعم (وقالوا) من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الحرية والملك إلى دناءة العبودية والملك (وقال) ليس شيء أسرع إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم وفي الخبر يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري (وقالت الحكماء) شر الملوك الأفاك السفاك وقال أبو منصور الثعالبي أخلق بالملك الظالم أن يصير عرضة للرائش وغرضا للراوش (وقالوا) الظالم أسرع إلى تبديل النعم وتعجيل النقم من الطيور إلى الأوكار ومن الماء في الانحدار (وقالوا) سبع حطوم خير من وال ظلوم (كان) زياد ابن أبيه ممن استقال بجوره وعسفه في ولايته عراقي البصرة والكوفة فلما دان له من فيهما كبر عليه نفسه واستطال على أهلها وكتب إلى معاوية إني قد ضبطت العراقين بيميني وبقيت شمالي فارغة فجمع له معاوية الحجاز واتصل ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذوا بقبره يسألون الله تعالى الإقالة منه ورفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شمال زياد فكما خرجت في إصبعه طاعون فما استشار شريحا في قطعها فقال له رزق مقسوم وأجل معلوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش أجذم وإن حم أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد فإذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فتركها فأخرج شريح من عنده فلامه الناس فقال إنه قد استشارني والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما يوما وزاره شريح بعد ذلك فلما خرج من عنده قال له مسروق كيف تركت الأمير قال تركته يأمر وينهى فأول قوله فإذا هو يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه ومات من تلك السنة ثلاث وخمسين في رمضان وكان مولده عام الهجرة ودفن في أرض الكوفة وسنأتي على ذكر شيء من مولده ونسبه فيما يلي هذا الفصل إن شاء الله تعالى (ومن المفرطين في العسف والعنف) يوسف بن عمر الثقفي ولاه هشام ابن عبد الملك العراق وكان شيطانا مريدا وجبارا عنيدا سفاكا للدماء معروفا بالظلم والغشم ولما ولاه أمره بالقبض على خالد بن عبد الله القسري فسار إليه حتى هجم عليه وهو في نفره على حين غفلة من أمره فأخذه ثم رقي المنبر وقال يا أهل العراق إن الحجاج كان دجاجا بالبارة وقمنا أنا بالبرارة فعليكم بالطاعة العائدة بنيل الثواب وإياكم والمخالفة الموجبة لوشك العقاب وقد أعذر من أنذر ثم نزل (ويحكى) عنه أنه دخل دار الضرب فعاير درهما فوجده ناقصا حبة فضرب فيها الأمناء والصناع عشرة آلاف سوط (وكان) الفضل بن مروان وزير المعتصم ظالما غاشما

(كان) للمأمون خادم يسرق طسته التي يتوضأ فيه فقال له يوما هلا اذا سرقتها تأتيني بها فاشتريها منك قال فاشترِ هذه وأشار الى التي بين يديه قال بكم هي قال بدينارين قال على أن لا تسرقها قال نعم فأعطاه دينارين ولم يعد الخادم يسرق شيأ لما رأى من حلمه عنه ﴿ وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو المسلمين أكلت مال الله وخنت خليفة الله فقال يا أمير المؤمنين نحن عيال الله وأنت خليفته والمال مال الله فمن أين آكل اذا فضحك منه وأطلقه وأمر أن لا يولى عملا بعدها (سرق) رجل في مجلس أنوشروان جام ذهب وهو يراه فلما فقده الشرابي قال والله لا يخرج أحد حتى يفتش فقال أنوشروان لا تعرض لأحد فقد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه (وأودع) بعض التجار عند قاضي معرة النعمان وديعة وغاب عنها مدة فلما جاء طالبه بها فأنكرها فتشفع اليه برؤساء بلده في ردها فلم يزل وإياه حتى أقر بها وادعى أنها سرقت من حرزه فقال في ذلك ابن الدويرة الشاعر المعري أبياتا منها

لا تصدق القاضي الخؤون اذا ادعى ❊ عدم الوديعة من يد ابن المودع
ان قال قد ضاعت فيصدق أنها ❊ ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها ❊ وقعت ولكن منه أحسن موقع

(وقال ابن حجاج) وأدعوهم الى الداعي عساهم ❊ اذا وقع الكسود يحلفوني
وأصدق ما يكون الحلف عندي ❊ اذا عزم الغريم على اليمين

(آخر) اذا حلفوني بالغموس صدقتهم ❊ بما كشعر الأجمى المرق
وان حلفوني بالعتاق فقد دري ❊ نديمي غلامي أنه غير معتق
وان حلفوني بالطلاق رددتها ❊ على خير ما كانت كأن لم تطلق

(وقف) بعض الظلمة على قبر سارق فقال رحمك الله فلقد كنت أخو الأخيار حاد السكين ان نقبت فجرذ وان تسلقت فسنور وان استلبت فحدأة وان ضربت فعاص ولكنك اليوم وقعت في زاوية سوء وأين كل حسن تقدس فيه الى العباد على أموال العباد

﴿ومن الصنيع الدال على لؤم الأصول من كان يسعى بشروره على العباد يصول﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ﴿ وقال عليه الصلاة والسلام أعتى الناس على الله وأبغض الناس الى الله وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله تعالى من أمة محمد شيأ ثم لم يعدل فيهم (وقال) سفيان الثوري لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد (وقال) من طال عدوانه زال سلطانه (وقال) أمير المؤمنين

وبأجنحته السمك ويطير كالملائكة ويأتمر مع الريح ويروم
الغوص على الماء وحصر البحار وكيل الانهار وتحصيل الهواء ولئن كانت
النعمة عظمت على قوم خرج منهم لقد جلت المصيبة بقوم نزل فيهم (وذم)
البديع الهمداني قاضياً ووصفه بالظلم فقال قاض لا شاهد عنده أعدل من السكر
والحمام فلا يدلي بهما الى الحكام ولا ولي أصدق لديه من الصفر الذي يرقص على
الظفر ولا وثيقة أحب اليه من ثمرات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل
أعز عليه من المنديل والطبق في وقتي الغداة والعشي واقسم لو أن السم وقع
من الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته بها أيسر من سلامته من أصحابه
وما ظنك برجل يعادي الله في الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس ولص لا ينقب
الاحراز الاوقاف وكردي لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله
الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العدول والشهود
(قيل) لبعض الاعراب أيما أحب اليك أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً قال ظالماً فقيل
له ويحك ولم قال ما عذري اذا قال لي خلقتك سوياً ثم لم تستعد وأنشد بيت
زهير ابن أبي سلمى

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

* ومن معايب من رغب عن المكارم إلقاء الحشمة في ارتكاب المحارم *

كما يحكى ان نصر بن سيار مر بأبي الهندي وكان شريفاً في قومه وهو يحمل سكرا فقال
له أفسدت شرفك فقال أبو الهندي لولا أفسدت شرفي لم تكن أنت والي خراسان
(وكان) يزيد بن معاوية يلقب بالسكران لكثرة ادمانه على كثرة شرب الخمر
ولقب أيضاً يزيد الخمور * ولما ان المسور بن مخرمة رماه بشرب الخمر فكتب الى
عامله بالمدينة أن يجلد المسور حد القذف ففعل فقال المسور

أيشربها صرفاً يطين دنانها * أبا خالد والحد يضرب مسور

وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضره مجالس شرابه ويطرح له متكأ ويسقيه فضلة
كأسه واتخذ له أتاناً وحشية قد ريضت له وذلك وصنع لها سرجاً ولجاماً من ذهب
يركبه بها عليها ويسابق بها الخيل يوم حلبة الرهان فجاء يوماً سابقاً وتناول
القصبة التي هي الغاية ودخل الحجرة قبل الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير
الاحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

تمسك أبا قيس بفضل زمامها * فليس عليها ان سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

(وكان) الوليد بن يزيد بن عبد الملك صاحب زندقة مستهتراً فاسقاً متهتكاً

متعجبا بالظلم فتجبر متكبرا كان المعتصم يقول الفضل بن مروان أسخط الله وأرضاني فسلطني الله عليه ✽ فدخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما من بعض عماله فصرفه وصده عنه ولوى عطفه فخرج من عنده وهو ينشد

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر ✽ فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ✽ أبادهم التقييد والموت والقتل
وإنك قد أصبحت في الناس ظالما ✽ ستودي كما أودى الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذي يعني بقوله فقيل إنه أراد الفضل بن يحيى والفضل ابن سهل والفضل بن الربيع فغضب وصرفه ولم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قبض عليه (وفيه) يقول بعض الشعراء من أبيات هي قوافيها على ألفاظ الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ولقد أبدع وأجاد فيها

نكبت فأخلفت النصيحة للفضل ✽ وقلت فنعم المقالة للفضل
ألا إن في الفضل بن يحيى لعبرة ✽ إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وفي ابن الربيع الفضل للفضل زاجر ✽ إن ازدجر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن سهل مواعظ ✽ إن اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
إذا ذكروا يوما وقد صرف رأيها ✽ ذكرت بقدر السعي منك إلى الفضل
فأبق جميلا من حديث تفز به ✽ ولا تدع المعروف والأخذ بالفضل
فإنك قد أصبحت للناس قائما ✽ وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

من أبيات كثيرة أتيت منها على ما مست الحاجة إليه ووقع الاختيار عليه

(وقال شاعر في نكبته)

لا تحسبن أخا الدنيا بقدرته ✽ مهما وإن كان ذا عز وسلطان
يكفيك من عبر الأيام ما صنعت ✽ حوادث الدهر بالفضل بن مروان
إن الليالي لم تحسن إلى أحد ✽ إلا أساءت إليه بعد إحسان

(وقف) بعض البلغاء على المأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فيه فضة إلا فضها ولا ذهبا إلا ذهب به ولا علقا إلا علقه ولا ضيعة إلا أضاعها ولا غلة إلا غلها ولا عرضا إلا عرض له ولا ماشية إلا امتشها ولا جليلا إلا أجلاه ولا دقيقا إلا دقه ولا رقيقا إلا أرقه فضحك منه وصرفه عن أهل ناحية (ووصف) بعضهم عامل ولاية فقال والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ولا السوس في الخز من الصيف إلا من العادلين ولا يزدجرد الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه إلا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا فرعون في بني إسرائيل إذا قابلته إلا من الملائكة المقربين (ووصف) آخر عامل ولاية فقال كان يجبي خراج الوحش

من الخلفاء المستهترين وهو الذي ربى أبا نواس وأدبه (يحكى) عنه أنه كشف وما
عن قفيه فقبلها وضرط على لحيته فقال له ويلك ما هذا فقال أما سمعت المثل
* خرا فقبل الوجه فاضرطه * فزاد كلامه على أنه (يحكى) أن جماعة اجتمعوا في
مجلس لطيف من الناس يشربون الخمر فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم بعض
من زارهم لساقيه وهم سكارى ويحكم ما صليتم منذ ثلاثة أيام فقام واحد يصلي فقام
فطلع فأذن وقال للقينة تقدمي وصلي بنا واقرئي في صلاتك

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

فتقدمت وصلت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة رقيقة تظهر سائر جسدها فلما
فلما سجدت انكشف سترها وبدا فرجها فوثب المطيع وقبله ثم قال

ولما بدا فرجها جاثما * كرأس حليق ولم يعتمد
سجدت عليه وقبلته * كما يفعل العابد المجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا لشرابهم (ومن أشعارهم) قول أبي نواس

إنما الدنيا غلام * وطعام ومدام
فإذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

فويل لهم ألم يعلم غافلهم وجاهلهم بأن الله يرى وأن بين يديه ما قدموا ولكن
غرهم الإمهال حتى ظنوا أنه إهمال فنسأل الله من فضله العفو بفضل الطاعة
وأن يمنحنا من العمل ما يفوز بأجره إلى قيام الساعة آمين.

ومن خلائق العرب في الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرقاعة

قال الشافعي أظلم الناس لنفسه اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف
بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل (وقال) أبو مسلم ما تاه إلا وضيع ولا فاخر إلا
لقيط ولا تعصب إلا دخيل (وقال) عمر ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا لمهانة يجدها
في نفسه (وقال) الإعجاب يغطي سائر المحاسن ويكفي في ذم التكبر قول الله تعالى
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال ابن عيينة حرمهم فهم
القرآن (قال) بعض العلماء التكبر من أخس سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب
لا يرى صاحبه أبدا إلا غضبان ولا يرى لأحد مساواة في الفضل حظا فخطا
وكفى به سمة مشؤومة وخلة مذمومة أهلكت الأكاسرة وقد كان وعاد المتكبر
من الرجال ذميما مليما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في
قلبه مثقال ذرة من كبر (وكان) يقال من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل
ومن أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره (وقالوا) من قل لبه كثر عجبه (وقال)
أردشير بن بابك ما التكبر إلا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يذهب به فصرفه إلى التكبر

بأمته والعامة فهمّا الخمر فلاهيا باللهو واللعب مصرا على ارتكاب
الفحش مشتغلا بذلك لاعبه عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة
وتدبير المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

مضى الخلفاء بالأمر الحميد * وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأي السديد

(ذكر) بعض المؤرخين ان المؤذن أذنه يوما للصلاة وهو في لهوه فأمر جارية من جواريه
أن تؤم وتصلي بالناس فخرجت على هذه الصفة وصلت بهم
(ومن) تهكمه بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان والشاهد عليه ما قال انه

(شعره) ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
(وقوله) يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن والبارد والفاتر

(ويحكى) أنه استدعى أشعب الطامع من المدينة وألبسه سراويل من جلد قرد له
ذنب وأخرج عليه فصار يرقص فلما فعل ذلك أعطاه ألف درهم وقيل انه لما دخل
إليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قال لا قال فاسجد له فسجد
وهو القائل مخاطب المصحف وقد جعله هدفا حين تفاءل منه فخرج قوله تعالى
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

السبب في قوله هذا أنه لما رأى حالته قد اختل نظامها ودولته مدبرة وقد بعثت
بأمرها فتح المصحف يتطير فيه فالخرج له واستفتحوا الآية ومن قوله مخاطب
المصحف فقل من بدل وحرف

تذكرني الحساب ولست أدري * أحقا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي * وقل لله يمنعني شرابي
تلاعب بالنبوة هاشمي * بلا وحي أتاه ولا كتاب

منعه الله طعامه وشرابه كما أراد في مقاله وسلط عليه من قتله وهكذا عادة الله
في أمثاله فقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ست وعشرين
ومائة بالبخراء وهو قصر على ستة أميال من تدمر وله من العمر اثنتان وأربعون
سنة وقيل سبع وثلاثون وأشهر وكانت مدة خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما
وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وقرن به دف وطنبور ولم يزل أثر الدم على الجدران
الى أن قدمها المأمون سنة خمس عشرة ومائتين فأمر بحكه (وكان) والده من الجمال

قال قلت فأذن لي في تقبيل يدك قال لا تقبلان يد أحد ولكن امش في ظل ناقتي فكفاك
ذلك شرفا وإن الظل لك لكثير قال معاوية فما سايرت في مثل ذلك اليوم قط والله كأنه
أنه من جهلهم ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا
(وحكي) أن عمارة بن حمزة وكان متكبرا جدا دخل على المهدي يوما فلما استقر به
مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعده ليتهكم بعمارة فقال مظلوم يا أمير المؤمنين
قال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعتي وكانت من أحسن ضياع عمارة فقال
المهدي قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم إن كانت الضيعة
له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير
المؤمنين ولما خرج الرجل وانفض المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه
وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم (وكان) من تيهه أنه إذا أخطأ يمضي في خطئه تكبرا
عن الرجوع ويقول نقض وإبرام في ساعة واحدة الخطأ أهون منه (وقال) ابن
عبدوس الجهشياري كان عمارة أعور دميما إلا أنه كان مهيبا وكان يتولى الخراج وكور
دجلة والأهواز وكور فارس وقلده المهدي ذلك أيضا * وكان عميد الدولة بن
جهير وزير المستظهر بالله متكبرا كثير الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان إذا كلم
رجلا كلاما سر بذلك الرجل وتكلم به وهو من الكبر المستشنع وإنما
المستشنع ما يحكى أن نوابه دعا أكارا فكلمه فلما فرغ من كلامه دعا بماء وتمضمض
به استقذارا لمخاطبته (وأنشدت) لبعض المتكبرين شعرا

أتيه على جن البلاد وإنسها * ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي
أتيه فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي
فإن زعموا أني من الإنس مثلهم * فما لي عيب غير أني من الإنس

(ولابن صابر) أيها المدعي الفخار دع الفخـ * ـر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد صاحب الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

(ووصف) البديع الهمذاني متكبرا فقال كأن الفلك إن اتهم في سحره وحساب
جراحها في صدره وكأن الشمس تطلع من جبينه والغمام يندى من يمينه وكأن
كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته (وقال آخر) كأن الحبشة ربقته
والزنج حفدته والصبح ابنه والهلال نعله * وقال سعيد بن ... في سعيد بن
مسلم بن قتيبة أمن همدان ولادته * ماذا تنأيا بالكبر والتيه
لو أن أدركت به هكذا * صبيا حرية أكليه

(آخر) كبر بلا نسبة بلا حسب * وذيل بلا أدب هذا من العجب

وقال الشاعر

وقل لمعجب بالتيه من حمق * لو كنت تعرف ما في التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

(آخر) رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة * إذا كان يسمو بالتعجب والكبر

ومن ظن أن العجب من كرمه * فإني رأيت العجب من صغر القدر

(وأنشد) الإمام شمس الدين محمد عرف شافي رأسه الهوى لنفسه

ومعتقد أن الرياسة في الكبر * فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري

يجر ذيول الفخر طالب رفعة * ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

(وقال معاوية) إن التواضع مع الجهل والبخل أزين بالرجل من الكرم مع الذل والعقل فيا لها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ويا لها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين * وقالوا من أصاب سلطانا أو جاها فأصاره إلى كبر وترفع أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه وأنها دون ما يستحق * مر المهلب بن أبي صفرة على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر في مشيته فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني فقال له ومن أنت قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة (نظم) بعضهم هذه الحكايات فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان بالأمس نطفة مذره

وفي غد بعد حسن طلعته * يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(ولآخر) يا مظهر الكبر إعجابا بصورته * انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة * وهو بخمس من الأقذار مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدا * أقصر فإنك مأكول ومشروب

(ومن طريف) ما يذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل الحضرمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من سادات العرب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به إلى منزل رجل من الأنصار لينزله عنده وكان منزله بأقصى المدينة قال معاوية فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة قيظ يشوي الوجوه وليس لي حذاء فقلت له أردفني خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت إني ابن أبي سفيان قال قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم

كم رفيع حطه في حضيض ⁂ ووضيع ألحقته بالثريا

(آخر) مثل الزمان يرفع سفلا ⁂ ما لديه ويجمع المال نبلا

فهو مثل الميزان يرفع ما خف ⁂ ويهوي في الوزن ما ثقلا

(ولقد أحسن الآخر في قوله)

سألت زماني وهو بالنقص مولع ⁂ وبالجهل مشغوف وبالنقص مختص

فقلت له هل من طريق إلى العلا ⁂ فقال طريقان الوقاحة والنقص

(وقال) اتضاع الأعالي بارتفاع الأسافل وإذا ارتفعت الأراذل هلكت الأفاضل (وقال) قيس بن زهير أربعة لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت (وقال) أردشير ماسي في أمثال الأول أمر من رفع وضيع إلى مرتبة شريفة فإن الوضيع إذا ارتفع تكبر وإذا عزل استطال وإذا افتقر صال (وقالوا) سوء الفعل ولاية السفل ⁂ (ولنرجع) إلى خبر أبي بكر الخوارزمي الذي وعدنا به شريعة الإنصاف وحسن موقعه من العقلاء ماذا الخلاف قال لا صغير في الولاية والعمالة ولا كبير مع العطلة والبطالة وإنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها والصدر من يليه والدست من يجلس فيه والأعمال بالعمال كما أن النساء بالرجال (ويؤيد) قوله هذا أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى الهادي وكان أميرا على مصر عزم على خلعه فقال والله لأعزلنه بأخس من على بابي وقال ليحيى بن خالد اطلب لي كاتبا عفيفا يصلح لعمل مصر واكتم خبره ولا تشعر به موسى حتى يفجأه فقال قد وجدته قال من هو قال عمر بن مهران وكتب له معه كتابا إلى موسى بتسليم العمل إليه فسار وليس معه غير غلام أسود اسمه أبو درة على بغل استأجره ومعه خرج فيه قميص ومبطنة وشاش وطيلسان وخف فلما وصل إلى مصر نزل خانا فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعمن فيه من العمال وأخبر من كان يجاوره في الخان أنه قد ولي مصر واستعمل منهم كاتبا وحاجبا وصاحب شرطة وقال احترزت المال وأمر من بعثه ووثق به أن يدخل معه على موسى فإذا سمعوا حركة في دار الإمارة هجموا على الديوان فلما أبرم أمره بكر إلى دار الإمارة فأذن موسى للناس إذنا عاما فدخل في جملتهم ومن أتى معه وموسى جالس في دسته والقواد بين يديه وكل من قصد حاجته يعرف وعمر جالس والحاجب لا يعرفه ساعة يسأله عن حاجته وهو يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم قال أقرئ أبا حفص السلام وقل له كن هنا حتى نعد لك منزلا وأمر الجند يستقبلوك قال أنا عمر بن مهران وقد أمرني أمير المؤمنين أن أقيمك للناس

(والهجو) المطبوع البديع قول بعض الشعراء في أبي جعفر العباس بن الحسن

ان ابن عباس أبا جعفر * يبذل للسائل أوراكه
يراه من يعجبه ومن نحوه * كأنه بالك الذي ناكه

(ولام) بعض المنكرين على الاعجاب وقال المواضع تكسب المحبة والافراط في المؤانسة يوجب المهانة وأنشد

وهبك أكرمها فاملك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

(وقال في معناه صالح بن عبد القدوس)

اذا ما أهنت النفس لم تلف مكرما * لها بعد ما عرضتها لهوان

(آخر) وأكرم نفسي اني ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدي

(واعتذر متكبر عن كبره بقوله)

ومالي وجه في اللئام ولا يد * ولكن وجهي في الكرام عريض
أهش اذا لاقيتهم وكأنني * اذا أنا لاقيت اللئام مريض

(الفصل الثالث من الباب الثاني)

(في أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع)

(قال) سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال وقال لولم يرغب في الدنيا الا انها في يد الانذال لكان ينبغي لذلك هوانها على الله *وقال الساقي في ذم الدهر وسوء معاملته لسراته ويقظاته لهم أكواب حسراته

يحسن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

(ابن الرومي) رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذي زنة خفيفه

(آخر) رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع رايه القوم اللئام
كأن الدهر موتور حقود * يطالب حقه عند الكرام

(وقال اسامة بن منقذ)

شغل الزمان باهل النقص يرفعهم * حتى يخيل للوراث ما حجروا
ألهاه رفع لئام الناس فهو عن * ذوي المكارم والافضال مصطفى

(آخر) يا دهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا
وغدوت كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض لاعتداله زائدا

(آخر) قل للدهر من المكارم عاطل * يا فتح العمال خيم الجفا

فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص ❊ يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ❊ ولم يكن المقالة عن زياد
ولكني أخاف صروف كف ❊ لها ثمر تطير عن البلادي
فقد طالت مجاملتي ثقيفا ❊ وتركي فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبي سفيان فلتة وذلك الذي حمل معاوية على إلحاق زياد بأبي سفيان وذلك في سنة أربع وأربعين وشهد بذلك زياد بن أسماء ومالك بن ربيعة والمنذر ابن الزبير على إقرار أبي سفيان بأنه ولده وكان أبو بكرة يقول ما رأت سمية أبا سفيان قط (ولما) ألحق معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم عليه فأنشده قول أخيه عبد الرحمن فيه

ألا أبلغ معاوية بن صخر ❊ فقد ضاقت بما يأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف ❊ وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن آلك من زياد ❊ كآل الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زيادا ❊ وصخر من سمية غير دان

وهذا الشعر يؤيد قول أبي بكرة ويروى أنه ليزيد بن مفرغ الحميري وأولها

ألا أبلغ معاوية بن صخر ❊ مغلغلة من الرجل اليماني

(وقال يزيد) إن زيادا ونافعا وأبا ❊ بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا ❊ في رحم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا ❊ مولى وهذا بزعمه عربي

وهذا يشير إلى أن الثلاثة أولاد الحرث بن كلدة (وليزيد) يهجو عباد بن زياد

أعباد ما للؤم عنك محول ❊ ولا لك أم من قريش ولا أب
وقل لعبيد الله ما لك والد ❊ بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

(وسأل) رجل الشعبي هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا فقال من منعه لا يأمن أن يصلي خلفه ويرجو من الله القبول بعد زياد وقال زياد لرجل يا ابن الزانية فقال أتسبني بشيء شرفت به أنت وآباؤك (قال المدائني) قدم زياد البصرة مع أخويه أبي بكرة ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلمين العربي والفارسي فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم عن القلم العربي ودرهم عن القلم الفارسي ثم عرف بالكمال وظهرت فراسته وانتهى أمره إلى أن ادعاه معاوية أخا وولي فارس لعلي رضي الله عنه ثم استعمل مالا وهرب إلى معاوية ثم ولاه العراقين وهو أول من جمعا له وجمعا بعده لابنه عبيد الله ولمصعب بن الزبير ولمسلمة بن عبد الملك ولعمر بن هبيرة وليزيد بن عمر بن هبيرة ولم يجمعا لأحد غير هؤلاء في أيام بني أمية

وأنصف المظلوم منك وأنا فاعل ما أمرني به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر واضطرب المجلس فقبض عمر على الدواة فقلع موسى الخاتم فرمى به عن فرشه وقال لا إله إلا الله هكذا تقوم الساعة ما ظننت أن أحدا يبلغ من الحيلة والحزم ما بلغت فسقطت من العمل وأنت في مجلسي ثم نهض عمر إلى الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعزل وولى وكان بمصر قوم يدافعون الخراج فأحضر أشدهم مدافعة فطالبه فاستمهله ثم طالبه الثانية فاستمهله فلما كان في الثالثة فاستمهله حلف أيمانا مؤكدة أن لا يستأديه إلا في بيت المال ببغداد ووكل به من أشخصه إلى بغداد فخاف الناس من مثل ذلك فلم ينكسر من الخراج بعدها درهم (وإنما) ذكرنا هذه الحكاية لما فيها من التنبيه على أن الرتبة النفيسة إذا وليها ذو القدر الحقير والنفس الخسيسة لا يكون ذلك قادحا في جلالها ولا مغيرا الشاعر حالها وإنما ذلك بحسب ما ينظر إليها الزمان فربما نظر إليها بعين أو بطرف الهاجر مان فإن سعدت وليها من هو أكرمها وإن حرمت تولاها من يصرف السعد عنها

❊ذكر من نال المراتب السنية من ذوي الأعراق الدنية❊

ونقتصر منهم على ذكر ثلاثة وهم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وإنما اقتصرنا على هؤلاء لأنهم أقاموا دول من كانوا نوابهم من الخلفاء فزياد لمعاوية والحجاج لعبد الملك ابن مروان وأبو مسلم لبني العباس (فأما زياد) فقيل فيه زياد بن أبيه وقيل زياد بن عبيد الثقفي وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبي سفيان وإنما قيل ابن أبيه لاختلاف الناس فيمن ينسب إليه وسمية كانت عبدة لكسرى فوهبها لأبي الخير فلما من أبناء الحيرة فلما دخل بها الطائف مرض فطلبه الحرث بن كلدة طبيب العرب فشفي فيه فطبه فوهب له سمية فولدت له نفيعا وتكنى أبا بكرة ونافعا ثم كانت تحت عبيد لصفية بنت عبيد الله بن أسد بن علاج الثقفي وكان يسمى عبيدا فولدت له زيادا ويقال إن أبا سفيان وقع بها على كره منها في حال سكره وكانت بغيا فحملت منه بزياد وقيل لعبيد انه أمر لحشك فكان عبيد يكنى به ❊وروى ابن عبد البر في الاستيعاب أن زيادا اشترى عبيدا بألف درهم وأعتقه فكانوا يغبطونه بذلك❊ وأما السبب في إضافة أبي سفيان زيادا إلى نفسه وإلحاقه به فذكر أن عمر بن الخطاب بعث زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فلما رجع من وجهه خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني لأعرف من وضعه في رحم أمه فقال له أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له علي رضي الله عنه مهلا يا أبا سفيان

فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين ممسوح الساقين أصك الرجلين
أراك قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فاذكر مكاسب
آبائك بالطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم
وايم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لأغمزنك غمز الليث الثعلب ولأركضن بك
ركضة تدخل منها في جعس أمك فإذا أتاك كتابي هذا فكن لي أطوع من
عبد لسيده وإلا أتاك مني سهم مشكل ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (وصف)
الحسن البصري الحجاج فقال أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر
فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله
وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك
السيف والسوط

(وفيه يقول الأجر بن سالم وأحسن)

نعف بقايا من ثمود ونالهم ❊ أبناء من قيس عيلان ينسب
وإن تدعى بابن يوسف فيهم ❊ زنيم إذا ما حصلوا متذبذب

ويقال إن الحجاج طلبه فهرب إلى الهند فأخذ عامله عليها فقتله وأحرقه وذراه
في الريح (وجرى) بينه وبين بعض الخوارج مباحثة فقال له الخارجي لو لم يكن
من لؤم أصلك إلا أنه ولدك لكفاه فأمر به فقتل (وقال) الحجاج يوما لعبد
الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لأني لم تلدني أمة بيني
وبين حواء إلا هاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر لكنت كأمس الكلاب (وأول)
ولايته ولاية تبالة فلما رآها استقلها فرجع عنها فقالوا في المثل أهون من تبالة على
الحجاج ❊ وأول أمره ومصيره إلى روح بن زنباع وتصرفه فيما هو من أمره معه
وكيفية وصوله إلى عبد الملك في المجلد الثالث من التذكرة ❊ وفي كتاب أخبار
القدماء وذخائر الحكماء لأبي حيان التوحيدي في سبب تولية الحجاج العراق قال
العتبي لما استدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال
إن نيران أهل العراق قد علا لهبها وكثر حطبها فجمرها خاب ونارها وار فهل
من رجل ذي سلاح عتيد وقلب حديد أخمدها فقام الحجاج وقال أنا يا أمير
المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم
أعاد الكلام فلم يقم أحد غير الحجاج فقال كيف تصنع إن وليتك قال أخوض
الغمرات وأقتحم الهلكات فمن نازعني حاربته ومن هرب مني طلبته ومن
لحقته قتلته أخلط عجلة بتأن وصفوا بكدر وشدة بلين وتبسما بازورار وعطاء
بحرمان ولا على أمير المؤمنين أن يجرب فإن كنت للأوصال قطاعا وللأرواح نزاعا

﴿ومنهم كليب ثقيف الحجاج ذو المراء في سفك الدماء واللجاج﴾

ولؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه * قيل إن أم الحجاج واسمها الفارعة
بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل
عليها يوما ما حين أقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل
من أكل اليوم إنك لنهمة وإن كان من أكل البارحة فإنك لقذرة النصر فبانت
طالق فقالت بعدت عنك ما هو من ذا ولا من ذاك ولكني استكت فبقيت من
سواكي فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف بن الحكم بن عقيل فقال إني قد نزلت
اليوم عن خير نساء ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها فولدت له الحجاج مشوها
لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل الثدي من المراضع وأعياهم أمره فقال إن إبليس
تصور لهم على صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه
دمه يومين وفي الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه عاتق منه
فإنه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي أمه فأكسبه الرضاع الأول لؤما
والرضاع بعد الفطام فكان في كبره سفاكا للدماء ولما بلغ أشده صار هو وأخوه
معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الريب يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي

(وقال) آخر يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الأزهر

هكذا رواه جميع الأخباريين والصواب ما ذكره الحموي في كتاب البلدان له قال
الكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد شاهدا على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون أصح كما هو الأولى به وقد يقع فيه الولوع وقال آخر

كليب تعاظم في أرضكم * وقد كان فينا صغير الخطر

(ورأيت) في بعض كتب التواريخ أن الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل
ترى ملكا يموت قال نعم ولست به إني أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله
كانت بذلك تسميني أمي (ومما يؤيد) ما ذكرنا من لؤمه ما كتب به إليه عبد
الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضي الله عنه أما بعد فإنك طمت بك
الأمور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت قدرك وركبت داهية دهياء
أردت أن تروزني بها فإن سوغتكها مضيت قدما وإن لم أفعل رجعت القهقرى

فلعنك

أبا جعفر ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا جعفر خوفتني القتل فانتحى * عليك بما خوفتني الأسد الورد

وقد تقدمت ترجمته وكيفية قتل المنصور في المجلدة الثالثة من التذكرة الموحدية (وخطب) المنصور لما قتله فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة فإن أحدا لا يسر منكرا إلا ظهر ذلك عليه في فلتات لسانه وصفحات وجهه وبوادر نظره وإنا لن نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه انه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه خبء هذا الغمد وإن أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بيعتنا أو أضمر غشا لنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث هو فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيرنا ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه (وإنما) اقتصرت على ذكر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم لعظم ما ارتكبوه من الجرائم التي نهى الله عن فعلها وأكد في التحذير منها وبالغ في الوعيد عليها وهي قتل النفس بغير حق واستباحة حرم ما لها التي حرمه تكرمها وهذا لا يرضى فعله كفرة أهل الكتاب ولا من يعتقد أن إلى الله المرجع والمآب

* ومما ينبغي أن يلحق بهذا الفصل تسلي من حقيقة الزمان من أهل الفضل *
* بقلة الكرام وكثرة اللئام وتقلب الأحوال على مدى الأيام *

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كإبل مائة لا تكاد توجد فيها راحلة (وقالوا) الكرام في اللئام كالغرة في جبهة الفرس أو كالرقمة في يد الدابة (وقيل) لا يكاد يوجد كريم حتى يغاص إليه ألف لئيم (قال) السموأل بن عاديا اليهودي

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الأكثرين ذليل

وقال ابن المعتز إذا هرمت الدولة وقرب زوالها طلب بالاسد ارتفعت درج الأشرار (وقال) أبو طالب علي بن أبي الفرج المعروف بابن زيادة البغدادي الكاتب

باضطراب الزمان ترتفع الأنذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساكنا وإذا حرك ثارت من قعره الأقذاء

وكان علي بن الحسين بن علي الوزير المغربي ألم بهذا المعنى بقوله

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى * سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا الماء إن حركته يد * طفا عكر راسب في إنائه

(ومن أحسن) ما ورد في هذا الباب ما حكي أن المعتصم لما أراد أن يرقي أشناس التركي عقب فتح بابك أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له فكان فيمن ترجل

ولا يموّل جماعا والا فاستبدل بي فقال عبد الملك من تأدب وجد بغيته
اكتموا له كتابه

ومنهم ذو الأصل النبيه والحسب الأتيه أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية

كان أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبدا لعيسى بن معقل فباعه لأخيه إدريس
جد أبي دلف واسمه قاسم بن عيسى بن إدريس العجلي وكان قهرمانا فحبس إدريس
في الكوفة وأبو مسلم معه يخدمه فرأى بكر بن ماهان من أبي مسلم حذقا وكيسا
قال لإدريس ما هذا الغلام فقال مملوك لي قال تبيعه لي قال هو لك قال لا بد من ثمنه
قال هو لك بما شئت فأعطاه أربعمائة درهم واحدة وبعث به إلى إبراهيم بن محمد بن علي
بن عبد الله بن عباس المعروف بالإمام فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج فسمع منه
وحفظ عنه وما زال قدره ينبل حتى أرسله إبراهيم بالدعوة لبني العباس وذلك في
سنة ثمان وعشرين ومائة وله من العمر إحدى وعشرون سنة وقدم إلى خراسان
يدعو الناس إلى طاعتهم في أول يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل قرية من
قرى مرو ونشر دعايته فقال الناس رجل من بني هاشم فظهر له حلم ورواء ووقار
وسكينة فانطلق قوم من أهل مرو نساك وكانوا يطلبون الفقه فأتوا أبا مسلم في
عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبري خير لكم من نسبي ثم سألوه عن أشياء من الفقه
فقال إن أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن إلى عونكم أحوج
منا إلى أجوبة مسائلكم فاعفونا فقالوا والله ما نعرف لك نسبا وما نظنك تبقى إلا
قليلا وتقتل وكان كذلك (ومن الدليل) على لؤم أصله ما فعله به أبو جعفر
المنصور وأنه كتب إليه يخطب إليه آمنة بنت علي بن عبد الله بن عباس وزعم
أنه ابن سليط بن عبد الله فقال له المنصور عند ما عدد ذنوبه لما أراد قتله لقد
ركبت لا أم لك مرتقى صعبا حتى طلبت آمنة بنت علي ثم زعمت في نسب العباس
(وقيل) علمه أصحابه كيف الدخول على الإمام فلما دخل قال إيانا الله وإياك وبدأ بنفسه في الدعاء
(ولما) أراد المنصور قتله استشار مسلم بن قتيبة في ذلك فقال لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا فقال حسبك بالأمانة فلما دخل العرض ثم استدعاه ولم يأذن لأحد معه
فدخل عليه وأخذ يعدد عليه الأشياء التي نقمها فلما تناوله منه جعل لا يذكر فعلا إلا
ويعتذر عنه وهو يعدد ثم رفع رأسه وصفق بيده فوثب عليه المرصدون لقتله فقتلوه
وخرج إلى قواده وجنوده بالجوائز والخلع فسكت عنهم ثم رمى برأسه إليهم فتفرقوا
وجعلوا يقولون مضى مولانا أبا إبراهيم إنا لله وإنا إليه راجعون وذلك في سنة سبع
وثلاثين ومائة (وكان) مولده على رأس المائة وفيه يقول أبو دلامة واسمه زند بن
الجون

وذل العزل يضحك كل يوم * ويسقر في قفا الوالي المدل

(وله) كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد

سكر الولاية طيب * وخمارها صعب شديد

(ابن زياد) لا يعطين وزير الملوك وان * أدناه الدهر منهم فوق رتبته

واعلم بأن له يوما يغور به * الارض اطرابا كما زرت لهيبته

هرون وهو أخو موسى وناصره * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

(ولآخر) تنح عن الوزارة لا تردها * وكل الخير فيها لا تريد

ألست ترى وزير كل يوم * يداع مساءه فيمن يريد

(ومن العجب) ما يحكى في تبدل الأحوال أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل على ألف بعير ثم رؤي ثقله في زنبيل وفيه أدوية غلمانه تنقل من مكان الى مكان ورؤي ثقل الحسن بن سهل في زنبيل فيه نعلان وقميصان واصطرلاب ثم رؤي ثقله على ألف بعير (قال بعضهم)

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريش خسيس الحال ترفعه * الى السماك وطورا تخفض العالي

(وبعث) أبو جعفر المنصور على وزيره أبي أيوب المورياني فقال

ألا ليتني لم آلق ما قد لقيته * وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا

رأيت علو المرء يدعو انحطاطه * ويدني وسيط الحال من كان ناجيا

ولهذا فضل الفقر مع الأمن على الغنى مع الخوف (وقال) بعضهم مسليا عن البطالة

لعمرك ما طول البطالة ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعة

اذا كانت الأرزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعة

وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعة

(آخر) كن عن فضول النفوس مانع * لا تطلب الا كرى المسامع

فلن يزال الفتى بخير * ما لم تشر نحوه الأصابع

(ابن مقلة يقول عندما نكب)

زمان يمر وعيش يمر * ودهر يكر بما لا يسر

وحال تذوب وهم يذوب * ودنيا تنادي بأن ليس حر

(آخر) وأحسن ما استشعر المبتلى * بعقد النوائب حلم وصبر

ولله في كل ما نابه * وأبلى به حمد وشكر

(سمع) أعرابي يقول هذا الذي لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء

وقيل لابن الجهم بعدما صودر وما نكب في زوال نعمتك قال لا بد من الزوال فلأن

الحسن بن سهل فرآه ماهنأه عيشى و بعثرفه مكى رحمة له فقال له لايهولنك ما تراه ان الملوك شرفهم شرف لنا (ولما عزل) قتيبة بن مسلم وكيعا عن رياسة بنى تميم قال شاعرهم

فان تك قد عزلت فلا تعتب * ضياء الشمس تغشاه الظلام

(وقال آخر يسلي معزولا)

عزلوه كالذهب المصفى لا ترى * حالا مغيرة له عن حال

لم يعزلوا الاعمال عنه وانما * عزلوا العفاف به عن الاعمال

(آخر) ان الولاية لا تدوم لواحد * ان كنت تنكر ذا فاين الاول

لا تجزعن فلكل وال معزل * فكما عزلت فمن قبل تعزل

ومن أحسن ما قيل في تسلي معزول قول محمد بن يزيد الاموي في مالك بن طوق

ليهنك ان أصبحت مجتمع الحمد * وراعى المعالي والمعالي من المجد

وانك بت الناس فيها وانه * وفرقت ما بين العداوة والرشد

فلا تحسب الاعداء عزلك مغنما * فان الى الاحرار عاقبة الورد

وما كنت الا السيف جرد في الوغى * فاحمد سلا ثم رد الى الغمد

(آخر) ما احتلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل النعيم من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

(علي بن الجهم) للدهر ادبار واقبال * وكل حال بعدها حال

وصاحب الايام في غفلة * وليس للايام اغفال

كم أرتب الدنيا وكم جددت * من وكم بعدى ونعمال

تشهد أعدائى بأنى فتى * قطاع أسباف ووصال

لا يملك الشدة عزمى ولا * يبطرنى جاه ولا مال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه ولا يضع شيأ الا رفعه (كتب) بعض الناس على خاتمه اصبر فالدهر دول

(راجز) والدهر بالناس ذو دول * كراحل قيل نزل * ونازل قيل رحل

وقال علي رضى الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء (وقال) مطرف لا تنظروا الى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم * وأنشدت لابن الاعرابى

رب قوم رتعوا في نعمة * زمنا والعيش ريان غدق

سكت الدهر طويلا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

ويقال لا يقوم عز الولاية بذل العزل (ويقال) العزل طلاق الرجال * قال ابن المعتز

لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (وروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل في القلب به يفرق بين الحق والباطل (وقال) بعضهم هو في الدماغ وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (وقال) عمرو بن العاص يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة وينتهي طوله لإحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعد ذلك تجارب وقال بعضهم كل شيء مفتقر إلى العقل والعقل مفتقر إلى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله (وقال) بعض الحكماء أربعة تحتاج إلى أربع الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة (وقال) هرم السن شباب العقل وقال البستي

ما استقامت قناة رأيي إلا ** بعدما عوج المشيب قناتي

﴿وما جرى من محاسن الكلم وأسناها في أن العقل أشرف المواهب وأسناها﴾

(قال) ابن عباس رضي الله عنه دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده والآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال لي أحسنهما عقلا قلت يا رسول الله إنما أسألك عن عبادتهما فقال يا عائشة إنهما لا يسألان عن عبادتهما إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة (وروي) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس وروى البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء ثقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا (وقال) بزرجمهر الإنسان صورة يمثلها العقل فإن أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بإنسان قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ** أدنى إلى شرف من الإنسان

(وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما لا أعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيئا آخر (وقالت) عائشة رضي الله عنها أفلح من جعل الله له عقلا (وقال) مطرف ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من العقل وقال ما تم دين امرئ حتى يتم عقله وما استودع الله رجلا عقلا إلا استنقذه به يوما ما وقال الأحنف لو صور العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار (وقال بزرجمهر) العاقل كالسلطان [illegible] أنه [illegible] وإن [illegible] (وقالوا) كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا ولو بيع لما اشتراه إلا العقلاء لمعرفتهم بفضله (وقال) رسول الله صلى

تزول وأبقى حجر من أن أزول وتبقى (وقيل) لأعرابي صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبي إذا لعب

الباب السادس في العقل وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب

في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله

(قال الله تعالى) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (وسئل) الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند الأشياء قولا وفعلا (وسئل) آخر فقال الإصابة بالظنون والتنبه لما كان وما يكون ومراده في القسم الثاني التجربة (وقالوا) هو درك الأشياء على ما هي عليه من حقائق معانيها وصحة مبانيها (وقيل) لحكيم ما مقدار العقل فقال ما لم ير كاملا في أحد فلا يعرف له مقدار (وقالوا) لكل شيء غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب (واختلف) الحكماء أيضا في ماهيته كما اختلفوا في حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو البصر فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الأعمى من عمي بصره ولكن الأعمى من عميت بصيرته (وقال بعض الحكماء) العقل غريزة لا يدرأ بحسبان نصفها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف إلا بالأقوال والأفعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل إلى أن نصفه بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول (وقال العتبي) واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة البصر أخذه من هذه الأبيات وتنسب إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

ويفهم من فحوى ما ذكرناه أن العقل في القلب وهذا القول هو الموجود بحجة النظر والمعلوم من جهة الأثر (قال) الله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون

(آخر) يُعدّ رفيع القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حلّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

(وقال طاوس) ما قلادة نظمت من درر وياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقله لأراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أعطي حظه من العقل

﴿وما أنشد من الكلام الرائع الرائق فيما يمتاز به العاقل من المائق﴾

قال بعض أهل العلم إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال إن الله يخيرك واحدا من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء في الجنة فمد يده إلى العقل وقال للباقين اصعدا فقالا لا نصعد فقال أتعصياني فقالا لا نعصيك ولكنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق إلى بر من فوقه ويتبع الفرصة إذا أمكنته لا يفارقه الخوف ولا يصحبه العجب يتدبر ثم يتكلم فإذا تكلم غنم وإذا سكت سلم وإذا اعترضت له فتنة اعتصم بالله * وقال أبو عماد مادحا

عريب السفاهة ما تزال عقولنا * مدلهة في جهله من ضلاله
عداة التحى في عنفوان شبابه * وأقبل كهلا قبل حين اكتهاله

(وقالوا) من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك ما لا يعني * وفي حكمة داود على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على شأنه (وقال) بعض الحكماء أربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب (وقالوا) إن أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل وإن صدقه فهو أحمق (وقالوا) لا يحدث العاقل من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد بما لا يستطيع إنجازه (وقال) لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى تكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ماله مبذولا لا نصيب من الدنيا إلا القوت التواضع أحب إليه من الشرف والذل أحب إليه من العز لا يسأم من طلب المعالي ولا يتبرم بطلبات الحوائج إليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وأنه شرهم وهذه الخصلة يشيد مجده ويكمل سؤدده ويعلو قدره وتطيب في العالمين ذكره (وقالوا) العاقل إذا والى بذل في المودة نصره وإذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله (وقال) المهلب بن أبي صفرة وامتحنه طالب بن سراقة يعجبني أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله

الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر وبذر الآخرة
العقل ولكل شيء فسطاط وفسطاط الأبرار العقل (وقال) العقل وزير رشيد
وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم يصف العقل

لله در العقل من رائد * وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب * قضية الشاهد للأمر
إن شاء في بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
بذي قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

(آخر) العقل حلة فخر من تسربلها * كانت له نسبا تغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

* ومن قولهم في أن من وهب الله له عقلا كسي من المناقب حلة لا تبلى *

قال أبو هريرة رضي الله عنه لو أردت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت ما فاتني من
أنواع التطوع (وقال وهب) مثل العقلاء في الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم
الدنيا إلا بهما كذلك المرء في الدنيا لا حظ له إلا إذا كان عاقلا (وقيل) لأنوشروان
أي الناس أولى بالسعادة قال أبعضهم ذنوبا فقيل من أبعضهم ذنوبا فقال أتمهم عقلا
(وقالوا) إذا كان العقل في النفس اللئيمة كان بمنزلة الشجرة الكريمة في الأرض
اللئيمة يضيع ثمرها على حسب المغرس فاجتن ثمر العقل وإياك من لئام الأنفس
وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في قوله لولده الحسن رضي الله عنه
خذ الحكمة أنى أتتك فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فلا تزال تختلج في صدره
حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها (وقال) سعيد بن جبير لم يعط أحد أفضل من فضل
عقل يرتدي به الرجل إن انكسر جبره وإن صرع انعشه وإن ذل أعزه وإن
اعوج أقامه وإن عثر أقاله وإن افتقر أغناه وإن عري كساه وإن غوى أرشده
وإن خاف أمنه وإن حزن أفرحه وإن تكلم صدقه وإن أقام بين ظهراني قوم
اغتبطوا به وإن غاب عنهم أسفوا عليه وإن بسط يده قالوا جواد وإن قبضها قالوا
مقتصد وإن أشار قالوا عالم وإن صام قالوا مجتهد وإن أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
يزين الفتى في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويشين الفتى في الناس قلة عقله * وإن كرمت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه

(آخر) ما وهب الله لامرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن عدما * فإن فقد الحياة أجمل به

والمال لا تحرسه العلم (قال) بعض الحكماء إذا اجتمع العقل والعلم في رجل فقد استطاب الحياة وتمسك بالدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا (وقالوا) العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف نحلة تنتحى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل إلى معرفة الحقائق ويتوسل إلى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعها وأزكاها لا يضيع أبداً أهله ولا يفتقر كاسبه ولا يخيب طالبه ولا ينحط مراتبه (وقال) معاذ بن جبل تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والوزير عند الأخلاء والقريب بين الغرباء (شاعر)

أجل ما تقتني يوماً وتكتسب * وخير من خلال الدر أو نشب
علم شريف عظيم النفع قد وهبت * لحامليه بآفاق العلا رتب
إن عاش عاش جليلاً سامياً أبداً * لا يستضام ولا يعنى به نصب
وإن يمت فله ذكر يجدده * وما علمه يرجى ويرتقب

(آخر) العلم أعلى من الأموال منزلة * لأنه حافظ والمال محفوظ

(وقالوا) العلم عز لا يخلق جديده وكنز لا يفنى مزيده (وقال) ابن المقفع تعلموا العلم فإن كنتم ملوكاً فقتم وإن كنتم أوساطاً سدتم وإن كنتم سوقة عشتم (وقالوا) لو لم يكن من شرف العلم إلا أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك لكفى بذلك شرفاً (وقال بعضهم)

العلم فيه جلالة ومهابة * والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه * والعلم يبقى باقيات الأعصر

(ويحتاج) طالب العلم إلى ستة أشياء ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وإرشاد أستاذ وطول عمر ومعونة من الله تعالى وهذا أمل لا ينال إلا بالجد ولا علم إلا بطلبه

(نظم ذلك الشاعر فقال)

أخي لن تنال العلم إلا بستة * سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وإرشاد أستاذ وطول زمان

(وقالوا) العلم مستتر في الطالب فإذا احتيج إليه فهو حسن بقوة الدرس فإذا قوي بالدرس فهو يحب بطهره المناظرة فإذا ظهر فهو عقيم ما لم يحدث العمل (شاعر)

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب صونه عليه كما * يحفظ ما عاش عرضه ودمه
ومن حوى العلم ثم أودعه * بجهله غير أهله ظلمه

(وقالوا) زيادة العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة والله اعلم

﴿شوارد مجموعة في احداث ذوي العقل والحلم﴾

﴿الى اكتساب فضيلتي الادب والعلم﴾

(أما الادب) فقال بزرجمهر العقل يحتاج الى مادة الأدب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الاطعمة (وقالوا) عقل بلا أدب فقر وأدب بلا عقل حتف (وقالوا) عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وقالوا) لا عقل الا بأدب ولا أدب الا بعقل (وقال أفلاطون) عقل بلا أدب كالشجرة العاقر والعقل مع الادب كالشجرة المثمرة (وقال) بزرجمهر الادب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت (ابن المقفع) كما أن الادب لا يكمل الا بالعقل فكذلك لا يكمل العقل الا بالادب * وقالوا احرص أن لا يكون أدبك عورة من عوراتك فان من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف في الغنم الكثيرة * وقال أدبوا أولادكم صغارا تقر أعينكم بهم كبارا (شاعر)

ينفع الادب الاحداث في صغر * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقال) عبد الملك بن مروان لاعرابي ولك ستون سنة وأدبه ستا واستحسنها ان أنظر فاني حملته على عادته ولا تنس قول من قال

فتى لا يسر بنفع اهماله * يردد القول لهاديه
بصحيح الوقت بلا طائل * فيكثر القول ويهرى به
له الى الله وتدبيره * ثم الى الدهر وتجريبه
فانما الاهدار لا بد أن * يأتي على حاله وتجربته

وليس كما قال فانما الفضل في الاعمال ولا عذر له في الاهمال وعود الفساد أبدا انما يحتاج الى التثقيف وطيش الشباب يرده الحزم ولا غنى له عن التوقيف (ويحكى) أن أبا الأسود الدؤلي كان له ولد فترك الصلاة يوما وذهب يلعب مع الصبيان فكتب الى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لاكتاب تسعى لها * وعدو الفرس مع الغواة الارجس
فلما أتيت عادتا بصحيفة * [illegible] بكل صحيفة الملتمس
فاذا أتاك مصدرا فلامه * فعظه موعظة اللبيب الاكيس
واذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما يجرعني أعز الانفس

(أما العلم) فقدره كبير وفضله كثير ويكفي في شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطي الملك

والمال

وقد أشمت الأعداء جهلا بنفسه ※ وقد وجدت فيه مقالا عواذله

(آخر وأجاد) إذا ما دعتك النفس يوما لشهوة ※ وكان عليها للحرام طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما ※ هواها عدو والخلاف صديق

(وقالوا) كم من عقل أسير عند هوى أمير (شاعر)

وعاص الهوى المردي فكم من محلق ※ إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى

(ولبعضهم)

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى ※ من الناس إلا حازم الرأي كامله

(وقالوا) أعقل الناس من أنصف عقله من هواه ومنع نفسه مما يكون سببا لبلواه ولحظ الأشياء بعين فكره واعتباره فعلم من ورود الأمور عاقبة إيراده وإصداره فيحسن بأفعاله حمد الأوداء ويأمن في ماله كيد الأعداء كما حكي أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغدى معه فلما رأى عبد الملك طربه وأدبه قال له هل لك في منادمة عليه قال يا أمير المؤمنين لوني حائل وشعري مفلفل وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي لا لشرف أب ولا كرم أم وإنما بلغته بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه وما أحسن قول الجزاري مشيرا إلى قول نصيب

أرى الكأس تذهب عقل الفتى ※ فيلقى له عن كل مستمع

ولولا امتزاجي بكم لم أكن ※ لأشرب أكثر من أربع

وقالوا السرور رقلت السرور ※ بأن تتركوني وعقلي معي

(وقال آخر) رطلان لا أزداد فوقهما ※ في الشرب إن سكروا وإن وجدي

فليعذرني من نادمني ※ إني أحب عواقب الرشد

وأريد ما يهوى به بدني ※ وأجانب الأمر الذي يردي

وعلى ذكر ما ينتج من شرب الخمر من زوال الذهن وذهاب العقل حسن قول من قال الخمر مفتاح السرور ولكنها مفتاح الشرور وقول أبي الفضل الميكالي

عيرني بترك المدام وقالت ※ هل جفاها من الرجال لبيب

هي شمس الظلام نور وفي الأكباد برد وفي الجسوم طبيب

قلت يا هذه عدلت عن النصح وما للرشاد فيك نصيب

إنها للسرور تهلك وفي الألباب تفتك وفي المعاد ذنوب

(وقال) رجل لابنه وهو يتعاطى الشراب احذره فإنه قيء في شدقك أو سلح على عقبك أو حد في ظهرك (وقال) الجعد يحكي ذاكرا هذه العيوب

وقديم بت أعبه ※ ويرى شديدا من العبث

وكان كالمتمنى السماء اذا * تم له ما أراده همه

❊ الفصل الثاني من الباب الثالث ❊
❊ في ذكر العقل الرشيد الدال على الفعل السديد ❊

(قالوا) العقل أصل لكل محمود من الاخلاق فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل (وقيل) للحسن بن علي رضي الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال اذا عقله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل (وقال) علي بن عبيدة الرضا في العقل ملاك والخصال الحسنة رعيته فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها (وقال) بعض الحكماء الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والانسان يجمع الكل ابتلاء فان غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة وان غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب اليه رمسه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم * وقالوا الهوى خادع للالباب صارف عن الصواب صاحبه أعمى مبصر أصم سميع (وقالوا) الهوى أسام دليل والأم خليل وأغشم وال وأعشى موال يكدر العيان ويقلب الاعيان ويجلب الهوان * وقال أبو بكر بن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

(وقال) بعض الصالحين الهوى مركب ذميم يسير بك في مضلات الفتن ويرتع بك في مواطن المحن ويعلقك في حبائل الاحن ويقال من كان لعيان هواه أملك كان لطرق الرشاد أسلك * ويقال بغلبة سلطان العقل على الهوى ينال السودد وقال الشاعر

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواكا

(آخر) اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(ويقال) عبد الهوى أذل من عبد الرق وقالوا أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده (شاعر)

ان الردى تبع الهوى * ومن الهوى تلووهن
اقمع بعقلك نزعه * واملك هواك وأنت حر

(وقال علي بن الحسن المغربي)

ما للمطيع هواه * من الملام ملاذ
فاحذر لنفسك اما * عرض واما التذاذ

وقال حكيم لولده اعص هواك وأطع من شئت (قال بعضهم)

اذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

مسرور أعراضه وإعفائه (قال الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله وهذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه ما في المشورة من البركة لا لحاجته منه لرأيهم إذ هو المؤيد في حركاته وسكناته بالوحي من ربه والمستغنى بما يلقى في روعه من الرأي المصيب عن آراء صحبه (قال) الحسن البصري إن الله عز وجل لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه لحاجته به إلى رأيهم وإنما أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة (وقال) عليه الصلاة والسلام المشورة حصن من الندامة وأمن من الملامة (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجال ثلاثة رجل يطرق الأمور فيقبل أن يقع فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتأمل فإذا نزلت به نازلة شاور أصحاب الرأي وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا * وقالوا إفادة العقل من العقول كإفادة الأنهار من السيول (وقال) أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد وقال حكيم لولده يا بني إن رأيك إن احتجت إليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان فإياك أن تستبد برأيك فيعلمك حينئذ هواك (وقالوا) الخطأ مع الاستشارة أحمد من الإصابة مع الاستبداد (ويقال) إذا استشار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله في أمره ما أحب وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه (وقالوا) عليك بالمشورة فإنها تأمر بالتي هي أحسن وتهدي للتي هي أقوم * وقالوا لا تستبد بتدبيرك ولا تستغن بأميرك فمن استبد بتدبيره زل ومن استغنى بأميره ذل (وقالوا) من شاور الأجلاء أمن من كيد الأعداء * ومن أمثالهم راجع يعود أودع (وقال) عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر من أبيات

وإن باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

(ولآخر) إن اللبيب إذا تفرق أمره * فتق الأمور مناظرا ومشاورا
وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

(بشار بن برد) إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

(آخر) لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب إذا أتى من ناقص
فالدر وهو أجل شيء يقتنى * ما حط رتبته هوان الغائص

(آخر) شاور سواك إذا نابتك نائبة * يوما وإن كنت من أهل المشورات

قلت ان الخمر شبهة ❊ قال حاشاها من الشبه
قلت منها القيء قال نعم ❊ شروب عن فرح الكسب
قلت للأرباب شربها ❊ قال طيب العيش في الروش

(وقريب من هذا) ما حكي ان الحجاج وفد على الوليد بن عبد الملك فلما كان بعد أيام وجد أحد ابتداء بأذيال المذاكرة فقال له الوليد هل لك في الشراب قال يا أمير المؤمنين ليس بمحظور ما أحللته يا أمير المؤمنين ولكني أمنع أهل عملي منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح لقومه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاستحسن ذلك منه وأعفاه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي دخلت على الهادي فقال غنني صوتا أطرب منه ولك حكمك فغنيته

واني لتعروني لذكراك هزة ❊ كما انتفض العصفور بلله القطر

فقال أحسنت والله وضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا فقال زدني فغنيته

فيا حبها زدني جوى كل ليلة ❊ ويا سلوة الأحباب موعدك الحشر

فقال أحسنت ثم ضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا آخر فقال له زدني فغنيته

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ❊ وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فقال أحسنت وشق باقي دراعته من شدة الطرب ثم رفع طرفه الي وقال لي تمن واحتكم فقلت أتمنى عين مروان قال اسحق فرأيته وقد دارت عيناه في رأسه حتى صارتا جمرتين ثم قال يا ابن اللخناء أتريد أن تشهرني بهذا المجلس وتجعلني سمرا وحديثا يقول الناس أطربه فحكمه عين مروان أما والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحة عقلك لألحقتك بمن غبر من أهلك ثم أطرق اطراق الأفعوان فرأيت ملك الموت بيني وبينه ينتظر أمره في ثم رفع رأسه ودعا بابراهيم بن ذكوان وقال له خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت المال فان أخذ ما فيه فدعه واياه قال اسحق فدخلت وأخذت ما يساوي عين مروان أضعافا (ومما أحسن) ما قال بعض العلماء ينبغي للانسان أن يكون بصيرا بالعواقب فلان يعرف من مبادي الأحوال خواتيم الأعمال ومن صدور الأمور أعجازها في الصدور (وقال آخر) فلان يرى العواقب في مرآة فكره فلا تشتبه عليه نفعه بضره (نادرة) قيل لبعض المجانين هل لك في الشراب فقال ان العاقل يشرب الخمر حتى يتشبه بي فأنا اذا شربته فمن ذا أتشبه (وأحسن منها) ما يحكى أن أعرابيا راود امرأة عن نفسها فلما تمكنت له فلما قعد بين شعبها قام عنها ولم يقض وطرا ولا عفى من عرضه أثرا فقالت له يا هذا ما الذي عراك وقد ملكت مالك فقال ان رجلا يبيع جنة عرضها السموات والأرض باصبعين بين فخذيك لقليل الخبرة بالمساحة ❊ والعاقل من اهتدى بمشوره نصائحه وكشف لهم عن

مشورة الكهول لما يوجد فيهم من أصالة الرأي وإصابة الحدس وصحة النظر مع
ما مضوا من حسن الاختبار وسمت الوقار، وقد عدل قوم عن هذا المنزع ورغبوا
عن هذا المنزع فجعلوا للشبان أسعد الأقسام من توقد الفطنة وأوفر السهام من
نشاط النفس وقوة المنة ورغبوا فصرفوا عن مفاوضتهم الكهول وجعلت الهرم في
كثير من نتائج الفروع والأصول لتوفر تدبير العقل فيهم وحدة الخاطر التي
ترشدهم إلى الصواب وتهديهم ولهذا قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا ❊ ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقسمته ❊ حوى الآباء أنصبة البنينا

(وكان) بعض الحكماء يقول عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان لأن لهم أذهانا
تفل المقاصل وتحطم الذوابل (وقالوا) آراء الشباب خضرة نضرة لم يهضمها
هرم ولا أذوى زهرها قدم ولا خامرها بدد كأنها لطول المدة صرم وقال الشاعر

عليكم بآراء الشباب فإنها ❊ نتائج ما لم يبله قدم العهد
فروع ذكاء تستمد من النهى ❊ بأورى الآراء من قدح الزند

(ومن) أحسن ما قيل في مدح شاب غزير العقل كثير الفضل ظاهر الفضل قول
الشاعر أدركت ما قال الكهول من الحجا ❊ في عنفوان شبابك المستقبل

وإذا أمرت فلا يقال لك اتئد ❊ وإذا قضيت فلا يقال لك اعدل

(وقيل) بل العاقل من أخذ بالاستبداد في الأمور وأجراها اعتبارا على حكم القضاء
المقدور (قال) المهلب بن أبي صفرة لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر
وتوفير العقل لوجب التمسك به (وقال بزرجمهر) أردت بعضا أن أبوح به فما وجدت غير
فكري واستضأت بنور الشمس والقمر فلم أستضئ بشيء أضوأ من نور قلبي (وقال)
علي بن الحسين رضي الله عنهما الفكر مرآة ترى المؤمن سيئاته فيقلع عنها وحسناته
فيكثر منها فلا يدع مقرعة الفكر يقع عليه ولا ينظر عن العواقب سر المدة (وقال)
عبد الملك بن صالح ما استشرت أحدا قط إلا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة
ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون مهيب في
الصدور وإنك متى استشرت تضعضع شأنك ورجفت بك أركانك وما عز
سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه فإياك والمشورة وإن
ضاقت عليك المذاهب واشتبهت لديك المسالك وأنشد

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ❊ ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(وقال) عبد الله بن طاهر ما حك ظهري مثل ظفري ولأن أخطئ مع الاستبداد
ألف خطأ أحب إلي من أن أستشير وأرى بعين النقص والتقصير

فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها إلا بمرآة

(آخر) تأن وشاور فإن الأمور * فمنها جلي ومنها غمض
ورأيان أفضل من واحد * ورأي الثلاثة لا ينقض

(قال بزرجمهر) أفره الدواب لا غنى له عن السوط وأعقل النساء لا غنى لها عن الزوج وأدهى الرجال لا غنى له عن المشورة

* فيمن يعتمد عليه في المشورة من تسكن النفس بآرائه مسرورة *

(قالوا) لا تدخل في مشورتك بخيلاً في عطاء فيقصر بك ولا جباناً في حرب فيخوفك ولا حريصاً في نيل فيصدك فإن البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله (قيل) استشار زياد رجلاً فقال حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختيار متظاهر ولا أراني كذلك (قال الشاعر)

خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعاً بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه

(وقال آخر) إذا الأمر أشكل إنفاذه * ولم تر منه سبيلاً نجيحا
فشاور بأمرك في ستره * أخاك اللبيب الشفيق النصيحا

(آخر) وإذا الأمور عليك يوماً أشكلت * فاعمد لرأي أخ نصيح مرشد
واحفظ نصيحة من بدا رشده * وبرأي أهل الخير جهدك فاهتد

(آخر) فما كل ذي ود بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

(وقال) الأحنف بن قيس لا تشاور المعزول فإن رأيه مفلول * وقالوا لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الأسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال أفلاطون) إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه قد خرج بالاستشارة من عداوتك إلى موالاتك (ولما) نوى ابن أبي مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته استشار جاراً له مجوسياً فقال سبحان الله يستفتونك وأنت تستفتيني قال لا بد أن تشير علي فقال إن كسرى رئيس الفرس كان يختار المال وقيصر رئيس الروم كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ومحمداً نبيكم كان يختار الدين فانظر بمن تقتدي (وقالوا) لا تشاور بخيلاً في صلة ولا جباناً في حرب ولا شاباً في جارية (وقال) بعض الحكماء عليكم بمشورة من حلبت ضرع دهره ومرت عليه صروف خيره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أورى زنده ولذلك كانت العرب تقتدي برأي الشيوخ وتعتمد في النوازل على

في ذلك) ما ذكر أن رجلين وشيا على أحد مرازبة كسرى أنوشروان فقتلاه ولم
يعرفا حتى إن قولهما بقتله كان ذلك عارا عليه وعظم شأنه فقال في مجمع من
الناس إن من قتل المرزبان أعظم القدر وشديد البأس ولو ظهر لجازيناه بما يستحق
ورفعناه على الناس فلما بلغهما ذلك ظهرا وأقرا فقال أنوشروان إني مجازيكما بما
تستحقان فإنه لا يكون جزاء من قتل سيده وغدر به إلا القتل وأن أرفعكما على الناس
فإني أصلبكما على أطول جذع أجد ثم أمر فقتلهما بذلك (وأحسن منها) حيلة عملت
على الإسكندر ذي القرنين في الصواب في التخلص منها وهي ما حكي عنه أنه كان لا يدخل
مدينة عنوة إلا هدمها وقتل من فيها فقدم على مدينة كان فيها مؤدبه فخرج إليه
فأعظمه وأكرمه ثم قال له ما حاجتك قال أيها الملك إن أحق من زين لك
أمرك وأعانك عليه لأنا وإن أهل هذه المدينة أطاعوك وطمعوا فيك لمكاني
منك وأحب أن لا تشفعني فيهم وأن تخالفني في كل ما أسألك فيه من أمرهم فلما سمع
الإسكندر مقالته ظن ذلك بمقاله وأن غرض المعلم وافق غرضه وسر بذلك فلما رأى
المعلم سروره طلب منه العهد على ذلك فعاهده فلما استوثق منه ذلك قال أيها الملك إني
أرى من الرأي أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها فقال الإسكندر لا سبيل إلى ذلك
ولا بد من مخالفتك قال فارتحل عنها إذا فارتحل (أمر) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بقتل الهرمزان فشكا العطش فأتي بإناء فيه ماء فلما تناوله أظهر رعشة في يده وتوهم
أنها من خوف فقال عمر لا بأس عليك حتى تشرب ورمى الإناء من يده فكسره فأمر
عمر بقتله فقال أولست قد أعطيتني الأمان قال متى قال ألست قلت لا بأس عليك حتى
تشرب ولم أشرب فقال عمر قاتله الله أخذ منا الأمان ولم نشعر (ومن ظريف الحيل)
ما حكي أن سلمان الفارسي خطب بنتا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجابه إلى
تزويجه فشق ذلك على ولده عبد الله وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال له أنا أرده
عنك فقال إن رددته بما يكره غضب أمير المؤمنين فقال لك علي أن أرده راضيا
ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه وقال هنيئا لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع
بتزويجك ابنته فالتفت إليه مغضبا وقال أبي يتواضع والله لا أتزوجها (وأسر)
معاوية عمرو بن أوس الأودي وكان من أصحاب علي يوم صفين فقدمه للقتل فقال
لا تقتلني فإنك خالي فقال من أين أنا خالك ولم تكن بيننا وبين أود مصاهرة فقال إن
أخبرتك تكن آمني عندك قال نعم قال أليست أختك أم حبيبة زوجة النبي صلى
الله عليه وسلم أم المؤمنين قال بلى قال فأنا ابنها وأنت أخوها فاستظرفه وخلى
سبيله (وحاصر) سعد بن أبي وقاص حصنا فطلبوا منه الأمان فأجابهم إلى
ذلك فلما تسلمه قتل كل من فيه إلا رجلا واحدا (وعزم معن بن زائدة) على قتل

(وما أصدق قول القائل)

ليس الجمال ولا عقل ولا أدب ✱ يجدي عليك اذا لم يسعد القدر
ولا نوال ولا عقل يصير اذا ✱ جاء القضاء عما فيه لك الخير

وعلى المستبد أن يتروى في رأيه فان أفضل الرأي ما أحدثت الفكرة بعده وأحكمت التروية عقده (وقالوا) كل رأي لم تتمخض به الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام (شاعر)

اذا كنت ذا رأي فكن ذا اناءة ✱ فان فساد الرأي أن تتعجلا
وما العجز الا أن تشاور عاجزا ✱ وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

(وقال شاعر في مستبد)

ذهب الصواب برأيه فكأنما ✱ آراؤه خلقت من التأسيد
واذا دها خطب نبغ رأيه ✱ فكأنما من التوفيق والتسديد

(وقالوا) فلان الحزم معقود في نواصي آرائه واليمن منقاد في نواحي أنحائه وفلان اذا أذكى سراج الفكر أضاء ظلام الامر (وقال ابن المعتز) العاقل من استشعر في كل أمر حاجته وعلم من كل بديعة بدعة وطالع بقلبه من كل غصن مايجني منه ومن كل زرع مايحصد منه ولله در من قال مادحا اصابة الرأي

وذو يقظات مستمر مريرها ✱ اذا الدهر لاقاها اصمحلت نوائبه
بصير باعقاب الامور كأنما ✱ تخاطبه من كل امر عواقبه
واين نور الحزم منه وانما ✱ مرائي الامور المشكلات تجاربه

﴿وقال ابو عبادة البحتري في سليمان بن عبدالله﴾

يري بالظن ما فاق اليقين به ✱ اذا الناس دون الظن ايقان
كأن آراءه والحزم يتبعها ✱ تريه كل خفي وهو اعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه ✱ وان تنم عينه فالقلب يقظان

(ومنها) يري العواقب في أثناء فكرته ✱ كأن افكاره بالغيب كهان
لا فكرة منه الاحتها عمل ✱ كالدهر لا دوره الالها شان

(وله) يرى بالظن ما قبل اليقين به ✱ والشاهدان عليه العين والاثر
كأنه وزمام الدهر في يده ✱ يري عواقب ما يأتي وما يذر

(آخر) بديهته وفكرته سواء ✱ اذا ما نابه الخطب الخطير
واحزم ما يكون الدهر يوما ✱ اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من تحيله الحبائل واقتنص بها شوارد المطالب والوسائل (قالوا) بالحيلة يستنزل الطير من جو السماء ويستخرج الحوت من جوف الماء (في الحكي

وقال له انه قد تحصل عندنا مال لأيتام وأريد دفعه اليك لتكون وديعة في حرزك ففرح بذلك وبعث أحد أمنائه ليحملوه معه فرجع الرجل وأصلح أمره ثم دعا الناس صاحب المال وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أبيت لم ترده علي شكوتك للقاضي فذهب الرجل اليه وطلب منه المال فرده عليه فشكر الرجل الناس بذلك فقال ربما كانت الحيلة توصل الى درك المطلوب ولم يعاود الناس ذلك الرجل المودع عنده فيما وقع له

﴿والحازم من أضاف الى تاج رياسته عقوداً من جواهر سياسته﴾

فانهم قالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة (وقال) اذا صحت السياسة تمت الرياسة (ووصف) أبو مروان بن حيان هشاماً فقال لم أره زل في أمر ولا نهي ولم أجاوز في وعيد ولا وعد وأعاقب للأدب لا للغضب وأثيب للعدل لا للهوى فأودعت قلوب الرعية هيبة لا يشوبها مقت ومحبة لا يشوبها طمع وعممت بالقول وحذفت الفضول (وقال أردشير) لأصحابه وقد سئل عنه بالسيان انما أملك الظواهر لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر (ومن كلامه) لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالت الحكماء) أسوس الملوك لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بما يأمن الرغبة والرهبة (وقالوا) قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعها من شيء فليعلم أنه فيها (وقال بزرجمهر) العقل حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان تجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس به قوام العالم (وقالوا) ينبغي للملك أن يتفقد أمر رعيته في كل شهر وأمر خاصته في كل يوم وأمر نفسه في كل ساعة (وقال) أبو منصور الثعالبي اذا كان الملك واضح ميسم العدل فارش مهاد الفضل باسط جناح البر ممدود رواقه مديد ظل الهيبة مالك عنان السياسة فقد أرخ الزمان محاسن آثاره ونقش على الملوك د عباره (ومن كلام بعض البلغاء) خير الملك من كفى وكف وعفا وعف

(وقال الشاعر في بعض ولاة بني مروان)

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم * وأفنيتم أيامكم بطعام

فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة * ومن ذا الذي يلقاكم بسلام

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام

ألم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

جماعة من الامراء فلما لم يروا قدامه قام أصغر القوم وقال أيها الامير أيقبل أمراؤك
وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشربوا قام الشيخ وقال أيها
الامير أيهمل أضيافك فخلع عليهم وخلى سبيلهم ※ ولما قبض على ابن المقفع وكل به
رجل يعذبه في مال طلب منه فلما طال عليه ذلك وخشي على نفسه التلف اقترض
من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به خوفا على ماله (وأقدم
رجل) على الاحنف بن قيس بمجلسه فلطمه فقال له ما حملك على ما فعلت فقال
لطمني رجل من تميم فاستحييت أن أقتص من سيدهم فقال له الاحنف لم تبر في يمينك
ولست بسيد تميم وإنما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب الرجل إليه فوجده بين قومه
فلطمه فأمر بقطع يده فقطعت فقال ما قطع يده الا الاحنف الذي جرأه على غيره ولم
يؤدبه على فعله وإن كانت هذه الحكاية ليست جارية على المعهود من حلم الاحنف
فإن النفوس الشريفة تأبى الاسترسال في الاحتمال لما يحصل في حقها من إهمال
الجهال كما قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي معتذرا عمن أحوجه الذنب عن أدبه
إلى الخروج عن عادته

إذا أحوجت ذا كرم تخطى ※ إليك ببعض أخلاق اللئام
وما خرق اللئيم وإن تعدى ※ بأبلغ فيك من حمقة الكرام

(ولي) عبد الملك بن مروان أخاه بشرا العراق وضم إليه روح بن زنباع فلما دخل
العراق أغري بالشراب وثقل عليه ابن زنباع فقال يوما من يحتال لي فيه فقال ثمامة
الباهلي أنا فصار إلى دار روح وكتب على حائطه

يا روح من لبنية مخربة ※ إذا تقال لأهل المغرب الناعي
إن الخليفة قد شالت نعامته ※ فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

فلما قرأه ظن أن بعض الجن كتبه فأتى إلى بشر فاستأذنه في الرجوع إلى
الشام فامتنع بشر من الإذن له وجعل يسأله أن يقيم فأبى فأذن له فلما دخل على عبد
الملك قال الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين قال وما ذاك فأخبره الخبر فقال له
سخر بك بشر وأهل العراق لما ثقلت عليهم فاحتالوا لإزاحتك (وقدم قوم)
عن عاملهم إلى قاض وادعوا عليه بمال دفعوه فأمره القاضي أن يدفع لكل ذي
حق حقه فقال إن لي رفقاء وقد خانوا أنفسهم ولا لهم إن رأوا أن يؤجلوني أياما حتى أشتغل
وأؤدي إليهم حقوقهم فلا بأس فسألهم القاضي ذلك فقالوا والله ما نعلم له سبدا ولا
لبدا فقال له القاضي اذهب فقد فلسك غرماؤك (وحكي) أن رجلا أراد الحج
فأودع عند رجل مالا فلما رجع طالبه فجحده فأتى إياسا القاضي فأخبره فقال له
لا تعلم أحدا أنك جئتني وعد إلي بعد يومين ثم دعا إياس ذلك الرجل المودع عنده

الملك وعماده والملك هو قائم بنفع الدين وبحاده ولابد للملك من أس ولابد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم (واعلم) انه يجب على الملك وعلى الرعية أن لا يكون للفراغ عندهم موضع فان الفساد في فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعية (وقال) شيئان ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية (وقال المأمون) أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته فاسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته عنها (كان الرشيد) في بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والتعب وعناء السفر والرعية قارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعي من حراسة رعيته وتحمل الأذية وإليه أشار بعض مداحه

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا ※ لما نهضت لنصرة الإسلام
ناموا الى كنف بعدلك واسع ※ وسهرت تحرس غفلة النوّام

※والعاقل من شغله عيبه عن عيب من سواه※
※ولم يطع في شهوات النفس أمر هواه※

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (وقال) عليه الصلاة والسلام لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في رحله (وقال) أكثم بن صيفي استر عيب أخيك لما تعلمه من نفسك (وقالوا) أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه (وقيل) للربيع بن خثيم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لعيوب الناس ومذامهم (وقالوا) من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومن تتبع مساوي العباد فقد جعلهم غرضه قال الشاعر

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا ※ فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ※ ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(وما أحسن قول القائل)

اذا شئت أن تحيا سليما من الأذى ※ ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطق منك اللسان بسوأة ※ فللناس سوآت وللناس ألسن
وعيناك ان أبدت اليك مساويا ※ لقوم فقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وكن متوددا ※ ولا تلق الا بالتي هي أحسن

(وقالوا) فلان يصم أذنيه عن الفحشاء ويحرس لسانه عن التكلم بها (وقال الشاعر)

(وقال) ينبغي للملك أن يعمل خصال ثلاثة تأخير العقوبة المسيء وتعجيل ثواب المحسن
والعمل بالأناة فيما يحدث له فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو وفي تعجيل ثواب
المحسن المسارعة بالطاعة وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب (وسأل)
المأمون رسول الروم لما قدم عليه عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وسل سيفه
فاجتمعت عليه القلوب رغبة وتجافت له رهبة سهل النوال حزن النكال بالرجاء
والخوف معقودان في يده قال له فكيف حكمه قال يردع الظالم ويعفو على
المظلوم فالرعية اثنان راض ومغتبط قال فكيف هيبتهم فيهم قال يتصور في
القلوب فتغض له الأبصار فقال له المأمون لله أبوك لقد أحسنت فيما وصفت (وما
أحسن) قول معاوية لمسلم بن زياد لما ولاه خراسان إن أباك كفاني أخاه عظيما
وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك وإياك
من قبل أن أقول إياي فإن الظن إذا أخلف منك أخلف مني فيك وأنت في
أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك (وقال أنوشروان)
الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة هم خاصة الأبرار تسوسهم
بالعطف واللين والإحسان وطبقة هم خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف
وطبقة هم العامة تسوسهم بالشدة واللين كيلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين

(وقال عبد الله بن طاهر)

إذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل إن الذل أوفق للنذل

(وقال) معاوية بن أبي سفيان إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع
سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطعت فقيل له
وكيف ذلك قال إن جذبوها أرخيتها وإن أرخوها جذبتها (وكان زياد) إذا ولى
رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر إلى عملك واعلم بأنك مصروف رأس سنتك
وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا
بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك
وأحسنا على خيانتك أدبك وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين
وإن وجدناك قويا أمينا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك وأوطأنا عقبك (وقالوا)
إذا كان للمحسن من الحق ما لا يقنعه وللمسيء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن
النصح رغبة وانقاد المسيء إلى الحق رهبة (ولا ينبغي) لأحد من الملوك أن يعدل
عن قول أردشير بن بابك المستفاد منه والمستفاض عنه وهو قوله لبعض مرازبته
اعلم أن الملك والدين أخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلا بالآخر لأن الدين أس

﴿وأما فضل التغاضي والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال﴾

(قالوا) أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه (وقال) بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والإعراض عنه عقاب (قال الشاعر)

إذا نطق السفيه فلا تجبه ❊ فخير من إجابته السكوت

فإن جاوبته فرجت عنه ❊ وإن خليته كمدا يموت

(وقال بعضهم)

لا ترجعن إلى السفيه خطابه ❊ إلا جواب تحية حياكها

فمتى تحركه تحرك جيفة ❊ تزداد نتنا ما أردت حراكها

(آخر) أرى الكف عن شتم اللئيم تكرما ❊ أضر له من شتمه حين يشتم

(وقالوا) إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا (وقال) ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من أحمق وبر من فاجر وشريف من دنيء (شاعر)

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ❊ أصبت حليما أو أصابك جاهل

فأصعب أما نال عرضك جاهل ❊ بسفهته وإما نلت ما لا تحاول

(وقال بعض الأعراب يمدح قومه)

بحلم وصفح ما ونعما عن الخنا ❊ وحرص على العشاء عند التهاجر

ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة ❊ وعند الحفاظ كالليوث الخوادر

لهم ذل إنصاف ولين تواضع ❊ وعفو عن المولى وحسن تصابر

يخال بهم داء تخافون عاره ❊ وما وصمهم إلا اتقاء المعاذر

﴿والعاقل من قنع من الدنيا باليسير وحصل منها من التقوى زاد المسير﴾

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن نظر إليها أعمته (ووصف) ابن السماك الدنيا فقال من نال منها شيئا ومن لم ينل منها مات عليها (ووصف) محمد بن ثوبان الدنيا فقال تحطب من بين يديه منها شركا منصوبا (وقال حكيم) الدنيا تطلب لثلاثة أشياء للغنى والعز والراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعيه استراح (وقال) عيسى عليه السلام إني كببت الدنيا على وجهها وجلست على ظهرها فليس لي زوج تموت ولا دار تخرب (وقال) ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها (وقال) علي رضي الله عنه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إن قربت من أحدهما بعدت عن الآخر (وروي عنه) أنه قال

غني عن الفحشاء أما لسانه * فعف وأما طرفه فكليل

(آخر) كريم له عينان عين عن الخنا * تنام وأخرى في المكارم تسهر

(آخر) وإذا نواك امرؤ بقبيحة * فاجزه بالإحسان والإجمال

(حكي) أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل إنسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذي هو فيه

وما خير من تخفى عليه عيوبه * ويبدو له بالعيب عيب أخيه

(وقالت رابعة العدوية) الإنسان إذا نصح لله في نفسه أطلعه الجبار على مساوي عمله فتشاغل بها عن خلقه

* والعاقل من عقل أعضاءه عن المساوي * حصن إليه من ذم اللئام ناوي *

يقال رعاية العاقل فيه هدى الرضا ويغضي عن مثل جمر الغضا (وقيل) لبزرجمهر من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان الغالب عليه العقل (وقال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أعطي زمام العقل ملك زمام المروءة (وقالوا) أشرف الكرم تغافلك عما تعلم (ويقال) العاقل من الكرام غضهم الإجلال والإكرام أنشد الباخرزي في الدمية لأبي الفضل عبد الله بن محمد الحمري رحمه الله تعالى

يا من تعرض بالكلام وقاحة * تجهل به فهلا فإنك جاهل

كم مرة أغضيت منك على قذى * لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

(آخر) ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى * كفؤا لعرضي عرضه فأقاوله

أنزله مني كأني غافل * أضاحكه طورا وطورا أجادله

(وقيل) لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء إن أسمعتها * واسكت كأنك غافل لم تسمع

ولبعضهم فقد بالغ فيه وهو قوله

وإني لأغضي عن أمور كثيرة * ومن دونها قطع الحبل المواصل

وأعرض حتى يحسب الناس أنني * بجهل بالذي آتي ولست بجاهل

(آخر) وأغضي عن العوراء حتى يقال لي * بأذنيه وقر عندها عن نطق

حياء وإكراما لعرضي أصونه * ولا خير في عرض يطل ويخرق

(آخر) دعني ملاحاة من هجاني * يا نفس إن تعلي تصاني

إذا حكيت الذي عليه * فما هجاني سوى لساني

وكم سخنت بالأمس عين قريرة * وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فإنك ذاهب

(وذكر الفقيه عبد المحسن الصوري فقال)

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة * فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

(آخر) إنما الدنيا كظل زائل * طلعت شمس عليه فاضمحل
كان في دار سواها داره * عللته بالمنى ثم ارتحل

(آخر) لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * ولكنها دار زوال لمن عقل
إذا وهبت ساءت وإن هي أحسنت * أساءت وإن أعطت فأيامها دول

(آخر) مذمومة بالهم مخطوبة * سم زعاق سم أخلافها
ولم يزل يقتل آلافها * أف لقتالة آلافها

(وقال) ليس الزاهد في الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه وانقطعت منه ولم يمكنه من متاعها وضاقت عليه مع اتساعها وهو مضطر إلى ذلك لظهور عسرها وفقد يسرها وإنما الزاهد في الدنيا من أقبلت عليه وخضعت وأذلها الله وخضعت له في ذاتها وأمكنه من لذاتها فأعرض عنها وزهد فيها (شاعر)

إذا المرء لم يزهد وقد حصلت له * ضروب من الدنيا فليس بزاهد

(وروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما الزاهد في الدنيا من يكون بما في يد الله أغنى منك بما في يدك وما أكثر إنصاف من قال

يراع بذكر الموت في حال ذكره * ويعترض الدنيا فيلهو ويلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كان منها فهو شيء محبب

(وقال بعض الحكماء) صاحب الدنيا كراحل وأيامه مراحل وأنفاسه رواحل صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحيرة وعبرة صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والأوصاب (حكي) أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه فقال عمر سرور لولا أنه غرور ونعيم لولا أنه عدم وملك لولا أنه هلك وحياة لولا أنه موت ونعم لولا أنه عذاب أليم فظهر في وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفي سنة تسع وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وكانت ولايته سنتين وتسعة

﴿ الفصل الثالث من الباب الثالث ﴾

﴿ في أن هفوات العقال لا يعفى عنها ولا يقال ﴾

(كامل) لا يعذر الرجل الرفيع قدره * للسهو فيها للوضيع معاذر

دنيا والآخرة ضرتان متى أرضيت احداهما أسخطت الأخرى ثم قال لا بل
ضرتان ولا يمكن الجمع بين الأختين (وقال) عليه الصلاة والسلام الدنيا كم همه
ون في غنى من عراق خروف يد مخدوم (وقال) من الدهر ظرف بالمساوى
خلائق يتام من أحقابها (وقال) بعض المستقلين منها وأحسن

أف لدنيا ليست تواتينى ✽ الا بنقضى لها عرى دينى
عينى لحظى تدير مقلتها ✽ تريد ما ساءها لتردينى

ر) محمد بن واسع على قوم فسأل عنهم فقيل له هؤلاء الزهاد فقال وما قدر الدنيا حتى
يحمد من يزهد فيها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة
الكلاب (وقال) منصور بن عمار الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء
قال) انك لا تنادي بدع دنياك لآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك
تخسرهما جميعا (وقال) الفضيل بن عياض لو عرضت على الدنيا بحذافيرها حلالا
لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها
أن تصيب ثوبه (وقال) جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا
قال) يوسف بن أسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها انما خلقت لينظر بها الى
الآخرة (وقال) ابراهيم بن أدهم مساكين الأغنياء طلبوا الراحة ففقدوها
ووجدها الزهاد فلزموها (ومن المنظوم فى ذلك)

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها ✽ كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر ✽ أمانها غدر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم ✽ لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الأنكاد صاحبها ✽ لو كان يملك ما قد ضمنت ارم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها ✽ فانها نعم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد له ✽ ولا يخاف به موت ولا هرم

(وقال بعض الزهاد وأحسن)

ومن يحمد الدنيا لشىء يسره ✽ فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة ✽ وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(آخر) ياخاطب الدنيا الى نفسه ✽ انته عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غداره ✽ قريبة العرس من المأتم

(وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة ✽ اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا فجائع ✽ عليها وما اللذات الا مصائب

فمات بها ودفن بالأهواز * وقيل لبعض أهل العاقل هذه الأبيات قال لا والله
ولكن من حسنا الله فيه بارابعي ابراهيم بن المهدي أشاط بدعبل لما هجاه بقوله فيه
وهو خليفة يا معشر الأعراب لا تغلطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا

فسوف يعطيكم حنينية * لا تدخل الكيس ولا تربط

والمعبديات لقوادكم * وما بهذا أحد يغبط

فهكذا يرزق أصحابه * خليفة مصحفه البربط

(وكان المعتصم) يلقب بالثماني لأنه اتفق له عدد الثمانية في كثير من أموره وولد في شهر شعبان وهو الثامن من شهور السنة وهي سنة ثمان وسبعين ومائة وهو ثامن بني العباس مولدا وثامنهم ولاية وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وعمر ثمانيا وأربعين وغزواته وفتوحاته ثمان وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمانية بنين وثماني بنات وترك ثمانمائة ألف دينار ومثلها دراهم الى غير ذلك من عدد الثمانية *(رجع ما انقطع)* ذكر أبو القاسم الانباري أن جماعة من بني أمية دخلوا على أبي العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فأمر اليه أبو العباس بالنطع فلما رأى الغمر ذلك منه أنشده

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا يناديك من مكان سحيق

والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرى بعقد وثيق

فاغتم لذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه يمينا وشمالا وقال لهم إني أريد أن أخلط لكم نفسي واستخلصكم لها فاشكروا على ذلك فبينما هم يتحدثون إذ دخل عليهم سديف فأنشد السفاح القصيدة التي أولها * عز الدين واسد ان ملنا * حتى أتى على آخرها فقال السفاح يا ابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال قولا لحمله وإن ناسا من أمية إن شاعرنا الأشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال

لو يقول الحب والآمال مثلهم * أحلامهم ترجح بعقري الأباهر

لا يعشون إذا اشتد مقاولهم * زين المجالس فرسان المنابر

فاحمر وجه السفاح وهاجت به حمية كانت فيه قد سكنت ثم ضرب على يد الغمر
وقال طمعت أمية أن تجاوز هاشما * هيهات يذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد ومليكه * حتى يباد كفورها وخؤونها

ثم قال قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بالقرابين وسبعين رجلا من أهل خراسان وأعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ما خرجت من الإمارة حتى رأيتهم مطلقين بعرامهم قد سمعت الكلاب بروقهم (ولما ابن زياد

ذو العلم يعثر أن يقال عثاره * ويقال عثرته الجهول العاثر

وسليمان بن عبد الملك فيما قصدناه كلام هو النور اللائح والهادي الى الطريق الواضح (وهو قوله) السكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك والسكوت عما لا يضرك خير من الكلام فيما لا يعنيك (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر (قال بعضهم)

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(وقالوا) طعن اللسان أنفذ من طعن السنان وجرح الكلام أصعب من وقع السهام (وقالوا) رب لسان أتى على انسان

* ذكر من أرسل سهما من فيه فأصاب مقتله ولم يكد يخطيه *

(حكي) ان رجلا من العرب وقف الى شخص وبه الماهل ابرز فقال الحمد لله الذي فعل ابرز على ذلك وملكك ما كنت احوى به منه واراحه من عتوه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان يأخذ بالاحنة ويعمل بالظنة ويخيف البري ويقبل السعي فلما سمع شرويه كلامه قال للحاجب احمله الى فلما مثل بين يديه قال كم كان رزقك قال العين قال والآن قال ما رزقنا قال فما دعاك الى الوقوع فيه واغتيابه فما ابتداه نعمة من عنده ولم يرع له ذلك وأمر بنزع لسانه من قفاه (ولما) ظهر محمد ابن عبد الله بن الحسن بن حسن بالمدينة في أيام أبي جعفر المنصور دخل عليه سديف بن ميمون فانشده أبياتا يحرضه فيها على اظهار الدعوة ويطعن في دولة بني العباس يقول فيها

أيا للرجال ان يرتد ألفتها * بعد التعبد والشحناء والاحن

وتنقضي دولة احكام قادتها * فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يا بني حسن

فبلغت المنصور الابيات فكتب فيه الى عبد الصمد بن علي وكان عامله على مكة فاخذه وقطع يديه ورجليه وخلع أعينه ثم عنقه بعد ذا (وكان) دعبل الخزاعي هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متعاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن حماد الاهري ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه أبياتا يهجو فيها المعتصم ويذكر قوم أهله وهي

ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب

وما أنت عندي في الوفاء كعابهم * لانك ذو ذنب وما أذنب الكلب

وبعث المعتصم الابيات فامر بطلبه فهرب الى زويلة بلد بالسودان بناحية المغرب

وأما ما وقيل اثنين وثمانين وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وأما شعاه اسمه الوليد فانشده هشام أخوه

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فلطم الوليد على وجهه وقال اسكت يا ابن الاشجعية فانك أحول أكشف تنطق بلسان شيطان (ودخل) جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره فانشد

أتصحو أم فؤادك غير صاح * عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن اللخناء ثم مر في شعره حتى أتى في هذه القصيدة بقول ما دعا عبد الملك بأن أجازه له

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(خاصم رجلا) خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا الى بلال بن أبي بردة وكان أمير الكوفة فقضى على خالد ثم مر به موكب بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول

سحابة صيف عن قليل تقشع * فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتي سوط وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضرباته فنكب بلال بعد ذلك واحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد حاضرا الساعة فقال له أيها الأمير إن بلالا عدو الله ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت الى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال بلال يا خالد إنما استطلت علي بثلاث الأمر عليك مقبل وهو عني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك وأنا غريب فافحمه

﴿ومن الغرائب الجارية مجرى التطير المؤذن لمثلها بالزوال والتغير﴾

قال علوية لما خرج المأمون الى الشام فدخل دمشق وجعلنا نطوف بها على قصور بني أمية فدخلنا قصرا من قصورها فوجدناه مفروشا بالرخام الأخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها وفيه روضة قد جمعت فيها أنواع الأشجار وفي القصر من أجناس الأطيار ما يحكي صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعي بالطعام والشراب فأكلوا وشربوا ثم قال —
بأطيب صوت وألذه فلم يجر خاطري غير هذا الصوت

بفناء الحضرة وهي أول بناء بني بالجص والآجر بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا
من أفواه الناس ما يقولون فجاءوا بلعنه ولعن أبيه بالعاقل فأتي بإنسان فقيل له لما
رآها تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
فقال زياد ما حملك على هذا قال لم يكن أيها الأمير هذا عن قصد وإنما خطر على
قلبي فتلاها لساني فقال والله لأعملن فيك بآخر الآية وإذا بطشتم بطشتم جبارين
وأمر به فبني عليه ركن من أركانها (وكان) أحمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات
وكان يجالس المأمون وكان المأمون إذا تبخر لا يستقصي البخور وتخرج المجمرة فتلقى
فيها فتوضع تحت الرجل فالرجل من الجلساء إكراما لهم وإعظاما لهم فجاءت النوبة
يوما لأحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود وسمعه المأمون فقال ألنا يقال هذا ونحن
نجيز رجلا واحدا من ندمائنا بعشرة آلاف درهم وأكثر ويحك إنما قصدنا إكرامك
أن أكون أنا وأنت نفسنا بخورا واحدا ولا يأبى الكرامة إلا اللئيم ثم أمر المأمون
أن يطرح في المجمرة ثلاثة مثاقيل من العنبر ويجعل تحتها أحمد ويدخل رأسه في طوقه
حتى يتبخر بجميعها ففعل به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من
المجلس إلى منزله فمات من ليلته

ومن أسقط من العقلاء في كلامه فكان سببا لتأكيد اللوم والملامة

ذو الرمة فإنه وصف لعبد الملك بن مروان بكاؤه وجودة شعره فأحب أن يراه فأمر
بإحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده قصيدته المدهشة وافتتحها بقوله

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب

واتفق أن كانت عينا عبد الملك يسيلان دائما فظن أنه عرض به فغضب فقال له
مالك يا ابن اللخناء ولهذا السؤال ثم قطع إنشاده وأمر بإخراجه فما قام حتى أذن
للشعراء مرة ثانية فدخل معهم وقد غير ما قال أولا وأنشده

ما بال عيني منها الماء ينسكب * حتى انتهى إلى قوله

تكلأ في برج صفراء في نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فأجازه وأكرمه وقال له لو أنها قيلت في الجاهلية لسجدت لها العرب (ودخل)
أبو النجم الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده أرجوزته التي أولها

الحمد لله الوهوب المجزل * حتى انتهى إلى قوله يصف الشمس

وهي على الأفق كعين الأحول * ولم يقل الأحول وقطع إنشاده وارتج عليه وعلم
أنه زلة عاقل يخشى أن يكون عقابه حاصلا لأن هشاما كان أحول فقال له هشام
ويلك أتم البيت وأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة (ولما) مات عبد الملك بن
مروان وذلك في النصف من شوال سنة ست وثمانين وكان عمره نيفا وستين سنة

التشاؤم لهم الشيء كان في صدره من الممدوح وسبب ذلك أن أبا نواس دخل عليه يوما فلم يهش له ولم يدنه من مجلسه وكلح في وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد فهش له وأدناه من مجلسه وأقبل عليه فحمل أبا نواس وأغراه الحسد فعمل هذه القصيدة على طريق التطير وقال المبرد في الروضة إن أبا نواس عملها في الفضل بن يحيى (وحكى) الصابي في كتاب الهفوات أن شرف الملك أبا سعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنئونه ويعيدونه فأنشده أحد الشعراء من قصيدة بدايتها

وأنت بعيني الذي أوديه * فسالت فقد تهدمت شرفه

فتطير من ذلك لمناسبة شرفه لشرف الملك في لقبه ثم أنشد آخر قصيدة أولها

عقد الصيام بيوم الفطر محلول * وعقد الكاس بالمنديل مفتول

فازداد تطيره وتعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فلما كان السابع من شوال قبض عليه

﴿ومن استدرك فهوه ولسانه من العقلاء ورد بالاعتذار عنه ما نزل به من البلاء﴾

(حكي) أن المنصور قال خرجت سنة إحدى وأربعين ومائة وأنا حدث متنكرا لدرك ثأري فانفردت عن الناس فإذا أنا بأعمى كنت أعرفه يتردد إلى مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت بيده فقال من أنت فقلت رفيقك إلى الشام وأنت ردف مروان بن محمد فرد علي السلام وأنشد

آمت نساء بني أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والأسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له والغضب مستول علي والروع يشير إلي كم كان مروان أعطاك قال أغناني حتى لا أسأل أحدا بعده أبدا أملكني الغلمان والجواري والمال والعقارات وأين ذلك قال بالبصرة قال المنصور فلولا أن حق الصحبة يمنعني منه كنت قتلته وشغبت نفسي منه فقلت له أتعرفني قال ما أثبتك معرفة ولا أنكرك من سوء فقلت أنا المنصور فارتعد في يدي ووقعت عليه الرعدة ثم قال يا أمير المؤمنين أقلني عثرات العاقب على حسب من أحسن إليها فأقلته وانصرفت ثم طلبته بعد ذلك لمسامرتي فلم أجده فكأن البيداء بادته قال أبو الفرج الأصفهاني وهذا الأعمى هو أبو العباس ابن السائب فروخ من بني الليث وقيل من بني الديل بن بكر له في بني أمية مدائح أجزلوا له بها المنائح فمن قوله

وكل خليفة وولي عهد * لكم يا آل مروان الفداء
إمارتكم شفاء حيث كنتم * وبعض إمارة الأقوام داء

لو كان يخفي سوء أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إلى معتصم وقال عليك وعلى بني أمية لعنة الله فعلمت أني قد أخطأت فأخذت اعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين أتلومني أن أذكر بني أمية وزرياب عبدهم كان يركب في مائتي غلام ومملوك له وملك ثلثمائة ألف دينار إلى غير ذلك من الضياع والأثاث وأنا عندكم أموت جوعا فقال ما وجدت شيئا تذكرني به فسلك غير هذا ثم سكت ساعة وقال اعدل عن هذا وغنني بما اقترحت عليك فلم يحضرني غير هذا الصوت

الحين ساق إلى دمشق ولم * أرضى دمشق لأهلها وطنا

فرماني بالقدح فأخطأني وقال قم إلى لعنة الله وحر سقره ثم قام وركب فكان آخر عهدي به حتى مات ومات المأمون لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت خلافته بعد قتل الأمين محمد عشرين سنة وأشهرا وله من العمر ثمان وأربعون سنة * ومات المعتصم أيضا في هذا العمر وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك عمر عبد الله بن طاهر وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة إمارته بخراسان تسع عشرة سنة (ولما) فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه مع جمع من أعيان مملكته وندمائه سروراته فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فقام إسحق بن إبراهيم الموصلي وأنشده قصيدة يهنئه بها أولها

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا من بادرته وهفوته مع علمه وفهمه وطول خدمته الملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيرا فهدم كأنه لم يعد إليه بعد

(ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه وخالف به مذهبه) ما حكي أن جعفر بن يحيى البرمكي بنى دارا وأنفق فيها وانتقل إليها فدخل عليه أبو نواس فيمن دخل إليه من الشعراء يهنئه بها فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي * عليك وإني لم أخنك ودادي
فقدرة مني إليك بأن ترى * رهينة أرواح وصوت عوادي
ولا أدرأ الضراء عنك بحيلة * فما أنا منها قائل لسعادي
فإن كنت مهجور الفناء فبارمت * يد الهجر عن قوس المنون فؤادي
فإن كنت قد بدلت بؤسا بنعمة * فقد بدلت عيني قذى برقاد

وختمها بقوله

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير جعفر منها وأظهر الوجوم ثم قال نعيت إلينا أنفسنا يا أبا نواس فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد (وزعم) بعض أهل التاريخ أن أبا نواس قصد

(وقال) أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون
فأنت منه في راحة اترك الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه في تعب
لضرورتك إليه وأما العاقل فقد كفيت مؤنته

﴿ومن قولهم في ذم الحمق وإظهار حالته وأنه داء عضال لا يمكن الإفاقة منه﴾

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأحمق أبغض الخلق إلى الله تعالى إذ حرمه أعز
الأشياء عليه وهو العقل (وقيل) أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام
أتدري لم رزقت الأحمق قال لا يا رب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس
بالاجتهاد (وقيل) من لا عقل له لا دين له ومن لا دين له لا آخرة له (وقال الشعبي) إذا
أراد الله أن يزيل عن عبد نعمته فإن أول ما يغير منه عقله (وقالوا) الحمق داء دواؤه
الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * إلا الحماقة أعيت من يداويها

(وقال) بعض الحكماء لو جاز لوم الأحمق على أن يعقل جاز لوم الأعمى على أن يبصر
(وروي) أن عيسى عليه السلام أتي بأحمق ليداويه فقال أعياني دواء الأحمق ولم
يعيني مداواة الأكمه والأبرص وقال الشاعر

وعلاج الأبدان أيسر خطبا * حين تعيل من علاج العقول

(وقال) معلم موسى الهادي له في معرض التعريض له يا أحمق فهشم أنفه وسأله أبوه
المهدي عن السبب فقال قال لي يا أحمق ولو قال لي يا مجنون لاحتملته (وقال) الشعبي
خطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقام إليه رجل أعرابي وقال إن الوقت لا ينتظرك وإن
الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا إنه مجنون فقال الحجاج إن أقر
بالجنون خليت سبيله فجاء إلى الرجل أهله وسألوه أن يقر لهم بالجنون فقال لا والله ولا
أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ الحجاج كلامه فعظم في نفسه وأطلقه (وقال)
الأصمعي قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن تكون لك مائة ألف درهم وأنت
أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي
(وقال) سعيد بن جبير مكتوب في التوراة إن من سمع لأحمق مغرورا فهو خطيئة
تكتب عليه (وقيل) إذا قيل لك إن فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حيا مات أو ميتا
عاش فصدق وإذا قيل لك إن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق (وقالوا) الأحمق يتمنى أنه
لو تكلمه ويتمنى زوجة أخيه ويتمنى جاريته الوحدة ويريد خلافه في الوحشة

﴿ومما اخترناه من حكم أولي التجارب في ذم المعروف عن ذوي الهوى مجانبا﴾

قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه معاشرة العاقل في الذل والوثاق خير من
معاشرة الجاهل على السندس والإستبرق (وقال) الأحنف بن قيس إني

وكنتم تحسبون إذا ملكتم * وغيركم إذا ملكوا أساؤا
هم أرض لأرجلكم وأنتم * لأيديهم وأعينهم سماء

(ولى عمر) رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ بها * واسق بالله مثلها ابن هشام

فعزله فلما قدم عليه قال له أنت القائل وأنشده البيت قال نعم والقائل بعده

عسلا باردا بماء سحاب * إنني لا أحب شرب المدام

فقال له عمر قاتلك الله أوقد قلت ورده إلى عمله * وأتى عبد الملك بصلعة بن هبيرة الشيباني وكان من أشد مع الخوارج فأمر بقتله وقال ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين إنما قلت أمير وفتح الراء فاستحسن ذلك منه وأطلقه فانظر إلى حذق هذا الرجل كيف تخلص بحركة أمد عمره من أجلها البركة وذلك بفتح الراء من كلمة وتحويل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف منصوب أبدا وقبل هذا البيت

ألا أبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ما يرعاه لك قريب
فإنك إلا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد البيت (وقال الحجاج) لعبد الرحمن بن أبي بكرة ما مالك قال لقد حصلت على ألف ألف درهم ثم إن عبد الرحمن بن أبي بكرة شعر بزلة لسانه وخاف غائلة الحجاج فتداركها سريعا وقال ولقد أصبحت وما أملك الأحامي (وأتى) المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ما اسمك قال أنا أحمد النبي فقال له لقد ادعيت زورا ثم أمر به ليضرب فلما رأى الرجل الأعوان قد أحاطت به قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه فتدارك المأمون ما وقع من رونق النكتة وأورى له زند الحكمة بالحكمة وهذا من كثير لا يحصى ولا يعز وجوده عند الاستقصاء

﴿الباب الرابع في الحمق وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول من هذا الباب﴾

﴿في ذم الجهالة والحمق * وما اشتمل عليه من الفنون﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا الحمقاء فإن صحبتها بلاء وفي ولدها ضياع وفي حديث آخر لا تسترضعوا الحمقاء فإن لبنها يغير الطباع (وقال) عمر رضي الله عنه لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج الولد مائقا * وحد الحمق * قالوا هو قلة الإصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي وضع له * وقيل هو فقدان ما يحمد من العاقل * وقيل لعمرو بن هبيرة ما حد الحمق قال لا حد له كالعقل

في التوراة ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن أفرط عليه طولها قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق (وقالت) أعرابية لقاض قضى عليها أصغر الله رأسك وبعد فهمك وأسبلت لحيتك فاشمر عيالك ومارأيت ميتا يقضي بين حيين غيرك (وقال) المأمون اذا طالت اللحية تكوسج العقل (وقال) مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حمق الرجل في أربع طول لحيته وبشاعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال لهم أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قيل فأي الطعام أحب اليك قال الجاورس وهو الورد المربى فأنشد مسلمة

ما بعد كنيته وطول لحيته * ونقش خاتمه شك لمعتبر

﴿ومن شهر بالعقل النادر وعرف بالحمق الوافر﴾

(المعلمون) قال الجاحظ قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزءاً في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس وقال الشاعر

كفى المرء نقصا أن يقال بأنه * معلم صبيان وان كان فاضلا

(آخر) وان أحمق خلق الله كلهم * من كان بالفضل والتعليم مشتغلا
الله صاغهم حمقى وكوّنهم * نوكى وأوجدهم بين الورى سفلا
ذاعت حماقتهم في الناس واشتهرت * بين البرية حتى أصبحوا مثلا

(وحكى) الجاحظ قال مررت بمعلم صبيان حسن الهيئة فجلست أحدثه فطرى فهمه عني وأنشدني

ما طارحت الحماقة بين أول عقلاء معلم
ولقد جلسنا في الصبا * عند من قريب بسلم

فكاتبنا ألمعي فكرا فانصرفت وتركته وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف يرجى العقل والرأي عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

(ومن أمثالهم) أحمق من معلم ومن راعي ضأن قال المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه

(والنساء) قالوا لا تدع أم صبيك تؤدبه فانه أعقل منها وان كانت أسن منه بل أدبه بحضرتك وهذبه بحضرتك (ويقال) عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة * ويكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين وقوله عليه الصلاة والسلام لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم بوران لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة

لا أجالس الأحمق ساعة فإني تبينت ذلك في عقلي (وقال) أيضاً لا تعاشر الأحمق وإن
كان ذا جمال فإنه كالسيف حسن منظره قبيح أثره (وقال الجاحظ) لا تجالس
الحمقى فإنه يعلق بك من مجالستهم يوماً من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء
دهراً من الصلاح فإن الفساد أشد التحاماً بالطبائع (وقال بزرجمهر) مقاساة الأحمق
عذاب الروح (وقال) مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك إلى أحمق فإنه يريد أن
ينفعك فيضرك فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته
(وقالوا) العاقل مرجو خيره على كل حال والأحمق مخوف شره على كل حال (وقالوا)
صحبة العاقل في لجج البحار وأهوال القفار آنس من صحبة الجاهل بين جنات وأنهار
وألوان أطعمة وثمار (وقالوا) صحبة الأحمق غدر ومجاورته خطر والبعد منه ظفر
(وقال) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى
(وقال) ابن المعتز إن الأحمق إن قال فصل إن أونس تكبر وإن أوحش تكدر
وإن استنطق تخلف وإن ترك تكلف مجالسته مهنة ومعاتبته محنة ومحاورته تعرّ ومقاربته
عمى ومقارنته شقاء (وقال) علي بن بسام

لا ييأسن من اللبيب وإن جفا ❊ واقطع حبالك من حبال الأحمق
فعدوّ من عاقل متجمل ❊ أولى وأسلم من صديق أحمق

(وقالت الحكماء) العاقل يضل عقله عند مجاورة الأحمق (وقالوا) مثل الأحمق
كالثوب الخلق إن رقعته من موضع تخرق من موضع آخر (وقال) مسكين الدارمي

اتق الأحمق لا تصحبه ❊ إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانباً ❊ حركته الريح وهناً فانخرق
أو كصدع في زجاج فاحش ❊ هل ترى صدع زجاج يرتتق
وإذا عاتبته كي يرعوي ❊ زاد جهلاً وتمادى في الحمق

(وقالوا) الأحمق كالرمل المنهار كلما رفعت منه جانباً انهار عليك جانب آخر

❊وما استعمل فيه من ذم الخلائق على خلق حق الأهوج والمائق❊

(وقالوا) مما حكيت به الحمقى أن من طالت قامته وصغرت هامته واستدارت لحيته
كان حقيقاً على من يراه أن يقرئه عن عقله السلام (ابن الرومي) يهجو اللحى

إن تطل لحية عليك وتعرض ❊ فالمخالي معلوفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا ❊ ة ولكنها بغير شعير
لو رأى مثلها النبي لأجرى ❊ في لحى الناس سنة التقصير
(وقال آخر) ما أحسنها الخياط لحيته ❊ كأنها في عرضها والطول
مخلاة لهو مصرورة ❊ ووجهه من فوقها كالجمال

(ووصف) بعضهم الخصيان فقال هم الأمناء على الحرم البعداء عن التهم
ولهم الظرف واللطف والوقار ودقة الفطنة وهم طراز الملك وجمال الدول
وعنوان النعم وكثيرا ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم طريق السياسات
ودربوهم * (والحاكة) يقال الحمق عشرة أجزاء تسعة منها في الحاكة وواحد في
سائر الناس (وقالوا) لو أن للحائك دينا لنطح به (وسأل رجل) الأعمش عن الصلاة
خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء فقال فما تقول في شهادته قال تقبل مع
شاهدين عدلين (وقال) الحسن البصري من نظر في طراز حائك لم يرجع إليه عقله
أربعين يوما * والسبب في زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب
عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق الى
سلك فقالت اللهم توهه ولا توجده الا تائها وفي رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة
الناس وأقلهم عقلا (قيل) لرجل من الحاكة هل في بلدكم حائك قال لا قيل فمن
ينسج ثيابكم قال كل ما ينسج ثوبه لنفسه قيل له فاذا كلكم حاكة (قالوا) فلان
مجنون وأحمق منه لا يكون وفلان اذا رأيته تشبهت مجنون بني عامر

﴿طرف مما ذم به أهل الجهالة المتمسكون بعرى الغواية والضلالة﴾

يحكى أن أبا الأسود الدؤلي قال اذا أردت أن تظهر علما فاحضر جاهلا (وقالوا)
لا مصيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه (وقالوا) لا مصيبة أعظم من الجهل
(وقالوا) الجهل في القلب كالأكلة في الجسد (وقال) بزرجمهر العالم كبير وان كان
صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا (وقال) جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
الأدب عند الجاهل كالماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال)
وهب بن منبه ان الجاهل اذا تكلم فضحه لسانه واذا سكت فضحه جهله
لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه (وذم) اعرابي
رجلا فقال فلان ان أعرضت عنه اغتم وان أقبلت عليه اغتر وان حلمت عنه
جهل عليك وان جهلت عليه حلم عليك * أنشد الشافعي يهجو جاهلا

لما جلست بارك للأدب * جليسه من نوكه في تعب
تخاله يغضب في حال الرضا * عمدا ويرضى عند حال الغضب
كأنه من سوء تأديبه * أسلم في مكتب سوء الأدب

(وقال بزرجمهر) الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره * وسئل أبو العيناء
عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني اسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبح غيره
شاعر يهجو جاهلا

ليس يدري من الجهالة من ذا * دور القمر في بطون الحبال

والخصيان) قال الجاحظ في الخصي عشر خصال مضادة لم يخرج من ظهر مؤمن
لا يخرج من ظهره مؤمن وهو أكثر الناس عبثا وأشدهم فاقة وهو أضعف
الناس منة وأشرههم على الطعام وهو أسوأ الناس أدبا وبعضهم الأدب وهو أغزر
الناس دمعة وأقساهم قلبا ما خلا مع رجل إلا حدثته نفسه أنه امرأة ولا خلا
مع امرأة إلا حدثته نفسه أنه رجل (بعض الشعراء) يذم الخصيان

ليس خبث الخصيان في الناس إلا ❊ شبه الصقر عند سد اللقاح
معشر أشبهوا القرود ولكن ❊ خالفوها في خفة الأرواح

وقد بالغ المتنبي) في هجو كافور الإخشيدي وتعداد معايبه وأوصافه ولا حاجة
بي إلى ذكرها في هذا المختصر ولا بد من إيراد شيء منها (فمن ذلك) قوله

من أية الطرق يأتي نحوك الكرم ❊ أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الأولى ملكت كفاك قدرهم ❊ فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لا شيء أقبح من فحل له ذكر ❊ تقوده أمة ليست لها رحم

وقوله العبد ليس لحر صالح بأخ ❊ لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه ❊ إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصي مكرمة ❊ أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه في يد النخاس دامية ❊ أم قدره وهو بالفلسين مردود
أولى اللئام كما يعتبر مقدره ❊ فلا جميل ولا عهد ولا جود
وذاك أن الفحول البيض عاجزة ❊ عن الجميل فكيف الخصية السود

قبح الله الشعراء) ما أقل حفاظهم وأكثر ما تتفاوت بالكذب في المدح والذم
ألفاظهم يقول هذا بعد أن قال فيه وقد وفد مستقبلا أركبها إليه

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ❊ وخلت بياضا خلفها ومآقيا
قواصد كافور توارك غيره ❊ ومن قصد البحر استقل السواقيا

بعد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيئا يسيرا وحال بينه وبين العهد
والوفاء وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع ويسامحها في احتكار المتاع ويحاسب صلته
يساوي بدره على عرض يساوي نقره ويرفع كرائم شعره إلى من لم تتم
نعمة كريمه ولم يعرف له قيمة لو رأى الطمع في مجرى المال لجهله ولو أتاه الدرهم من دبر
كلب لأخذه وما غسله ولا جرم أن الناس لما استخفوا قوله استخفوا فعله وكما
مجدوا شعره تحصنوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم
يجرح شهادته ويعطي ثم يسترجع عطيته فكم جوهرة لجاها وكم عرض جرد
به كساه ومن صحيفة أكل منها ثم شرق منها ومن طوبة ربطها ثم عكف عليها

بكل أحد وأن لا يعرف صديقه من عدوه (ومن علاماته) العجلة والخفة والتواني
والضياع والتفريط والغفلة والسهو (ومن علاماته) ان استغنى بطر وان افتقر قنط
وان فرح أشر وان بكى خار وان ضحك نهق وان أعطيته كفرك وان أعطاك من
عليك (وقالوا) من علامات المائق كثرة الالتفات وسرعة الجواب وتحريك
الرأس اذا مشى واذا اعتبرنا هذه الخلال الرذلة وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد
يعرف العاقل من كثرة الالتباس كما قال عليه الصلاة والسلام ليس من أحد الا وفيه
حمقة فيها يعيش * وقال وهب بن منبه خلق ابن آدم أحمق ولولا ذلك لما هنأه العيش
(نادرة) قيل لبهلول عد لنا المجانين فقال هذا يطول ولكني أعد العقلاء * ونظر الى
هذا المعنى بعض الشعراء فقال وأجاد

وما نقمت من اللذات الا * مجادلة الرجال ذوي العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

* الفصل الثاني من الباب الرابع *
* في ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة *

* فمن شهر منهم بالملح وعرف واستحسن كلامه النادر واستظرف *
جعيفران واسمه جعفر وانما صغر اللقب وهو القائل في نفسه

ما جعفر لأبيه * ولا له بشبيه أضحى لقوم كثير * فكلهم يدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه والأم تضحك منهم * لعلمها بأبيه

ويقال ان هذه الأبيات وضعها في دعبل فيكون قوله * ما دعبل لأبيه *
والرواية الأولى هي التي رواها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني * وكان
جعيفران متشيعا قيل له يوما اشتم فاطمة وخذ درهما فقال لا بل أشتم عائشة وآخذ
نصف درهم * واستعملته امرأة صنعة فقصر لها وفاها فاكب الناس عليه
يضربونه فأنشد

علقوا اللحم للشرا * قد غلى في دروق عدن
ثم لاموا الكلب فيه على حلقه الرسن
لو أرادوا عفافه * نقبوا وجهها الحسن

(ووقف) على علي بن اسمعيل الهاشمي فقال له أعطني درهما فأمر الغلمان بطرده
فطردوه فولى وهو ينشد

قد زعم الناس ولم يكذبوا * أن الشامي عن بني هاشم

فقال لغلمانه ردوه وأعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

(آخر) يظن بأن الحمل في القطف نابت * وأن الذي في باطن الحمل خردل

(وقالوا) فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الأرض ولا الطول من العرض ينظر إلى العلم نظر المغشي عليه من الموت إن أصاب فجم وإن أخطأ صمم (وقالوا) فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غيرة ساد وقال الشاعر

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى * وكيف يكون النوك إلا كذلكا

(وقالوا) الجهل رأس المصائب ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد الفكر واعتلال الذهن وكدر النفس وخبث الطوية (وقال) أشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم جاهل * وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل * شاعر

وإذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

(وفي منثور الحكم) من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل (وقالوا) لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا ناسي عمدا ويحسن غلطا (وقيل) لبزرجمهر ما لكم لا تعاقبون الجهال على أن يعقلوا فقال إنا لا نكلف العمي أن يبصروا ولا الصم أن يسمعوا (وقال) بعض الحكماء عمى الجهل أشد من عمى العين لأن الأعمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الأرض أو يسقط فيما انخفض منها والجاهل ربما عثر فيما لا يستقيل منه ووقع فيما لا مخرج له عنه * ابن الرومي

كالثور عقلا ومثل التيس معرفة * فلا يفرق بين الحق والفند

الجهل شخص بادي فوق هامته * لا تسأل الربع ما في الربع من أحد

(وقالوا) الجاهل يجني على نفسه وليس شيء أحب إليه منها * استأذن رجل من ثقيف على الوليد وعنده عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلعبان بالشطرنج فستر عبد الله الشطرنج فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله فأخبره ثم قال له أقرأت القرآن قال لا والله يا أمير المؤمنين شغلني عنه أمور وهنات قال أفرويت من الحديث شيئا قال لا والله يا أمير المؤمنين قال أتعرف الفقه قال لا والله يا أمير المؤمنين فكشف عن الشطرنج وقال شاهك يا أبا جعفر فقال عبد الله لو رفعت فقال ليس عندك أحد

* ومن صفات من عدم خلال الهدى واعتراه في عقله اختلال وهي *

أن يتكلم بجهل وإن حدث وهل وإن استنزل عن رأي نزل وإن حمل على باطل فعل (ومن علاماته) الغضب في غير شيء والكلام في غير نفع وإفشاء السر والثقة

بالبستنة ❊ وأحضره يوماً وأجلسه في صحن الدار وجلست أم جعفر بحيث لا يراها
وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له الرشيد عدلنا الجالس فقال أولهم أنا
والثاني هذا وأشار إلى أم جعفر فقال له عيسى بان الخطأ تقول هذه الأنثى قال
بهلول وأنت الثالث يا صاحب العربدة فقال الرشيد أخرجوه فقال بهلول وأنت
الرابع (وقال) رجل لبهلول قد أمر الأمير لكل مجنون بدرهمين فقال له امض وخذ
نصيبك لئلا يفوتك (وقيل) أيما أفضل أبو بكر أو علي فقال أما وأنا في كندة فعلي
وإذا كنت في بني ضبة فأبو بكر وكندة في الكوفة من غلاة الشيعة وبنو ضبة أهل
نصب وهم أصحاب الجمل

❊ونبذ مما يجلب التسلي لقلب المحزون من الفكاهات المحكمة عن عليان المجنون❊

(ذكر) أنه وصف للمأمون فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وأمر به أن يجلس
في مجالس العامة ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال عليان إن تسخروا
منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فهابه المأمون وعظم في عينه بها
(ومر) به رجل وهو يأكل تمراً والصبيان يؤذونه فقال للرجل انظر إلى هذا المرجوم
رحمة الله وهؤلاء الصبيان من عذاب الله ❊ وتولع الصبيان به يوماً فقال له رجل هل
لك في طردهم عنك قال نعم وأنت معهم (ورآه) رجل وهو يأكل تمراً في السوق
فقال له يا عليان أتأكل في السوق قال من جاع في السوق أكل في السوق ❊ ورآه من
لا يعرفه فقال له أنت مجنون فقال كل الناس مجانين ولكن حظي أوفر ❊ وقال له
رجل ما الذي صيرك إلى ما أرى قال هموم القضا ❊ وقال له من لا يعرفه أغريب
أنت قال أما عن العقل فنعم وأما عن البلد فلا (وأدخل) بهلول على الرشيد وعنده
عليان فكلمه فأغلظ له في القول وأمر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين
فصرنا ثلاثة فضحك الرشيد وعفا عنهما ❊ ومات أبوه وخلف ستمائة درهم فأخذها
القاضي وحجر عليه لعدم عقله فجاءه بعدها فقال له إنك حجرت علي لما ثبت أني
مصاب في عقلي وأنا جائع فادفع لي مائتي درهم حتى أنفقها في أصحاب الخلعان أبيع
وأشتري فإن رأيت مني رشداً دفعت إلي الباقي وإن أتلفتها كان الذي أتلفت أقل
مما بقي فأعطاه مائتي درهم فأخذها ولزم الخبز حتى أنفقها ورأى القاضي بعد ذلك
فقال يا عليان ما صنعت بالدراهم قال أنفقتها فليحتسب القاضي أجره الله من ماله مائتي
درهم ويردها إلى الكيس حتى يرجع المال إلى ما كان عليه

❊طرف من لطائف أخبارهم الأنيقة وبعض من لطائف بوادرهم الرشيقة❊

(حكي) أن ثمامة بن أشرس قال بعثني الرشيد إلى دار المجانين لأصلح ما فسد من
حالهم فرأيت فيهم شاباً حسن الزي كأنه صحيح العقل فقال لي يا ثمامة أتشك تقول إن

قد كذب الله أحاديثهم * يا هاشمي الاصل من آدم

(وحكى الجاحظ) قال كان جعفران عاشقي رجلا فدفعه الرجل على كلب فقال له ما هذا قال أردت ان أعرفك به قال جع من أنامه العداه * وتشاجر رجلان في رجل ادعياه فقال أحدهما هو من طفاوة وقال الآخر هو من بني راسب وتحاكما الى جعفران فقال ألقوه في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بني راسب قال الدساوي راسب بن سدعان بطن من الازد وطفاوة من ولد اعصر وهو منبه بن سعد بن قيس عيلان وهذه الحكاية نسبها الميداني في كتاب الامثال لهبنقة الليثي المضروب به المثل في الحمق والحمق

* ومن مشاهير مجانين الكوفة البهلول ذو العقل السقيم والذهن المعلول *

(وله) لاسحق بن محمد الصباح بنت فساءه ذلك وامتنع من الطعام والشراب فدخل عليه بهلول وقال أيها الامير ما هذا الجزع والحزن جزعت لخلق سوي وهبه الملك العلي أتسرك أن تكون مكانها ابن وأنه مثلي فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب وأذن للناس بالدخول عليه للهناء (ومر) بهلول بقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئها فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمعوا اليه قال أحدهم يا بهلول تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها في كمه ثم قال هاتوا سلما فقالوا لم يكن في شرطنا سلم قال كان في شرطي دون شرطكم (وسئل) عن مسئلة من الفرائض وهي رجل مات وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيأ فقال للابن اليتم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت وما بقي من الهم فللعصبة * وجعل عليه الصبيان يوما فالجؤه الى دار مفتوحة فولجها ووجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة فيها من أنواع الاطعمة ما تشتهي الانفس ولذ الاعين فرجع وغلق الباب ودخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ الى دار بعض العلويين فرأى رجلا صحيحا ومعه صغيرتين فقال يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فأخرج الرجل واغلق الباب وحماه من الصبيان * وجعل عليه الصبيان يوما فالجؤه الى مضيق فشد عليهم القصبة وهو يقول

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه من الفرج

(وسمع) البهلول صبيا يقول يوم عيد يا أيها الناس اني رسول الله اليكم فلطم وجهه قال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال له الرشيد يوما من حب الناس قال من أشبع بطني قال اني أشبعك فهل تحبني قال له الحب لا يكون

العنق فقلت عجبا فقال لا يأخذون لولا عصابة الادم لاكلناه منذ حين (وسمع) أبو الصقر المجنون سقاء يصيح في يوم حر هذا يوم يسقى فيه الماء فقال وأي يوم يطعم فيه الخبز (وحكى) علي بن الجهم الشاعر قال مررت بمجنون والناس يجتمعون عليه يعبثون به فلما رآني قصدني دونهم وأخذ بعنان بغلتي ثم أنشد

لا تجلسن بعشر الـــقوم الذين تراهم

وتوق من أذاهم * نفسي ومن عاداهم

لو قيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم جال بطرفه في الحلقة فرأى فيها شابا أمليح الوجه حسن الهيئة فوثب إليه ومزق ما كان عليه ثم نظر إلي وأنشد

هذا السعيد لديهم * قد صار في أشقاهم

(ووقف) بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه فقال لهم أرأيتم لو بال هنا حمار أكنتم ضاربيه قالوا لا قال فهبوني حمارا فإنه لا عقل لي فتركوه وأطلقوه (وقال) المبرد دخلت دار المجانين فوقفت تجاه مجنون وأخرجت لساني نحوه وحولت وجهي عنه فوثب إلى الناحية التي حولت وجهي إليها وأخرجت لساني نحوه وحولت وجهي إلى ناحية أخرى فوثب إليه ففعلت مثل ذلك فلما أضجرته رفع رأسه إلى السماء وقال انظر يا رب من خلوا ومن ربطوا

* ومما اخترته من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم في سلكه جواهر الجد والهزل *

(حدث) ابن حبيب في كتابه الذي صنفه في أخبار عقلاء المجانين بإسناده إلى أبي إسحق إبراهيم الأبلي قال رأيت غورثا المجنون وقد خرج من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يبكي فقلت له ما خبرك يا أبا محمد فقال أما ترى هؤلاء الصبيان أما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت ما أظنك مجنونا قال بلى والله وعاشق فقلت وهل قلت في عشقك شيئا قال نعم ثم أنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد

وقد سكنا بين الحشى وتحالفا * على مهجتي أن لا يفارقها الجهد

وأي طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من دائين ما لهما ند

قال الأبلي فولت عنه فقال قف واسمع ما أقول فإن شرح غرامي على الخلق يطول فوقفت فأنشد

جنون ليس ينطقه الحديد * وحب لا يزول ولا يبيد

فنفسي بين ذاك وذا تضل * وقلبي بين ذاك وذا عميد

ثم قال لي انصرف فما سمعته يكفيك (وأنشد) يوما بعد الفجر بعشيقته فقال له

العاقل لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لها وأنت تنبح
المطبوخ أرأيت لو سكرت ونمت وقام الديك علامك وأوثق فمك مثل ذراع البكر فقل
لي أهذه نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لها قال ثمامة فلم أدر بماذا
أجيبه فقال مسألة قلت ما هي قال متى يجد النائم لذة النوم إن قلت في حال نومه
فحال وإن قلت إذا استيقظ فقد أبعد لذة شيء انقضى ومضى فبهت لا أحير
جوابا فقال مسألة أخرى قلت وما هي قال أليس تزعم أن لكل أمة نذيرا فما نذير
الكلاب قلت لا أدري فقال أما الجواب عن المسألة الأولى فيجب أن تقول النعم
ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لها وبلية يجب الصبر عنها فهذه
من القسم الثالث وهي البلية التي يجب الصبر عنها وأما المسألة الثانية فالجواب
عنها أنها محال لأن النوم داء ولا لذة مع وجود الداء وأما المسألة الثالثة فأخرج
من كمه حجرا وقال إذا عضك كلب فهذا نذيره ورماني بالحجر فأخطأني وأصاب
الأسطوانة فلما رآه قد أخطأني قال فاتك النذير يا أيها الكلب الحقير فعلمت أنه
مجنون وأن عقله مصاب فتركته وانصرفت وقد وقعت من العتمة بالأبواب (وكان)
في بني أسد مجنون يسمى ليبدان فمر بقوم من بني تيم الله بن ثعلبة فعبثوا به فقال يا بني
تيم الله ما أعلم في الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال لأن بني أسد ليس فيهم مجنون
غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين وليس فيكم مقيد (وكتب) بعض
المجانين إلى عشاق وشكا إلى الملك ثلاث ساعات من ليلة الميلاد إلى صبيحة يوم
المهرجان وجدته يطبخ بالماء فما هو إلا والحرارة لا تزداد إلا كثرة والغليان فلا هم الله
وبدنه لهم لا يزدادون إلا وقاحة فإن قدرت أن لا تبيت إلا وحولك حجارة فافعل
واستعمل قول الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم (وركب) بختيشوع المتطبب مع المأمون فتعلق به مجنون وقال
أيها الطبيب جس نبضي فجسه وقال له ما تشتكي قال الشبق فقال له خذ سواك
أراك وأدخله من ورائك فإنه صالح لدائك فوقع المأمون ضاحكا وضرط وقال جد
هذا أجرك حتى تجرب دواءك فإن كان صالحا لدائك شكرناك ورددناك ولا يكون
لما طلبت سواك فخجل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون (ووقف)
صالح الموسوس على قوم فسألهم شيئا فردوه فولى وهو ينشد

أساء إذا أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس

(وقال بعضهم) رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يؤثر كل واحد منهما صاحبه به
وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما وأنا أظن أني أربح عليهما أنا آكله إن لم تأكلاه
فقال أحدهما يا أحمق إن معه أدما لا يسوغ إلا به قلت وما هو قال ضيق الحمق ووح

العنق

ونقل جوهر ما شرطناه بعرض (وحكي) المبرد قال خرجت من بغداد الى واسط فلما أتيت دير هرقل نظرت الى المجانين ونظرت الى فتى منهم بائنة عنهم فلما انتهيت وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت له ما تحفظ فقال

الله يعلم أنني كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقوتها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي أجد

فقلت له أحسنت فأومأ بيده الى شيء ليرميني به فوليت هاربا فقال سألتكم بالله الا رجعتم حتى أنشدكم فان أحسنت قلتم أحسنت وان أسأت قلتم أسأت قال فرجعت فقلت له قل فأنشدنا

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم * نادت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * من نازل البين حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي نودعهم * يا راحل العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم * يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال فقلت له ماتوا فصاح وقال وأنا والله أموت واستلقى على ظهره وتمدد فمات فما برحت حتى دفنته رحمة الله عليه

﴿الفصل الثالث من الباب الرابع﴾
﴿في احتجاج الأديب الحاذق على أن الحمق أرزاق الخلائق﴾

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء فسر الأفئدة وهي الدرايات بالعقول لا بأمورها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفي طريق آخر ان الله يحاسب كل امرئ على مقدار عقله وفي بعض الأخبار ما خلق الله لرجل عقلا وافرا الا احتسبه عليه من رزقه وقيل من زيد في عقله نقص من رزقه

﴿ما قيل في أن لذاذة العيش لا تحصل الا بالجهالة والطيش﴾

(ذكر) ان بعض الحكماء سئل من أقل الناس هما وأحسنهم حالا وأطيبهم عيشا وأنعمهم بالا فقال من لم يفكر في أمر دنياه ولم يهتم لآخرته * أنشد بعضهم فقال

تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع

المعشوق رجاء الخلاص منه كيف أصبحت فقال

أصبحت ملكاً على شفا جرف * متعسراً موارد التلف
وأرى الذي تهوى غير ملتفت * منحرفاً عن غير منحرف
يا من أطال بهجره أسفي * أسفي عليك أشد من تلفي

(وحكي) أيضاً أن هرون الرشيد مر بدير في ظاهر الرقة فلما أقبلت مواكبه أشرف أهل الدير ينظرون اليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هرون رمى بنفسه بين يديه وقال يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات أفأنشدك اياها قال نعم فأنشده

لخطاب طرفك في العدا * يغنيك عن سل السيوف
وعزيم رأيك في الهوى * يكفيك عاقبة الصروف
وسيول كفك بالندى * بحر يفيض على الضعيف
وضياء وجهك في الدجى * أبهى من البدر المنيف

ثم قال يا أمير المؤمنين هات أربعة آلاف درهم اشتري بها كسا وتمرا فقال هرون يدفع له فحملت الى أهله (وحكي) أيضاً قال ادريس بن ابراهيم اللخمي سمعت مجنون ينشد في يوم غيم

أرى اليوم يوماً قد تكاثف غيمه * وأقدامه بالنوم لاشك ماطر

فقال بديهاً من غير روية

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المعاجر

(ومر) ابراهيم بن المدبر بالاهواز فصرف عنها فعرض له ما في الوسوسة وأمنه محمد بن القاسم فأخذه الحمام فعلقه وقال

ليت شعري أي يوم اخذوا * فاعتنوا بك من طول النحف
نظر الله اليهم دونها * وحرمناك لاننا قد سلف
يا أبا اسحق سر في دعة * وامض محموداً فاعفك خلف
اعالت سحاب هاطل * حسنها صرفه الله انصرف

فأمر له بستمائة درهم (ونظر) اليه انسان وهو يأكل تمراً ويبلع نواه فقال له لم لا ترمي نواه قال هكذا وزن علي * وقيل له في كم يصير الانسان مجنوناً فقال على قدر الصبيان * ومن شعره

زعموا أن من تشاغل باللذات يوماً عن حبه يتسلى
كذبوا والذي يساق له البدن * ومن دار بالطواف وصلى
ان نار الهوى أحر من الجمر على قلب عاشق يتصلى

وأخبار باقي أحلى من مسامرة الاماني لكن استيفاؤها يخرج عن الغرض

قوله (وقال) الشريف أبو يعلى بن الهبارية

ـالم أر العقل شافعا ※ وأنكرت لما كنت بالعلم صائدا
قلى ووصلي وقطعي ※ ادامت صعر الكف والاطرح حائدا

قول عبد الله بن المعتز في هذا المعنى مع زيادة العقل كالمرآة
ـا صاحبها مساوي الدنيا فلا يزال في همّ وغمّ وما يعدو السرور
فإن أكثر ما عليه الصدأ كانت حتى لا تظهر تلك المساوي
والجهل كالمرآة الصدئة لا يرى صاحبها الا سرورا أبدا فمثل
من هنا المصنف (فالعاقل) يستدعي حالة الجهل الى نفسه ليرادف
العواقب والعرض في اكتساب المحامد والمناقب فاذا ضاق بها
ـطع لرداءتها ذرعا احتال على ذهابها بالشراب ليحمل عنه ثقال الهموم
ـي المسرات والافراح (ومن) مستطرف ما نظم في هذا المعنى قول أبي
ـرد

ـت الحظ حظ الجاهل ※ والعيش في الدنيا لغير العاقل
ـعبسا من كرائم باذل ※ فعدوت من عقلي بعيد مراحل

※ومن أحاسن أقوالهم في أن العقل طريق الى الغنى※
※ويمنع صاحبه من الوصول للغنى※

ـمام محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه قال وكل الله الجهل بالغنى والعقل
ـر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شيء (وفي مثل هذا) يقول نصر بن
الخبزارزي

ـ من قدر الانسان مرتبة ※ وصير الناس مرزوقا ومحروما
ـوطن أعيت مذاهبه ※ وأحمق جاهل تلقاه مرزوقا
ـذي ترك الأوهام حائرة ※ وصير العالم النحرير زنديقا

ـرحمه الله تعالى يناظر في القدر قال وما أدى بالمناظرة رأيت الظاهر
ـلى الباطن رأيت الأحمق مرزوقا والعاقل محروما فعلمت أن التدبير
ـد (وقيل) أعجب الأشياء نجح الجاهل وإكداء العاقل حتى قيل
ـم على قدر العقول لم تعش البهائم

(قال حبيب بن أوس الطائي)

ـى من عيشه وهو جاهل ※ ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ـالأرزاق تجري على الحجى ※ هلكن إذا من جهلهن البهائم
ـلعقل يشقى في النعيم بعقله ※ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(ولأبي بكر الكاتب)

من رزق الحمق فذو نعمة * آثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهم عن نفسه * والفكر في الدنيا وفي الآخره

(وقال) حكيم ثمرة الدنيا السرور ولا سرور للعقلاء وقال الشاعر

الروح والراحة في الحمق * وفي زوال العقل والخرق
من أراد العيش في راحة * فليلزم الجهل مع الحمق

(ومن أمثالهم) ما سر عاقل قط * وقولهم الهم والعقل لا يفترقان * وقولهم استراح من لا عقل له * وقال بعض الحكماء العاقل في ربقة من عقله تحجبه عن اللذات وتصده عن الشهوات فمتى جرى على حكم البشرية فأطاع هواه واتبع غرضه ومناه قيل زلة عاقل وهفوة ذا كرم فنعوذ بالله من شرها ونرغب الى الله في الكفاية منها

(وقال الشاعر)

أرى العقل مؤذيا في المعيشة للفتى * ولا عيش الا ما حباك به الجهل

(وقالوا) الجاهل ينال أغراضه ويظفر بآرابه ويطيع قلبه ويجري في عنان هواه وهو بريء من اللوم سليم من العتب يعذر لأنه ويعفى عن هفواته (وقال) آخر الجاهل رخي الذرع خالي البال عازب الهم حسن الظن لا يخطر خوف الموت بفكره ولا يجري ألم الاشفاق على ذكره (وقالوا) الجهل مطية المسرة والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابي صاحبه في زمام من عصمة اللوم والعتب وأمان من عوارض الذم والسب * وقال الشاعر

ورأيت الهموم في صحة العقـ * ـل فداويتها بأمراض عقلي

(وقال) المعبر من شغفه ما العيش الا في القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل
وألقى عصا عنانه في بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل في المعنى دافعا عن الآراب وحائلا دون الأغراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكم بين الطليق والعاني وأين المعقود من الشارد وهل من يتصرف على اختياره ويتبع دواعي أهوائه كمن يقسر ويحصر ويكره ويجبر (وقالوا) لو لم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام اذ هما عين الشجاعة والبسالة وسببان لتحصيل الرفعة والجلالة وقال شاعرهم

مالي وللعقل لا أستحسنه أبدا * والعقل ينزل دار الذل والهون
لقد تغافلت دهر الأرى فرحا * ومذ تحامقت صار الناس يدنوني

(وقال) يحيى بن أكثم ما رأيت العقل قط الا خادما للجهل (وقالوا) كم عاقل أخره عقله

وكن حمارا تعش بخير * فالسعد في طالع البهائم

(آخر) طاب عيش الرضيع في ذا الزمان * والجهول العقول والصفعان
فاغتنم حمقك الذي أنت فيه * تحظ بالمكرمات والاحسان

(آخر) اذا كان الزمان زمان حمق * فان العقل حرمان وشوم
فكن حمقا مع الحمقى فاني * أرى الدنيا بدولتهم تدوم

(آخر) ان عاما فيه تسربلت صبرا * وتردت في الرحال البرودا
لزمان أبدى النحوس الى النا * س واخفى عن العيون السعودا

(آخر) قد كسد العقل وأصحابه * وقد تفشت للجهل أبوابه
فان بعقل الحمق يكن داعيا * قد نفض العقل وأربابه

(آخر) تحامق مع الحمقى اذا مالقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

(آخر) أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالي بارتفاع الاسافل

(وقال) بعض ظرفاء الادباء وهو ابو الحسن المدائني

طلبت الرزق بالحذق * من الغرب الى الشرق
فلم يكسبني العقل * سوى البعد من الخلق
فأدبرت عن العقل * واقبلت على الحمق
فداف الناس اسعاري * وقالوا أحمق الخلق
وقالوا لي الحذق * فيا ساء مس الرزق
فمن لام على الحمق * فقد حاد عن الحق

﴿ومما ذكر ان الحظ أهدى اصابه الحاكم﴾
﴿وأهدى في طرق ما تربه من يوم الاحق﴾

ما حكي اهل التجارب فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعلة والدليل لا ينفصل لاحدهما عن الآخر (وقالوا) افراط العقل مضر بالجد (وقيل) استأذن العقل على الجد فحجبه وقال اذهب انت لي لا اليك (وقال شاعر)

تذر جدا ولا تسرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

(آخر) لا تنظرن الى عقل ولا ادب * ان الجدود قريبات الاسباب

(آخر) الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجدك في الحوادث او ذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر واذا بعدها ادالم يقدر

آخر) العقل ليس بمسعد جهلا إذا * ما قال حتى يسعد المقدور
وحكومة الأيام تسعد جاهلا * فيها ويشقى العالم النحرير
آخر) لو كانت الأرزاق تدركها النهى * بجلاده أو وفره وشراس
لاجدت أوصلها إليّ همتي * وتعطفي وتحيلي ومراسي
لكنها قسم وليس بمدرك * ما لم يقدره الإله الناس

حدث) ابن حبيب في كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن علي بن عطاف قال كان عندنا رجل عاقل ظريف أديب يسمى عامرا وكان مع كثرة أدبه محروما فعمل الحيلة فتحامق فجلت أبطالته حتى طردت به في بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فأنشد عجلا ومرتجلا

يا عاذلي لا تلم أخا حمق * تصحب منه فالحمق ألوان
حمقت نفسي لكي أنال غنى * فالعقل في ذا الزمان حرمان

وكان) الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال جماعة تعولني بمن عقل أعوله ثم أنشد

عذلوني على الحماقة جهلا * وهي من عقلهم ألذ وأحلى
حمقي قائم بقوت عيالي * ويموتون إن تعاقلت هزلا

* ومن المنظوم في أن من أفعال الزمان إلباس العقلاء أسمال الحرمان *

(أبو علي بن المبارية)

الجهل أروح للفتى من عقله * يمسي ويصبح آمنا مسرورا
ترك العواقب جانبا عن فكره * وسعى رواحا في الهوى وبكورا
والعقل يعقله على مسراته * ويصده فيرده محسورا
ويراهما كثيرا همه * مما أسر أو فوت مقدرا
يا غافلا الجهال في أيامنا * وردوا ونالوا منزلا وسريرا
أحسبت علي واطرحت فضائلي * على أكون إذا جهلت أميرا

آخر) دع عنك عقلي فالعقول بحارق * لا ينفع الإنسان إلا جهله
كم عاقل أمسى عقالا عقله * دون المنى وعداه ولاذه له

آخر) ولما رأيت الدهر أحمق جاهلا * تجاهلت لا أدري وجهلي ولا أدري
بما يوهب الأحمق المحروم فأله * ويقصد أبناء الفضائل بالعسر
ثمنهم من الغرى ويلودهم * إذا وردوا الموكر بجامع بالدهر

(عبد القاهر الجرجاني)

كبر على العقل يا خليلي * وملْ إلى الجهل ميل هائم

وتحامق

(ويقال) اذا أقبل جد المرء فالاقدار تسعده والاوطار تساعده واذا ادبر فالانام تعاديه والعكس يراوحه وتغاديه (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا والى هذا أشار حبيب بن أوس في قوله

واذا امتلت الحال وجدتها * تشرى كأشآر الرجال وتعدم

(وقال آخر) وهو ابدع ما قيل في هذا الباب

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

﴿وقال ابن نباته﴾

ألا لا تخش ما يرجى وجدك هابط * ولا تخش من شيء وجدك رافع

فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

(آخر) اذا كنت مرموقا بعين سعادة * فلا تخش يوما من رجوع الكواكب

فان الذي قد قدر الله سعده * بعيد لعمري من صروف النوائب

(ومن) الطريف المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف القيرواني

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب

ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب

﴿الباب الخامس في الفصاحة وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

﴿في ان الفصاحة والبيان أرفع ما تحلت بهما الاعيان﴾

قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا (حد البيان) قال الجاحظ في كتابه الذي سماه البيان والتبيين البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقة اللفظ ويهجم على محصوله كائنا ما كان (وقيل) لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ما البيان فقال ان يكون الاسم محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك (وقال آخر) خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقيه وموجزا يخف على اللسان تعاطيه

﴿وما ورد عن جهابذة هذا الفن في مدح موهبتي الفصاحة والبيان﴾

قول ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وقال سهل بن هرون البيان ترجمان اللسان وروض القلوب (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالفصاحة في مخاطباتك فانها صوان لمعاطفك كالوشي البهي في حسن الصورة (ويقال) من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار (وقال)

(آخر) متى ما ترى الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظ قسمت وجدود

(آخر) لا تنظرن الى الجهالة والحجا * وانظر الى الاقبال والاقبال
كم من صحيح العقل أخطأه الغنى * وعديم عقل فاز بالاموال

(ودعت) ام الاسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظا يخدمك به ذووا العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الحظوظ (وخير) رجل من امرين فابى أن يختار وقال أعجزي أوثق من عقلي ومن أمثالهم أن تجد فلا تكد (وقال) أبو العلاء احمد بن سليمان المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقال بعضهم) قالوا أفقت وما رزقت وانما * بالسعي يكتسب اللبيب ويرزق
فاجبتهم ما كل سعي نافع * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سيرة قطعت وأخرى مثلها * ضرب ويكتسب الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

آخر) لا توجد الرزق بالاتعاب في الطلب * ولا تكد ولا تحرص ولا تتعب
نل الحظوظ التي تعلو بصاحبها * لا الحظوظ التي في سائر الكتب
كم من غلام أديب فاضل ذكر * فهم مهذب حد السيف ذي الشطب
يمسي ويضحي من الافلاس في تعب * بطلب الكف بالميزان والذهب
وآخر جاهل طبع لا خلاق له * مذبذب العقل ثور أمه البقر
لا يعرف الميم من واوا اذا كتبا * ولا يميز بين السين والعضب
قد أدركت حظوه الايام صاحكة * وأخدمته الليالي كل ذي حسب

(وللشافعي رضي الله عنه)

والجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بان مجدودا حوى * عودا وأغمر في يديه فحقق
واذا سمعت بان محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى برزق ضيق
فاذا عما ضرب بغلي صخره * فاودمها أني لم أخلق

و يقال

(وقالوا) اللسان عضو ان مرنته مرن وان تركته حرن (وقالوا) اللسان اذا كثرت حركته رقت عذبته كالرجل اذا عود المشي خفت (وقال) خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثله أو بهيمة مرسله أو ضالة مهمله (وقال أيضا) لسان المرء أوجه شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه به يتصل الود وينحسم الحقد (شاعر)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال) بعض البلغاء مغرس الكلام القلب وزارعه الفكر وثمرته العقل وزهرة الاعراب وعنزه الصواب وجانيه اللسان

ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان

(قالوا) اللسان جوهر الانسان من خصائصه ان الله رفع قدره على سائر الاعضاء فانطقه بتوحيده وألهمه لتمجيده ومن خصائصه أنه اداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل بالخطاب وناطق يرد الجواب وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح وشاهد يسأل به عن الغائب وسامع يدرك به المطالب ومونق يلهي الخاطر ومؤنس يزيل وحشة الناظر ومعزي تسكن به غلة الجليل ومزين يدعو الى الجميل وزارع يثبت الوداد وحاصد يستأصل الضغائن والاحقاد

ومما ينال به الحامل أعلى الرتب الفضل بأنواع جواهر الادب

الادب نوعان نفسي وكسبي فالنفسي بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الافعال المائلة على كرم الطباع والكسبي ما استفاده الانسان من أحاسن الاقوال الآخذة بأعنة القلوب والاسماع وهو الذي ترجمت عليه في هذا الموضع لتقعد ذكره في النفوس أحسن موقع لترفعه لاهله العيون بالاجلال وتجمل النفوس به لاهلها المهتدية مع الادلال وهو الظرف في اللسان الكاشف عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وانشاء المنثورات وما يتعلق بذلك من علم البديع والمعاني والبيان وما ذكرناه فهو الذي نال به حماد الراوية والاصمعي واسحق الموصلي العلا من الخلفاء والجوائز من الوزراء وسموا بشرفه الى منادمة الخلفاء والندماء (قال) أكثم بن صيفي الرجل بلا أدب شخص تعرى له وجسد بلا روح (وقال بزرجمهر) الادب سر نفس لا يطلع الا في مثله (وقال الاحنف) لكل شيء ذؤابة وذؤابة الشرف الادب (وقال أنوشروان) عجبت لمن يشهره الادب كيف يذبذبه نفسه الى مكرمة (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالادب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك (وقال) عبد الملك لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا بررتم

هشام بن عروة ما حدث الناس مروأة أحب الي من الفصاحة (وقال)
بعض البلغاء الفصاحة أوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل وأقوى
دليل على استكمال الذكاء والنبل لم يزل يشيد لأهلها في ربوع المجد ذكرا ويرفع
لهم في مراتب العلوم ذكرا ورب ما سوّدت غير مسوّد ورفعت من الحضيض
الاوهد الى محل السمو والفرقد (ويقال) بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه
السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلقه ملكها على الخلق من أمره والمشهور
ان العزيز لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شانه

* وممايتميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان *

(قال) بعض الحكماء الكلام حد الانسان الحي الناطق (وقالوا) الصمت منام
والكلام يقظة * وقال عبد الملك بن مروان ان الكلام قاض حكم بين الخصوم
وضياء يجلو الظلم حاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الاغذية (ويقال) حد
الانسان انه ناطق فمن كانت رتبته في النطق أبلغ كان بالانسانية أخلق (وقال)
أبو الفرج المعافى في رسالة له يمدح فيها الكلام الحيوان كله متساو بصفة الحركة
والنمو والانسان والبهيمة باشتمال هذا الوصف عليهما سيان وانما فضل العالم
الانسي بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب الى العقل فاذا
صحت بهذه القاعدة أن الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع فقد
وجب أن يكون أكمل هذا الجنس فضلا وأحمد هذا العالم فعلا ومن كان قسطه
بفضيلة النطق موفورا فمحله من ربع الفضيلة معمورا (وقال أيضا) من زعم أن
الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد حكم على الكلام بالنقصان
وأحله في محل البيان ولو كان الصمت أفضل من الكلام لعبدنا الله به وما تعبدنا
بالالهام وكان توحيد الله بصحيح القول في غير واسطة أو رسول (وقيل)
لبعض الحكماء انما أفضل الصمت أو النطق فقال ان الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق
البيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وما عبر به عن
شيء فهو أفضل منه (ويقال) من فضل الناطق على الصامت ان الناطق يهدي ضالا
ويرشد غاويا ويعلم جاهلا (وقيل) لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم الصمت خير أم الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها
للسان وأجلبها للعي والله للمماراة أسرع في هدم العي من النيران في يبس العرفج
(وقال آخر) الصمت مفتاح السلامة ولكنه قفل الفهم (وقال الشاعر)

نطق اللسان لنطقه وكلامه * لا للسكوت وذاك حظ الاخرس
فاذا نطقت فكن لمجلس قائلا * ان الكلام يزين رب المجلس

(وقالوا)

بالأدب (شاعر)

كم من حسيب وضيع القدر ليس له ۞ في العز بيت ولا ينمى الى نسب

فصار بالادب المحمود ذا شرف ۞ عال وذا حسب محض وذا نسب

يعلي التأدب اقواما ويرفعهم ۞ حتى يساووا ذوي العلياء في الرتب

۞ فكن من دأب في طلب الادب فان به أعلى المناصب والرتب ۞

يكفي دليلا على ما ذكرناه وانموذجا للمناقب انه حال احمد بن أبي دواد في ترقيه الى بقاع المجد من الحضيض الاوهد (يحكى) انه كان يختلف الى مجلس بشر المريسي في حالة رثة وهيئة رديئة وينصرف عنه في قائم الظهيرة معلقا نعليه متأبطا دفتره فقيل عنه ذلك فلما وجه المأمون المعتصم الى مصر التمس من بشر رجلا من اصحابه يكون في صحبة المعتصم يوليه على المظالم ويكتب اليه اخباره فقال يا أمير المؤمنين معي اقوام لهم فقه ولكن لم يجمعوا اليه الادب ومعرفة أمور السلطان ثم وصف له أحمد بن أبي دواد فقال انه جمع الى فقهه أدبا وفهما وعقلا فارسل اليه وقلده المظالم ففعل ثم حل من المعتصم محلا عظيما بالاستشارة له أيام مقامه بمصر معه (ومنهم) الفضل بن سهل ذو الرياستين كان اهل بيته مجوسا وتجارا وصناعا فهم من الدهقان وبائع الخمر فبلغ به الادب الى أرفع الرتب (ذكر) عنه انه كان يتقلد سيفين أحدهما أحمر الجفن مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر اسود الجفن مكتوب عليه رياسة التدبير ولهذا سمي ذو الرياستين وصحب الفضل المأمون في حداثته أيام أبيه الرشيد وهو مجوسي فغلب عليه وحمله على ايثار الادب وطلب الحكمة وكان الفضل يعلم احكام النجوم وأخبره أنه يرى في طالعه انه يلي الخلافة فلما وافى تدبيره بعد عمه شرقا وغربا فبلغ الرشيد شأنه وخبره فهدر دمه فاستتر حتى اذن الله أن يظهر فأتى الرشيد وهو في الحلبة فقبل بين يديه وهو يقول أعوذ بأمير المؤمنين برضاك من سخطك واعترف بالذنب وأسلم لله على يديك فقال الرشيد من هذا قالوا المجوسي الذي هدرت دمه فقال قد وهبنا لك دمك اذا اسلمت لله فاياك ومعاودة ما فعلت (ومنهم) محمد بن عبد الملك الزيات قال له الفضل بن أيوب يوما وقد دارت بينهما مشاورة في مناظرة ليس هذا كيل الزيت ولا عد الجوز قال له أبالتجارة تعيرني فقد كنت تاجرا وكنت متأخرا فقدمني الله بالادب واصارني بعد التجارة الى الوزارة وليس العيب من كان خسيسا فارتفع واعتلى ومن كان شريفا فاتضع ولو كنت عاملتك معاملة الفضل بن سهل واذللتك كما اذلك لم تقدم على مثل هذا القول الذي لم يقلك فقد كنت تدخل دار الخلافة لائذا بالجدران وتمشي الاقدام ناكس الرأس غضيض الطرف وقامته لكي رفعتك في المجلس فوق من هو أرفع منك وفضلتك

وان كسم أوساطاهم وان أعوزكم المعاش عشتم اسعيدوا من الادب ولو كلمة واحدة (وقال) بعض الاعراب تعلموا الادب فانه زيادة في العقل ودليل على العقل ومصاحب في الغربة وأنيس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب الى درك الحاجة (وقال المأمون) والله لان أموت طالبا للادب خير من أن أموت قانعا بالجهل (ويقال) ذلك فلملك بالادب كالمذكي النار بالحطب (وقال) الخليل بن أحمد من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا (وقال آخر) الادب أكرم الجواهر طبيعة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويصح القصد والوسيلة فالسوه حلة وتزينوه حلية فانه أنفق معاش وأجمل رياش (وقال) الشعبي الادب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال

﴿ومما ذكر أن التحلي بالآداب يعلو الغني بذوي الاحساب﴾

(قالوا) من قعد به نسبه نهض به حسبه (وقالوا) من تأدب وليس له حسب الحقه الادب بأهل الرتب * وقد يستغني بالادب عن الحسب كما حكي عن شبيب بن شبة قال تكلم رجل بين يدي المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين فقال نعم الحسب الذي انتسبت اليه (ولهذا قيل) المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وبآدابه لا بثيابه وبفضائله لا بفصيلته وبعمله لا بعقائله وبآبائه لا بآبائه وبكماله لا بأصله

(قال الشاعر)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

(وقال بزرجمهر) من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (وقالوا) من دأب في طريق الادب أدرك حاجته ونال أمنيته ونبل قدره ونبه ذكره

(قال الشاعر)

لكل شئ زينة في الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع الحسب

﴿وما أحسن قول بعض الاعاجم يفخر ويعتذر﴾

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
واذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

(ويقال) حسن الادب يستر قبيح النسب (وقالوا) الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والنسب (ويقال) الادب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب

للثقل الحاوي منطق يشفي الجوى ❊ ويسوغ في أذن الأديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل ❊ وكأنما آذاننا أصدافه

(قيل) فلان إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر فلان إذا أنشأ نشرت زهرات الآداب من عذبات لسانه وإذا أنشد حرك ذا الوقار طرباً بإحسانه لله در فلان ما أبسط لسانه وأطول عنانه وأفصح بيانه وأجود إتقانه

(أبو عبادة البحتري يصف بليغاً)

حكم فسائحها خلال بنانه ❊ متدفق وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلفاً بحمرة نوره ❊ وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها في السمع معقود بها ❊ شخص الحبيب بدا لعين محبه

(ولبعض شعراء العصر)

مقال بديهته أوائل وائل ❊ وبعضه أحياناً أعارب يعرب
هو الزهر الغض الذي في كمامه ❊ أو اللؤلؤ الرطب الذي لم يثقب

(آخر) قول هو الماء لمطعمه ❊ وكل قول سواه كالزبد

(وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه)

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ❊ بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع ❊ لذي إربة في القول جداً ولا هزلا

(آخر) كلام كوقع القطر في المحل يشتفى ❊ به من جوى في باطن القلب لاصق

❊الفصل الثاني من الباب الخامس❊

❊فيما يتحلى به ألباء الأدباء من بلاغات الكتاب والخطباء❊

ولنقدم أمام هذا الفصل نبذة يسيرة في حد البلاغة وأقسامها والطرق التي يوصل سلوكها إلى معرفة نقصها أو تمامها (قال العتابي) واسمه كلثوم بن عمرو البلاغة إظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق (وقال) علي بن عيسى الرماني أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه (وقالوا) البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ (وقيل) لبعض البلغاء من البليغ قال الذي إذا قال أسرع وإذا أسرع أبدع وإذا أبدع حرك بكل نفس ما أودع (وقالوا) لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى لا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك (وقال) عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الحمار البلاغة ما رضيته الخاصة وفهمته العامة

❊والعرب سبّاق حلبة البيان يعترف لهم بذلك شهداء كل زمان❊

قال بعضهم نحن أمراء الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا تدلت غصونه ونحن

على من هو متقدم عليك فقال له العلاء فهلا أنفت كلمة تقوله وحملت ثقل
مضروب لم أعتد لك به فأما قولك إني كنت ألوذ بالجدران وأتبع الأفياء خوفاً
من الفضل فقد كان ذلك ولكني لم أكن أراك هناك وإن أولى الناس أن لا يعير
أحداً باستخفاف الفضل لأنت فقال ابن الزيات هذا شر من ذلك ونهض من مجلسه
وقال أخ وعمي فكان العلاء يأتي بابه كل يوم فيقف حتى ينصرف الناس ثم
يمضي فلما رأى ابن الزيات صبره وأدبه صالحه وواصله * وأراد العلاء بقوله فإن
أولى الناس أن لا يعير أحداً باستخفاف الفضل لأنت أن الفضل رأى على ابن الزيات
سواداً فأمر بتمزيقه عليه وقال لا تتشبه بأصحاب السلطان وأرباب المراتب ثم لم تطل
مدة الأيام والليالي حتى ولي ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين يديه
(وكان) ابن الزيات ملماً بعلم الأدب كاتباً شاعراً لا يشق في شيء من أعماله ولا
تدرك آثاره (يحكى) في سبب تقدمه بعد أن كان يتولى قهرمة الدار ويشرف على
المطبخ أنه ورد على المعتصم كتاب البريد يخبره أن بلاد الجبل نزل بها مطر عظيم
كثر فيه الكلأ فقال المعتصم لأحمد بن عمار وكان يتقلد العرض عليه ما الكلأ
قال لا أدري فقال المعتصم إنا لله وإنا إليه راجعون أخليفة أمي وكاتب عامي ثم
قال من يقرأ لنا الكتاب فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات فطلبه فلما مثل
بين يديه قال له ما الكلأ قال النبات كله رطبه ويابسه فالرطب خاصة يقال له
العشب واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع في وصف النبات من ابتدائه
إلى انتهائه فهذا هو السبب لما ذكرناه

ومن مدائح أهل هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة

وصف مسلم بن بلال بني العباس وقد سئل عنهم فقال أولئك قوم بنور الخلافة
يشرقون وبلسان النبوة ينطقون (ومدح) خالد بن صفوان رجلاً ببراعة المنطق
فقال كان والله جزل الألفاظ عربي اللسان فصيح ما بين البيان رقيق
حواشي الكلام قليل الريق قليل الحركات ساكن الإشارات (ومدح)
أعرابي رجلاً فقال فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد وساقه أجمل
مساق فاسترجع به القلوب الجامحة واستصرف به الأبصار الطامحة (ووصف)
ابن المقفع بليغاً فقال ما زالت تتابع حكمه تفرق في معاني الآداب حتى
أعشبت بها القلوب عقولاً (وقد) ألم بهذا المعنى المتنبي في قوله

نطق إذا ما القول حط لثامه * أعطى بمنطقه القلوب عقولا

ولأبي إسحق الصابي في الوزير أبي محمد المهلبي رحمه الله تعالى

قل للوزير أبي محمد الذي * قد أعجزت كل الورى أوصافه

أدويه السقام فمرأت بالحدق السلام وحرست الالسن عن الكلام (وقال آخر) خرجت حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها فسارت أصدع الليل حتى انصدع الفجر (وأرسل) اعرابي ولده في حاجة فرجع خائبا فسئل عن سبب خيبته فقال أتيت فوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فهمت الماطلة فرجعت * ووصف أعرابي مصيبة فقال انها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا (وقيل) لبعض الاعراب هل عندكم في البادية طبيب قال كلا ان حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار * وقيل لاعرابي كيف حالك فقال اسرق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار (وقيل) لاعرابي ما اللثغ من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق سمح وسعي نجح ووعد مربح

* ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل المبادي خلال شعرها اخرام سحر بابل *

ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا والكتابة من أدواء الخمول شافيا (قالت) الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان عزه وأطواده بأقلامهم تبسط الارزاق وتقبض الآجال وبأقلامهم تصان المعاقل اذا عجز عن صونها الرجال (وقالوا) الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء (وقالوا) لو أن في في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة (وقالوا) الكتابة قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل * وبالكتاب قامت السياسة والرياسة والهم ألقى تدبير الامة والامارة وعليهم يعتمد في حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال (شاعر)

قوم اذا أخذوا الاقلام عن غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * ما لا ينال بحد المشرفيات

(آخر) قوم اذا خافوا عداوة امرئ * سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتب ببنانه * أمضى وأنفذ من رقيق حسام

(قال) ابن المقفع الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب للملوك (ومن فضل الكتابة) ان صاحب السيف يزاحم صاحب القلم في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه

* فن موجز بلاغتهم ومختصر انشائهم *

ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب أما بعد فكانما في الثقة بك مثلك وكأنك في الرويه علينا لا نأمن رحلتك في أمر الاملاء ولا نستعمل عليه الأمناء (ومن) بليغ مكاتبتهم ما كتب به يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه في بيعته أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت والسلام (ومنها) ما كتب به عبد الحميد لرجل بالوصاية

حتى مهاما اجلولى وعدب ويترك ما الملوح وحدث (وقال الجاحظ) ليس في الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق في الاسماع ولا أقود للطباع ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء (وسئل) بعض العلماء أيما أشرف العرب أو العجم فقال العرب أحلى وأحلم وأعلى وأعلم وأقوى وأقوم وأنكى وأنكر وأذكى وأذكر وأعطى وأعطف وأحصى وأحصف وأبلى وأبلغ وأسمى وأسمع وأشرى للفخار وأشرف وأنفى للعار وآنف (وقال كسرى) الحرث بن كلدة لما وفد عليه ما الذي تحمد من أخلاق العرب وتحفظ من مذاهبهم فقال لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وأنساب صريحة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وأرق من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام

❋من وشائع ألفاظهم البارعة وبدائع معانيهم الرائعة❋

ما يحكى ان اعرابيا قال عند ضجره في طلب الرزق والله لقد تقلبت في الاسباب وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب ورضيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان الا أفعى والنجح الا غائصا ❋ واعترضت اعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك في الحالين وأعظم عليك النعم في الامرين سلبك خليفة الله وأفادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكره ما منحك (ووقف) اعرابي على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الفصاح والصدور الفساح والنفوس السماح والالسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامي فيطردني من مقامي (ووقف) اعرابي بقوم فقال يا قوم أشكو اليكم زمانا كلح لي بوجهه وأناخ علي بكلكله بعد نعمة من المال وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتني حوادثه بنبال مصائبه عن قسي نوائبه فما ترك لي ثاغية أجتدي ضرعها ولا راغية أرتجي نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيئا فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ❋ جودا وليس الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم ❋ ولا أزاح السوء عن عيالكم
❋ فالموت خير من صلاح حالكم ❋

(ومن كلامهم) في الاوصاف وصف اعرابي امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء (ووصف) آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها (وقال آخر) سقمنا الحب ووهم

الله الهاشمي تقلده الا بالحيل يا أبا الفضل وهبك الله وسددك والى كل خير أرشدك
وليهنك دراج صباغ الهواء ومساحة الفضاء وكيل ماء الانهار وعدد ورق الاشجار
وطرار الاوتار وصدقات النوم ونسيم الشؤم من الهند والروم واخرجت لك
من الارزاق ما تقوم بأودك في الآفاق بعض أهل حمص لأهل العراق وأمرتك
أن تحمل عمالك بنسيان واصطبلاتك بهذيان ومطبخك بحران وبيت مالك
بسجستان ودواوينك بغاية وعلفك بقرعاية وخلعت عليك خف حنين
وقميصاً من تبن وسراويل من دبن وعمامة من شقتين وحملتك على حمار
مقطوع اليدين والاذنين مكسور الساقين والرجلين فدر في عملك كل يوم مرتين
واحمد الله على ما أنعم عليك وقابلها بالشكر على ما ولاك

ولنذكر من كلام الخطباء ذوي البراعة واللسن ما كان ذا لفظ بديع
ومعنى حسن بعد أن نورد في شرف الخطابة والخطباء
كلاماً يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصهباء

قال الله تعالى في حق داود عليه السلام منبهاً على شرف ما أنزل له في العطاء
وأطاب وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (ذكر) أن فصل الخطاب هو أما بعد
في الخطبة وأنه أول من قالها وقالت العرب ان أول من قالها قس بن ساعدة
الايادي وأول من خطب لقمان بعد داود عليه السلام وبه يضرب المثل في الحكمة
والموعظة الحسنة (وفي الحديث) ان شعيباً خطيب الانبياء (وفي المثل) أخطب
من قس هو قس بن ساعدة الايادي ولاياد به شرف ليس لأحد من العرب لأن
النبي صلى الله عليه وسلم روى كلام قس وموعظته بعكاظ وهذا اسناد تنقطع
أمامه الرجال وتنقطع دونه الآمال وبذلك كان خطيب العرب قاطبة (ولما قدم)
على النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الاهتم عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر
فأجابه بكلام مدحه فيه فعابه فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ما قال ورأى أنه
غض منه واتهمه فلما قال قال في الحالة الراهنة كلاماً ذمه فيه فعابه فصدق في
الاول ولم يكذب في الثاني فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة فهمه وتحريه
الصدق في مدحه وذمه وقال في وصف كلامه ما هو به أحرى عطفاً على قوله
ان من الشعر لحكماً وان من البيان لسحراً قال قيس بن عاصم يمدح قوماً بالخطابة

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

(وقال آخر يفخر بقومه في المعنى)

واني من قوم كرام أعزة * لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

(وقال) أبو العباس الاعمى واسمه السائب بن فروخ مادحاً لبني أمية بالخطابة

على إنسان حتى يوصل هذا الكتاب إليك بكفه علي إذ رآك موضع الأمل
ورآني أهلاً لحاجته وقد أنجزت حاجته فحقق أمله (ومنها) ما ذكر أن المأمون
قال لعمرو بن مسعدة اكتب إلى عاملنا فلان كتاباً عناية بإنسان في سطر
واحد فكتب هذا كتاب واثق بمن كتب إليه معني بمن كتب له ولن يضيع بين
الثقة والعناية حامله (ومن بدائعها) ما كتبه أبو بكر الخوارزمي جواباً عن
هدية وصلت التحفة ولم يكن لها عيب إلا أن باذلها أسرف في البر وقابلها مقتصد
في الشكر والسرف مذموم إلا في المجد والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد
(وكتب) ابن العميد إلى محمد بن يحيى يستعطفه من رسالته وما أحسبنا اشتركنا
إلا في الاسم فقط وشتان بين محمد ومحمد ولو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت
الأعزل ولو كنا النسرين لكنت الطائر وكنت الواقع ولو كنا السعدين
لكنت السعود وكنت الذابح أخذه من قول الفرزدق

وقد يلتقي الأسماء في الناس والكنى * كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

(وكتب) أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني بديع الزمان يستعطف أيضاً إلى
خدمت مولاي والخدمة رق بغير إشهاد ونصحته والمناصحة للمودة أوثق عماد
ونادمته والمنادمة رضاع ثان وأطعته والطاعة نسب دان وسافرت معه والسفر
والأخوة رضيعا لبان ووقفت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه
والثناء من الله بمكان وأخلصت له والإخلاص مشكور بكل لسان (وكتب) أبو
العيناء إلى أبي الوليد يستجديه فإنا أهل الصبر وصناعتنا الود والشكر فإن
لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها
إذا هم يسخطون * وأبو العيناء كما قال في محمد بن مكرم وقد سئل عنه من زعم أن
عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحس بكرم أو شرع في لؤم فقد ظلم (وبعث)
ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتوعده فيه ويتهدده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه
فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيء فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد
فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار (ومن محاسن لطائفهم) ما حكي أن الرشيد قال ليحيى بن خالد إني
أردت أن أجعل الخاتم الذي في يد الفضل إلى جعفر واحتشمت منه فاكفنيه فكتب
يحيى إلى الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله قدره وأنفذ أمره أن ينقل خاتمه من يمينك
إلى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قال أمير المؤمنين في أخي وما انتقلت عني نعمة
صارت إليه ولا غربت عني رتبة طلعت عليه فانظر إلى هذه المآثر والمكارم التي
هي للعلماء غرر وللشعور تمائم (ومن ملحهم) ما كتبه أبو العبر وهو أحمد بن محمد بن عبد

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (وخطب)
يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ما شاء صنع من شاء أعطى ومن شاء
منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع إن أمير المؤمنين معاوية كان حبلا من
حبال الله تعالى مده ما شاء أن يمده ثم قطعه حين أراد قطعه وكان دون من
قبله وخيرا من بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار إليه فإن يعف عنه فبرحمته
وإن يعاقبه فبذنبه وقد وليت الأمر بعده ولست أعتذر من جهل ولا آسى على
طلب علم وعلى رسلكم إذا كره الله شيئا غيره وإذا أراد أمرا يسره (وخطب) سليمان
ابن عبد الملك فقال ألا إنما الدنيا دار غرور ومنزل باطل تضحك باكيا وتبكي
ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريا وتثري مقترا اعلموا عباد الله أن
هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا
عسعس (وخطب) عمر بن عبد العزيز فقال أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم
علانيتكم وأصلحوا دنياكم تصلح لكم آخرتكم وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب
حي لمعرق في الموت وكان يقول في آخر خطبته اللهم إن ذنوبي عظمت عن أن
تحصى وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني * وخطب في رواح فقال الحمد لله
ذي الكبرياء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء أما بعد فإن الرغبة ملك دعة
الدنيا والرهبة مفاتيح أبواب وقد وقفك على كتاب الله وسنة رسوله إما إمساك
بمعروف أو تسريح بإحسان (وخطب) السفاح لما قتل مروان بن محمد وبويع
فقال ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية ثم قال
نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ما تقول زعماؤكم يقولون ربنا
هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار إذ يقول الله [illegible] قال لكل ضعف
ولكن لا تعلمون أما أنا فقد غفرت لكم الزلة وبسطت لكم الإقالة وعدت بفضلي
على نقصكم وبحلمي على جهلكم فليسكن روعكم وليطمئن بكم داركم وليعظكم
مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا (وخطب) المنصور فقال أحمد
الله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس اتقوا الله فقام إليه رجل فقال أذكرك من
ذكرتنا به وأنت في ذكره يا أمير المؤمنين فقال المنصور مرحبا مرحبا لقد ذكرت
جليلا وخوفت عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة
بالإثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وفي رواية قال سمعا وطاعة لمن
فهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه قد ضللت إذا وما أنا من
المهتدين ثم التفت إلى الرجل فقال وأما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ولكن

في المعنى أيضا:

خطباء على المنابر فرسا ... ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

(والخطابة) جزالة اللفظ وشدة المعارضة (وقال الجاحظ) رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الإعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بالإقلال (وقال) ابن أبي داود تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق نقص والنظر في عيون الناس عي ومس اللحية هلك والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي حكمت فصاحتها بالعي لقس والفهاهة لسحبان ورجعت خاشعة عن مجاراتها في ميدان البلاغة سوابق الأذهان غير أنا نورد منها في هذا المكان فقرة من سهامها الصائب لتصيب الغرض المقصود إصابة الهدف السهم الصائب

(خطب) عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ألا وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار فيا لها كلمات لو صادفت سمعا واعيا وقلبا لجناب الله داعيا

(وخطب) أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم وقد غشي المسلمين بمصيبتهم به ما غشيهم فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت إن الله اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتاب الله وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قال أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت وإنا لله وإنا إليه راجعون ❊ وكان إذا فرغ من خطبته يقول اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك (وكان عمر) يقول آخر خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين (وخطب) علي رضي الله عنه فقال أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وإن المضمار اليوم وغدا السباق فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل (وخطب) معاوية رضي الله عنه في يوم شديد الحر فقال بعد التحميد إن الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم فلم يهملكم فقال

العفاء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة
وأقصروا طول الأمل بقصر الأجل قال الشعبي كلام حكمة خرج عن قلب حرب
(وخطب) سليمان بن علي بالعراق لما قلب الأمويين فقال ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم
عابدين قضاء مبرم وقول فصل وما هو بالهزل الحمد لله الذي صدق عبده وأنجز
وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء إرثا وجعلوا
القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكأين من قرية أهلكناها وهي
ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم
وأن الله ليس بظلام للعبيد أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا
واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس
منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (وخطب) داود بن علي بالمدينة فقال أيها الناس
حتام يهتف بكم صريخكم أما آن لراقدكم أن يهب من نومه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال هيهات منكم وكيف بكم
والسوط والسيف مشهر ثم أنشد

حتى تبيد قبيلة وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الأيتام

(قال) الجاحظ داود بن علي من أفصح خطباء بني هاشم [illegible]
زمان الأول داود أحذق لسانا وأروق بيانا وكان لا يتقدم [illegible] خطبة

وواجب أن يكون في هذا الفصل لاحقا ذم من [illegible]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون قال أبو [illegible]
[illegible] يريد بالثرثارين الذين يتكلمون بالكلام يكثرون فيه ويتجاوزون
الحد من قولهم نهر ثرثار كثير الماء والمتفيهقون نحوه وهو مأخوذ من قولهم فهق
الغدير يفهق إذا امتلأ (وقال) بشر بن المعتمر إياك والتوعر فإنه يسلمك إلى التعقيد
فيستهلك معانيك ويمنعك من إصابة مرامك (وقال) بعض العلماء إياكم
والتعمق في القول والتكلف وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المستخفة المستملحة
فإن المعنى المليح إذا كسي لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان في قلب
السامع أحلى ولصدره أملأ (وقال) بعض الحذاق إياك والغريب من العامة فإنه
كالعي من الخاصة وما أحسن قول أبي عمرو بن العلاء في هذا المعنى

لعمرك ما اللحن من شيمتي * ولا أنا من خطأ اللحن
ولكني قد عرفت الكلام * [illegible]اخاطب كلا بما يحسن

المال قام فلان فقال فوقف فنزر واهون بها من قائل لو كانت وانا اذكركم ايها
الناس احتها وان الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا ثبتت ثم قال رحم الله امرأ نظر
في دنياه لآخرته فمشى القصد وقال الفصل وجانب الهجر ثم أخذ بقائم سيفه وقال
ان لكم داء هذا شفاؤه وأنا زعيم لكم بشفائه وليعمر عبد قبل ان يعمر به فما بعد
الوعيد الا الايقاع وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (وخطب)
المأمون في يوم عيد فقال ايها الناس عظم قدر الدارين وتباين جزاء العاملين
وطالت مدة الفريقين الله الله انه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت
والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب فمن نجا يومئذ
فقد فاز ومن هوى فقد خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار (فلله) هذه الكلمات
ما اجلاها لصدا الذنوب واجلاها وشفاء القلوب ولم تزل خلفاء بني العباس
يخطبون على المنابر في الجمع والاعياد وآخر من فعل ذلك منهم الراضي
(وخطب العمال) قال الشعبي ما سمعت احدا تكلم الا تمنيت أن يسكت مخافة
ان يخطئ الا زيادا فانه كان لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا خطب فقال أيها
الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون ان تنتفعوا باحسن ما تسمعون فان الشاعر يقول

اعمل بقولي ولا تنظر الى عملي * ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

كذا وقعت لي هذه الحكاية ثم وجدت بعد ذلك في بعض التعاليق هذا البيت منسوبا
للخليل بن احمد ويجوز ان يكون الخليل انشده متمثلا به والله أعلم وقال بعد انشاده
البيت اسمعوا قولي هذا وعوه فانما علي ما حملت وعليكم ما حملتم (وخطب)
مصعب بن الزبير لما قدم العراق واليا عليه من قبل اخيه عبد الله فقال (بسم الله
الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون) واشار بيده نحو الشام والحجاز والعراق (ان فرعون علا في
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم
انه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشام يريد عبد الملك بن مروان (ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض)
وأشار نحو الحجاز يريد أخاه عبد الله (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون) واشار نحو العراق يريد اعداء عبد الملك (وكان الحجاج) من الفصحاء
البلغاء قال الشعبي كنت ممن شاهده على المنبر ما رأيت احدا أبين من الحجاج ان
كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم عليه
حتى أقول في نفسي انى لاحسبه صادقا وانى لاظنهم كاذبين (خطب) فقال أما بعد
فان الله كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء ولا بقاء لما كتب عليه

ولا تجد المصنع مركبا (وقالوا) فلان له ألفاظ لا تشوبها كدر العي ولا يطمس رونقها التكلف ولا يخلطها الوشي المعرق أعذب من الماء وأبعد من السماء

(الفصل الثالث من الباب الخامس)

(في أن معرفة حرفة الأدب مانعة من ترقي أعالي الرتب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد الرجل حذقا في صنعة إلا كان ذلك نقصا من رزقه (وقالوا) المتقدم في الحذق متأخر في الرزق (وقالوا) حرفة الأدب أعدى لصاحبها من الجرب (وقالوا) الرزق عند ذوي الأدب أروغ من ثعلب * ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولني خير من علم أعوله (وقال) الخليل بن أحمد إذا كثر الأدب قل خيره وإذا كثر خيره كثر ضيره (وقال) أبو بكر الخوارزمي في هذا المعنى

إن سرك حرمان * به تصبح مفلسا فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذلك نحويا

ويقال حرفة الأدب لا يسلم من حرمانها أديب (وقالوا) الأدب يعقبه تعب وأنشد الخليل بن أحمد

ما ازددت من أدب حرفا أسر به * إلا ازددت حرفا تحته شوم
إن المقدم في حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال ابن الرومي)

أشق جدك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
إن كان مستويا ففعلك أعوج * يوما وإن أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يبين معنى نقشه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(ابن طباطبا)

أليس عجيبا أنني مع تسري * وشعري ما أعطيت جدا ولا جدا
وأني إذا ما زرت قوما مسلما * حجبت وظنوا أنني أبتغي رفدا
وقد طال إفلاسي وأصبحت مثريا * فأصبحت لا أدري إلى أي مجتدى

(آخر) قالوا أديب فأين المال قلت لهم * قوتي بلا ورق شهي بلا ذوق
من لا يكون له جد يساعده * يكون آدابه كالنفخ في البوق

(ولما) خلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله أدركته حرفة الأدب فلم يقم في الخلافة غير يوم ثم اضطرب حبله وبطل عليه طالع الحرمان ووبله فهرب إلى دار ابن الجصاص التاجر فاختفى عنده ثم أخرج منها إلى القضاة والشهود العدول ميتا بعد أيام يسيرة وذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وقال فيه ابن بسام من

(وقالوا) خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا غريبا وحشيا (وقال) ابو الاسود
الدؤلي لولده يا بني اذا كنت في قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه سنك فيستثقلوك
ولا بكلام هو دونك فيزدروك و يحتقروك

ومن نوادر نوادر المتقعرين وشوارد نوادر المتعمقين

ما حكي عن ابي علقمة النحوي انه هاج به دم فأتى بحجام فقال يا هذا اشدد قصب
الملازم وارهف ظبة المشارط واسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا
ومصك نهزا ولا تردن آتيا ولا تكرهن آبيا فقال له الحجام جعلت فداك ان هذه
الصنعة لا احسنها وهذه حرب لا يشب نارها ولا يشق غبارها الا عمرو بن معديكرب
ثم تركه وانصرف ولم يحجمه (ومن) اظرف ما نسب اليه ما حكي عنه انه هاج
به يوما مرار فسقط على وجهه واقبل قوم يعصرون ابهامه وقوم يؤذنون في اذنه ظنا
منهم انه مصروع فلما افاق من غمرات غشيته رآهم محدقين به فقال ما لي اراكم
تتكأكؤن علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال بعضهم لبعض دعوه
فان جنيته تتكلم بالهندية (اشترى) الفضل بن الحباب جارية فوجدها فصيحة
اللسان فقال يا جارية هل من نساق او براق او نصاق لان العرب تبدل السين صادا
وزايا فقالوا صقر وسقر وزقر فقالت الجارية الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت
حري فخار ابن الاعرابي يقرأ علينا اللغة (وافى) رجل بعض الولاة فقال اعز الله
الامير ان لي ابن اخ اشراف طراد فيصوي الى كل سكير وخمير فقد الى غوفه والى
متى يقصده فطن وطفطن حتى فطن به فأحب عقوبته حتى ينتهي عن ذلك
فتقدم الامير باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا ابن اخي الم اطعمك الله الطعام
الم اسقك اطيب الشراب قال بلى يا عم قال ما لك والتعدي اصفعوه وجواعه قفاه
فالتفت اليه الشاب وقال والله يا عم لوقع السياط على بدني احب الي من وقع
كلامك في اذني فضحك منه الامير واطلقه (انشد) الحجاج واعرابي حاضر عند
الوليد بن عبد الملك

اصب الغانيات يرى صدودا * واراني للغانيات مصيدا

فقال الاعرابي للعباس بن الوليد قم عنه لئلا تسقط عليك من فيه كلمة فتشدخك
ومن اجل هذا المبادر استقل المعبر اهل الرشاقة في الالفاظ والحلاوة وقادوا
طباعهم الى اللطافة والطلاوة وقالوا متى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا في جنسه
وكان سليما من التقعير والتعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم
بالعقول وهشت له الاسماع وارتاحت اليه القلوب وخف على السنة الرواة وجال
وشاع في الآفاق ذكره (ونصحوا) التارك للتقعير فقالوا فلان لم يرض بالتكلف

(آخر) قد عملنا والعمل سر وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
إن من كان فاضلا كان مثلي * فاضلا ذا حرفة وسمة الإرزاق

ورد بأن حرفة الأدب آفة أهل الوراقة
وأظلمهم ما أصابت الحرمان والفاقة

(قال) أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي مقاتل سألت وراقا عن حاله فقال عيشي أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أوهى من الزجاج وحظي أشد سوادا من العفص إذا خلط بالزاج وسوء حالي ألزم لي من الصمغ وطعامي أمر من الصبر وشرابي أكدر من الحبر والهم والإلمام بي في غاية فالي مجرى المداد في شق القلم فقلت يا أخي لقد عبرت بلاغة عن بلاء فأنشد

المال يستر كل عيب في الفتى * والمال يرفع كل وغد ساقط
فعليك بالأموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم وجه الحائط

(آخر) إن الوراقة والفقه والشاغل بالعلوم
أصل المذلة والإضاقة * فالمهانة والهموم

(وأنشد لأبي المصري أبي الفتح كشاجم)

غبط الناس بالكتابة قوما * حرموا حظهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة خط * سقطت باؤه فصارت كآبة

(وقال إسحق بن إبراهيم بن حمدون المعروف بالحمدوني)

ثنتان من أدوات العلم قد نشأ * فمال حظي عما رمت من نعم
وصيرتني صحاف الحبر * تدعى سوام المال والنعم
والعلم يعلم أني مذ أخذت به * لقيت ما ارتجوه من العدم

(سمع) بعض كتاب الأدباء رجلا يقول لآخر في علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فقال نعم إلا أنه متى لم يكن معه يا أخي ربح به في رهانا (ابن عبادة الأندلسي)

أما الوراقة فهي أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب إبرة * تكسو العراة وجسمها عريان

(وأنشد) أبو منصور عبد الملك بن إسمعيل الثعالبي في اليتيمة لأبي حاتم الوراق

إن الوراقة حرفة مذمومة * محرومة عيشي بها زمن
إن عشت عشت وليس لي أكل * أو مت مت وليس لي كفن

(وقال الشريف) أبو الحسن الهادي في قصيدته الموسومة التي أولها

حي على خير العمل * يا أم الوارقة بالوله ما أدره
وعيشه ما أكدره * ورزقه ما أقتره

أبيات رثيته بها

لله درك من ميت فجعت به ✻ يا مهلك في العلم والآداب والحسب

ما فيه لولا ولا ليت فتنقصه ✻ وإنما أدركته حرفة الأدب

(وقال) أبو عبيدة معمر بن المثنى قال لي أبي إذا كنت كاتبا فاحذر فيه فإن الصواب حرفة والخطأ فضيحة أخذه بعض الشعراء فنظمه في قوله

إن كنت يوما كاتبا رقعة ✻ تبغي بها نجح وصول الطلب

إياك أن تعرب ألفاظها ✻ فتكتسي حرفة أهل الأدب

(وقال) أبو عبيدة من أراد أن يأكل الخبز بأدبه فلتبك عليه البواكي (ولقد) أجاد أبو إسحاق الصابي في قوله

قد كنت أعجب من مالي وكثرته ✻ وكيف تغفل عني حرفة الأدب

حتى انثنت وهي كالغضبى تلاحظني ✻ شزرا فلم تبق لي شيئا من النشب

واستيقنت أنها كانت على غلط ✻ فاستدركته وأفضت بي إلى الحرب

الفضل والقوت قد يرجى اجتماعهما ✻ وليس يرجى اجتماع الفضل والذهب

✻والسبب في حرمان الأدباء موهبة الحظ وخمول البغضاء✻

(وإذ) ذكره بعض المصنفين منهم في قوله إن ذا الأدب لا يزال متسخطا على دنياه دائما عاتبا لما يرى من ميل الزمان للئامه وجهاله فهؤلاء يحبهم لطباقهم وهم عن ذلك مقطوعة ولا يأتيان إلا فضل مجدوحة وإلا من إفراط محله المانع عن لومه

(وقيل) للحسن البصري لم صارت الحرفة مقرونة بأهل العلم والأدب شعارا والثروة بكساة الجهل والحمق دثارا فقال ليس القول كما قلتم ولا الأمر كما زعمتم لكنكم طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل عند أهل العلم الأدب وهم قليل ولو نظرتم إلى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر عددا والمال عندهم أشد نفارا (وقال) أبو الحسن علي المعروف بابن الفضل مفتخرا بالخمول

الدهر يقصد ذوي الفضائل كلهم ✻ حتى كأن عدوه من بينهم

لو كنت أجهل ما علمت لسرني ✻ جهلي كما قد ساءني ما أعلم

كالصعو يرتع في الرياض وإنما ✻ حبس الهزار لأنه يترنم

(آخر) يظهر لأهل الفضل دون الورى ✻ مصائب الدنيا وآفاتها

كالطير لا يحبس من بينها ✻ إلا التي تطرب أصواتها

(لجامعه) قل عني عاقلي ودني ✻ وذهولي في العلم من كل باب

أدركتني وذاك أعظم دائي ✻ حسنات من حرفة الآداب

فيها الى من (ومثل ذلك) ما قاله أبو العيناء في ذراعين عمياء

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الانام حر * تأسى على فقده العيون

(وسأل) رجل من رجل حمارا عاريه فأخرج له اكافا وقال له اجعله على من شئت
(ومر) رجل بصديق له فرآه واقفا على الطريق فقال له ما وقوفك ههنا
فقال

(وقيل لابي العيناء) هل بقي من يلقى قال نعم في البئر (ومر) بعض السكك
فسمع انسان يريد العشية فقال له أبو العيناء من أنت قال ابن آدم فأقبل يسلم
عليه سلام مشتوق وقال مرحبا والله ما ظننت الا ان هذا النسل قد انقطع
يشير الى ضياعه من أهل زمانه (وقال الشاعر)

المبتدون اليوم أهل زماننا * أولى من الماضين بالحرمان
ذهب الذين يهزهم مستاحهم * هز الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم * فالاريحية منهم بمكان

(وقال) بشار بن برد لقد عشت في زمان وأدركت أقواما لوا حلقت الدنيا ما تحملت
الامهم وأنا الآن في زمان ما أرى فيه عاقلا بصيرا ولا فاتكا طريفا ولا
ناسكا عفيفا ولا جوادا شريفا ولا جادا لطيفا ولا جليسا خفيفا ولا من
يساوي على الخبرة رغيفا وأنشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعرف

(ابن الرومي) أيست من دهري ومن أهله * فليس فيهم أحد يرتجى
ان رمت مدحا لم أجد أهله * أو رمت هجوا لم أجد عرضا

(وله) قيل لي لم دعت كل البرايا * وهجوت الانام هجوا قبيحا
قلت هب أني كذبت عليهم * فأروني من يستحق المديحا

(بعض العرب)

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا * هشوا الي ورحبوا بالمقبل
وبقيت في خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت في المنزل

(ابن منير الطرابلسي)

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
فسد الزمان فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

(ابن المعتز)

حسنت به السلوى ودع غصنا لها * ما في البرية كلها انسان

ان لم يصدقني فسل

(آخر) أدمى البكا عيني والمآقي * وطلب داهم وذا احتراق
مالي أرى في الارض والآفاق * أدري ولا أشقى من الوراق
اذا بدا في القمص الاخلاق * يمسح بالحبر وبالاوراق
كمرسخة الجندي بالارزاق

(آخر) هربت من الورافة ملء شوطي * فصرت في الزمان الى الوراقه
وبرك المرء حرفته فرارا * لامر ليس يدريه حماقه

﴿والسبب في حرمان ذوي النباهة فقدان أهل الفضل والوجاهة﴾

(روي) ان عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذكرت يوما قول لبيد
ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
فقالت رحم الله أبي ما كان أشعره لقد صدق قالوا كيف يا أم المؤمنين قالت كان أحدهم
اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم
اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم أحدهم من
صاحبه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله اعطاه ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم احدهم
من اخيه خلة احب ان يسأله فاذا سأله منعه ثم بعد ذلك يفضحه فيقول جاء فلان
سألني فلم أعطه (ولله در القائل)

لا يغرنك اللباس * ليس في الاثواب ناس
هم وان نالوا الثريا * جهلاء وخساس
كل من يدعى رئيسا * هو في الخسة راس
ليس يصلح للقطع فتعدى وتماس

(آخر) علام تحركي والحظ ساكن * وما قصرت في طلبي ولكن
أرى بلادا تقدمه المساوي * على من يؤخره المحاسن

(حطة) لي حاجة لو أنها قضيت * لعشت في خير وظل ظليل
حياة من مات وموت الذي * ليس الى احيائه من سبيل

(دخل) بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وهو في السحر يريد زيارته فقال له
ما تشتهي فقال أن أرى انسانا فأخذ الرجل المرآة فأراه وجهه فيها فشكر له
ذلك ثم أنشده

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * الله يعلم أني لم أقل فندا
اني لافتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لم أرى أحدا

(وقيل) لسعيد بن المسيب وكان في عينيه ماء ألا تقدح عينيك فقال حتى أنظر

منه وكشف ظلامته (وقيل) لبزرجمهر أي شيء أستر للعي قال عقل قالوا فإن لم يكن له عقل قال فمال قالوا فإن لم يكن له مال قال فإخوان يعبرون عنه قالوا فإن لم يكن له إخوان قال تكون شيأ صامتاً كالحجر ولا يلحقه ضرر (وقال الشاعر)

وما حسن الرجال لهم بزين ※ إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه ※ له وجه وليس له لسان

(آخر) والصمت أزين للفتى ※ ما لم يكن عي يشينه
والقول ذو خطل إذا ※ ما لم يكن لب يعينه

(وقال الجاحظ) لا يعاب الأخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العي (ووصف) أعرابي قوماً بالعي فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلج كلامه لا يستأذن فيحملها عناء ثقيلاً إلى الأذهان قال شاعر ينزه لسانه عن العي

وما بي من عي ولا أنطق الخنا ※ إذا جمع الأقوام في الخطب محفل

(آخر) وقلما يلاقي وبه انطاقة ※ إذا المار يوم الحرب طال اسعالها

※ومن علامات العي الواضحة وسمات اللكن الفاضحة※

(الاستعانة) وهو أن ترى المخاطب إذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه لمخاطبه اسمع إلي واسمع مني واستمع لي وافهم عني ※ ومنهم من يقول في خلال كلامه أما ترى أو يقول كذا فاحذر به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعيد كلامه يصفه حتى يكون غير مراده الأول فما به إنما أقصر عن إيضاح إشكاله وإن أتى أنواع الكلام وأشكاله (وذم) بعض البلغاء عيياً فقال فلم تثبت العقدة بلسانه بادي اللكنة ولفظه ظاهر العجمة شديد التفاوت من الهفوات عصيه ولا عقله المساجلة والمساورة تناوب للعطاس ويتأول للعطاس ويشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وفرك اليد وفتل الأصابع فعجزه ظاهر وعيه حاضر

(شاعر في ذلك)

ملي بهر والتفات وسعلة ※ ومسحة عثنون وفتل الأصابع

(ومن علامته) التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والإكباب في الأرض من غير علة (وقال ابن المعتز)

ومن الكبائر مقول متتعتع ※ جم التنحنح متعب مبهور

※ومن عيوب اللسان المزيلة للإحسان المزرية بقدر الإنسان※

التمتمة والفأفأة والعقلة والحبسة واللفف والرتة والغمغمة والطمطمة واللكنة واللثغة والغنة (قال الأصمعي) التمتمة إذا تعتع في التاء فهو تمتام (وإذا) تردد في الفاء

وإذا الصادق في الأسواق تعرفت * فالرأي أن يتصدق الفرزان

﴿الباب السادس في العي وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول من هذا الباب﴾

﴿فيما ورد عن ذوي الفاهة في ذم العي والفهاهة﴾

(قال) الله تعالى أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (وقال) الله تعالى حكاية عن فرعون عابه على موسى بالعي في قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ذكر أهل التفسير أن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول من فرعون قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال قد أوتيت سؤلك يا موسى وحل الله تلك العقدة وأطلق تلك الحبسة (وحد العي) قالوا هو معنى قصر عن تأديته لفظ طويل (وقال) أكثم ابن صيفي عي أن تتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك (وقالوا) العي الناطق أعيى من العي الساكت لأن المفحم يأتي بما لا يرضاه ويطلب فوق ما في قواه (وقالوا) التي بلاغة عي كما ذكر أن رجلا خطب فأطال وأعجبته نفسه وإلى جانبه أعرابي فالتفت إليه وقال يا أعرابي ما تعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الإصابة قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم قال الشاعر

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن * هذر الكلام تطوله إطالا
واعلم بأن من السكوت سلامة * ومن التكلم ما يكون خبالا

(وقال كسرى) عي الصمت خير من عي الكلام (وقال الجاحظ) نعم رجلا بالعي والحصر لم أر جملا أحرى منه ولا حرسا أحسن منه نظم بعض الشعراء معناه فقال

حصر فسيح جرى ببيان * خير من الرجال عي السكوت

﴿ومما يشين حسان الصور العي في البيان والحصر﴾

(قالوا) فضل الإنسان على الحيوان بالبيان فإذا نطق ولم يفصح عاد بهيما (ويقال) ما للعي مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو بلغ يافوخه عنان السماء (وقالوا) العي داء دواؤه الخرس (وتكلم) رجل عند معاوية وكان ذا عي فقال عمرو بن العاص سكوت الأبكم نعمة وقال معاوية وكلام الأحمق نقمة (وقالوا) البيان بصر والعي عمى والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل (يحكى) أن رجلا قام إلى محمد ابن عبد الملك الزيات فقال له إني مظلوم فقال هذا كلام يحتاج إلى شهود وبينة وأشياء غير ذلك فقال الرجل أصلحك الله الشهود هم البينة والبينة هم الشهود وأشياء غير ذلك حصر وعي وزيادة في نقص في القيام بحقك فضحك

بوفأفاء قال الراجز

ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر في الكلام

والعقلة) التواء اللسان عند الكلام (والحبسة) تعذر النطق ولم يبلغ حد الفأفاء
لا التمتام * ويقال انها تعرض اول الكلام فاذا مر فيه انقطعت (واللفف)
ادخال بعض الكلام في بعض قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

والرتة) اتصال بعض الكلام ببعض دون افادة (والغمغمة) ان يسمع الصوت
لا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه (والطمطمة) ان يكون الكلام
مشبها لكلام العجم وهي حميرية * وقالوا هي ابدال الطاء بالتاء لا يكاد من يخرج
احد فيقولون السلطان والشيطان وكانت في لسان زياد بن سلمى الاعجم وكان
خطيبا شاعرا كاتبا (واللكنة) هي ادخال بعض حروف العرب في بعض حروف
العجم وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية وهي ابدال الهاء من الحاء وابدال
العين همزة وكانت في لسان عبيد الله بن زياد وصهيب الرومي رضي الله عنه
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) أن مولى لزياد قال ايها الامير اهدوا
لنا همار وهش يريد اهدوا لنا حمار وحش فلم يفهم زياد قوله فقال ما تقول ويلك
فقال اهدوا لنا ايرا فقال زياد رجعنا الى الاول فهو خير (وحكى الجاحظ) ان
ابرداذقار الفارسي كان له كاتب حاذق في لسانه لكنة فاملى عليه يوما في كتاب
بالعنبر الحاصل بالهاء فوجده ألف كر فكتبها الكاتب كما لفظ بها فلما أعاد
عليه ما أملاه فطن لاخطائها على الجهل فقال أنت لا تحسن أن تكتب وأنا
لا أحسن أن أملي فاكتب الحاصل ولا تكتب الحم (والغنة) أن يشرب الصوت
الخيشوم (والخنة) ضرب منها (والترخيم) حذف بعض الكلمة لتعذر النطق
(واللثغة) قال الجاحظ في كتابه البيان الحروف التي تدخلها اللثغة أربعة وهي
القاف والسين والراء واللام (فالتي) تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف
طاء فاذا أراد أن يقول قلت وقال قال طلت وطال عمي قلت وقال ومنهم من يجعلها
كافا فيقول كلت وكال عمي قلت وقال وكانت في لسان أبي مسلم وعبد الله بن
زياد * وقال بعض الشعراء في أم ولد له يعيبها بذلك

أكثر ما أسمع منها في السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر

والسوءة السوءاء في ذكر القمر

فانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر والكمر جمع كمرة وهي
حشفة الذكر (واما) التي تعرض للسين فانهم يبدلونها ثاء فيقولون بثم الله اذا أرادوا

(ابراهيم بن المهدي)

اذا كنت بين الحلم والجهل نازلا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
اذا جاءني من يطلب الجهل عامدا * فاني سأعطيه الذي جاء يسأل
ولم أعطه اياه الا لانه * وان كان مكروها من الفعل أجمل
وفي الحلم اذلال فان جاء جاهلا * [illegible] والعفو أجمل

(وانشد [illegible] الله [illegible])

لئن [illegible] الحلم [illegible] الاحمق [illegible]
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم * ومن شاء تعويجي فاني معوج
وما كنت أرضى الجهل [illegible] ولا أنا * ولكنني أرضى به حين أحرج
فان قال بعض الناس [illegible] * [illegible] والحق أبلج

(أبو نواس) في [illegible] لا [illegible] أو [illegible]
[illegible]

﴿الباب الرابع في [illegible]﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

﴿في [illegible] والاسلام من [illegible] الامام﴾

(قال) [illegible] على ان الاسلام [illegible] الكرام [illegible] اذا [illegible] والا [illegible] واذا [illegible]

﴿[illegible]﴾

[illegible] الطائف [illegible] (قال) [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] (وقال) [illegible] بالعدل [illegible] عليها السلام [illegible] (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] الرجال [illegible] (وذكر) أن [illegible] الصادق [illegible] على المهدي [illegible] على [illegible] فقال

(آخر) يعيش الفتى بالشر حتى اذا أبى * لمن لا يرى فيه المسالمة منهجا
وأركب ظهر الشر حتى أذله * اذا لم اجد الا على الشر مركبا
وأكوي بلا نار أناسا بطبعهم * وأصبح احيانا وان كنت معصما

(وله درمن قال)

اذا أمن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غنم من الغنم
وان أنت جازيت السفيه اذا اعتدى * فانت سفيه مثله غير ذي حلم
فلا تعترض عرض السفيه وداره * بحلم فان أعيا عليك فبالصرم
وعم عليه الجهل والحلم والنهى * عليه بين العداوة والحلم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة * ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن * عليه بجهال فذلك من العزم
ودع عنك في كل الامور رعاية * فانك ان عاتبته كان كالخصم
ومن عاتب الجهال لم يشف نفسه * ولكنه يزداد سقما على سقم

(آخر) حبست لكم نفسي على الحلم والرضا * فيأمن ذو خوف ويدرك طالب
اذا أنت لم ينفع لنفسك ما حوى * سهمك صائب في الصدور وصائب

(المتنبي) لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

* من أدب المعدن والاكرام في ذم مكافأة اللئيم بالاكرام *

قالوا) العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم (وقال) معاوية بن يزيد معاوية لا يجهل بحب عافية حلمه فقال ما حلمت عن ائم وان كان وليا الا اعقبني ندما على ما فعلت وقال الشاعر

متى يضع الكرامة في لئيم * فانك قد أسأت الى الكرامه
وقد ذهبت صنائعه ضياعا * وكان جزاءها عليها الندامه

وقالوا) تجنب كرامة اللئام فانك ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان أساؤا لم يعتذروا (شاعر) ان اللئيم اذا أكرمته * حسب الاكرام حقا لزمك
فاهنه انه من لؤمه * ان تهنه هوان يكرمك

ولآخر) ان اللئيم اذا رأى * انما يراد في حرابه
لا يعدل عن صلاح من * جهل الكرامة في هوانه

وقال) اللئام الى رهوت أحوج منهم الى رغوب (المتنبي)
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقالوا) الكريم يصلح بالاحسان والكرامة واللئيم بالهوان والملامة (المتنبي)
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

اداهم

ذوي المسكن والاقتدار عقوبتهم الى الاعتذار [illegible] شاعر

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

(وقال) المنصور في كلام لولده المهدي لذة العفو أطيب من لذة التشفي وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم (ويحكى) عن عثمان بن [illegible] أنه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال [illegible] يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه ومن شفى غيظه وأخذ حقه [illegible] شكره ولم يحسن في العالمين ذكره وانك ان انتقمت [illegible] [illegible] [illegible] الى ان الملك [illegible] [illegible] الا [illegible] وعفوت عنهم [illegible] فقبل قوله وعفا عنهم * وقال الشاعر

[illegible] العفو [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الاقدام

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الا [illegible]

[illegible] [illegible] الا [illegible] * [illegible] العفو [illegible] الظفر (وقال)
ليس من الكرم عقوبة من لا [illegible] [illegible] [illegible] وأن [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاسلام
الا [illegible] وقال [illegible] [illegible] بأمير المؤمنين فقال الرجل يا أمير [illegible] من [illegible]
الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فقال [illegible] [illegible] [illegible] للأمور

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على العدو [illegible]

(وقال) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] (وقال) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] أن [illegible] (و [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] [illegible] [illegible] الكريم [illegible] (وقال) [illegible] [illegible] [illegible]
الى القادر (وقال بعض الحكماء) لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] (وقال) لا [illegible] [illegible] (وقال) [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(آخر) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(وقال) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يا أمير المؤمنين انك لا تغضب الا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه له
بعض الحكماء اياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضبان غ
عليه (وقال) ان في التوراة يا ابن آدم لا تغضب فاغضب عليك
حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق (و
الغضب فاتح ابواب الندم يلك الى ذلة الاعتذار (وقالوا) الغضب على م
ن علامات الشؤم (وقال) بعض الاعراب الغضب عدو العقل وانه قد يحول
وبين العقل والفهم فيستولي عليه سلطان الهوى فيصرفه ع
الاحتمال الى الجور وهو الغضب ومن غشي الحق غمره الباطل (و
الغضب يصدي القلب حتى لا يرى صاحبه حسنا فيفعله
(وقال) ما رأيت مثل الا وال الذمة ولا أحرى بسعيه من ا
أبعد غضبه وأسافل الانام أدنى وا ستقالته واستقالته
عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام (وقالوا) ثلاثة يعذرون في
ثلاثة الغضبان والسكران والحيران (وقال) عمر بن عبد العزيز
وعلامة تكمل الايمان من اذا غضب لم يخرجه غضبه الى الباطل و
رضاه عن الحق واذا قام لم يتناول الا يأخذ ما ليس له واذا تمكن منه
حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فان وجد
والاطالة

﴿ما استحسن من كلام الحكماء وأقوال الكرام الاماجد
في ذم الشر من الحقد والحسد﴾

قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
بمؤمن من شرقه من شرقات الله تعالى صدقتها (وقالوا) أحق الناس
بالاساءة (وقال) معاوية رضي الله عنه ان أولى الناس بالعفو أقدرهم
(وقالوا) الانتصار من الكرم الاحسان (وقال) علي رضي الله
والرحمة أقرب من الى العقوبة (وقال) جعفر الصادق لأن
عشرين مرة أحب الي من ان اندم على العقوبة مرة واحدة ﴿ وحكي
قرشي كان يطالب رجلا بدخل في الجاهلية فلما ظفر به قال لولا ان
الحفيظة لا تمحي لقتلتك وتركه ﴿ وهذا قال كل من يرد
بالمفضل عنده فهو دليل على من قدره بالقدرة عليه
بالاحسان اليه وترك اساءته والامتنان عليه وبذله من اكرامه
... ونعمه من عنده ... من سخطه وانتقامه (و

ادع للناس من المشركين لعلك
وارحم الناس جميعا * إنهم أهل لذلك

(الفصل الثاني من الباب الرابع عشر)

(في ذكر من أمر بقتله ثم عفي عنه ومن راقبه)

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي معيط أمر بصلبه إلى شجرة فقال يا رسول الله أأصلب من بين قريش قال نعم قال فمن للصبية قال النار رواه أبو داود في مراسيله وغيره وقيل إنه أول من صلب في الإسلام (وكان) النضر بن الحرث ابن كلدة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم بدر أخذ أسيرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله علي رضي الله عنه صبرا وذكر أن أخته قتيلة بنت الحرث تعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته وجذبت رداءه وأنشدته

يا راكبا إن الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته * إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولأنت نجل كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته * بأعز ما يغلو به من ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم إن كان عتق يعتق

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك رق لها وقال لو كنت سمعت شعرها قبل قتله ما قتلته (وأما) [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم لم [illegible]
[illegible] وأما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وأما هلال بن [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

(قلت) ادم منسوب الى الانعام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه عن
المعروف بيده يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما ان ضحكت في وجهه عبس وان
تعامست له شمس لا يرضى في المنى الا ولاية ولو شفع فيه سواد الامة * ومن رسالة
للبديع الهمذاني يصف ملكا عظيم الشان يحسبه الجاهل انسانا وهو شيطان
وفلان سمناه اذا نعم لم يرج نفعه واذا نقم لم يشرب صفوه واذا سخط لم يبق طريقه
الناس بين رضاه واذا خطوة عوقبه كالتيس بين عصبه والسبع فريسة وليس من
سخطه مجاز كالتيس من الموت والجبابرة تفار بغضبه الجرم الخفي ولا يرضيه العذر
الجلي وتكفيه الجناية وهي ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة وهي اجحاف حتى انه
يرى الذنب وهو اضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو ابين من عمود الصبح وهو
ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين
يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين
يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فرحمه بين القلب والقطع وسخطه
بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وامره بين الكاف والنون ثم
لا يعرف من العقاب الا ضرب الرقاب ولا من التاديب غير اراقة الدماء ولا يهتدي
الا الى ازالة النعماء ولا يعلم ان العفو يكون اله وه ولا ينهى عن السخطة بجرم
الساقطة ثم ان المقيم بين ابطه وفكيه والارض تحت يده وقدمه فلا يطلع الولي الا بديه
ولا العدو الا بذمه فالارواح بين سيفه وبطانته كأن الاسلام بين فعله ووثاقه

* ومما يتعلق بهذا الفصل ما جاء في التراحم الراجي به ارباب العقول *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في
الارض يرحمكم من في السماء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا ينزع الله الرحمة الا من
قلب شقي * وقالوا من كرم اصله لان قلبه * قيل من امارات الكرم الرحمة ومن
امارات اللؤم القسوة (وقالوا) من شكر الظفر الصفح عن الذنوب والمنزلة ويها
(وفي الحديث) ان الله رحيم يحب من عباده الرحماء * وقال الاقرع بن حابس لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقبل الحسن ان لي عشرة اولاد ما قبلت احدا منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (وقال) مالك بن دينار
ما ضرب الله عبدا بعقوبة اعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم الا نزع منهم
الرحمة * وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اسمح الناس اذا لقي الناس وارحم
الناس اذا احتكم الناس ويقال ارق الناس قلوبا اقلهم ذنوبا (وقال) عمر بن عبد
العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم * وفي بعض الكتب
المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي الشاعر

ادخلني عليه بسماعه ولا حجة وكان أرباب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه
والقيح ينبح من ظهره على الارض والحائط فلم يبق أحد من ذوي الحقوق أمر أن
يرسل عليه القملان فكانت تدب عليه فيعض ... وهو يقول لا يستطيع حركة
حتى مات وقد قيل المتوكل به على عبد الله وقد بعث إليه يريد أن يخرجه وهو يبكي
قال له أمات قال نعم قال أبعده ثم [illegible] أول الحسن فشرب ماءه وقال لا تغسلوه ولا تكفنوه
وادفنوه في مقابر المشركين فدفن بها (وكان الحجاج) شديد الوطأة على الجهاد ذكر أهل
التاريخ أنه لما مات أحصي من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه وسراياه فوجدوا
مائة ألف وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة
منهن ست آلاف عذراء وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن
للحبس سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس يضربونهم إذا استظلوا من وهج الشمس
ويرمونهم بالبرد ولما أخرجوا بعضهم كان فيهم أعرابي فقيل له كم كان لك في السجن
قال أربعة عشر سنة فقيل له [illegible] فقال [illegible] في رخص واسط ولما أطلق جعل يعدو
وهو يقول   إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لا نخاف عقابا
وذكر أهل التاريخ أنه لما حضرته الوفاة [illegible] جمع [illegible] فسأل
ما يقول الناس قالوا أهل السجن يشكون ما هم فيه فقال [illegible] قال اخسؤوا فيها ولا
تكلمون فقال إنه مات في تلك الحبسة [illegible] ثلاثة وخمسين وعمره أربع
وخمسين سنة * وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لي فإن عبادك يظنون أن لا تفعل
* وكانت مدة إمرته على الناس عشرين سنة وفي الشهر الذي مات فيه ولد أبو جعفر
المنصور وولي الخلافة في ذي الحجة أيضا سنة ست وثلاثين ومائة ومات في الشهر
المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام
(ولما) التقى مصعب بن الزبير بالمختار بن أبي عبيد الثقفي وأسر من عسكره
ستة آلاف وسبعمائة رجل فقتلهم صبرا بين يديه في يوم واحد وهو يومئذ [illegible] وكانوا
العرب ثمانمائة من أشراف العرب وخمسة آلاف من الموالي (وكان) أبو مسلم
الخراساني يجتهد في القتل جدا والقتل بالعدل أحق من قتل وكان سيافه
ألف نفس وقد ذكر بالحكمة فيما [illegible] من البكاء [illegible] وقد قال أبو جعفر حين قتل
وقد وضع رأسه بين يديه

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
واشرب بكأس كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

ولما أشرف على الهلاك [illegible] على المنبر [illegible] ما عسى أن يفعل
[illegible] (وبالجملة) قتل في حروبه التي كان شاهدها

فأرادوا قتل ابنا علي رضي الله عنه وأما قصة هلال فقتلت أحد ابنيها وأرادت قتل الآخر (وفيهم) أناس من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلموا وكانوا في البادية فاجتووا المدينة فسقمت أجسادهم فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتشربون من ألبانها وأبوالها فخرجوا فشربوا من الألبان والأبوال فصحوا فلما صحوا قتلوا الراعي وارتدوا عن الإسلام واستاقوا الإبل فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في آثارهم فما ترحل النهار حتى أتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا (وكان) عمرو بن هند من أشد ملوك العرب بأسا وأسطوة وقهرا وأعظمهم جراءة ويذكر أنه لما بلغه ذلك وعلم أنها سعدا أغضبه وآلى على نفسه أنه يأتي طيئا فقتل رجالهم وسبى حريمهم فلما ظفر بهم أحمى لهم الصفا ومشى عليه من رجاله من بلغ أجله فأتي بشاب ليمشي عليه كما فعل بأصحابه وأقبلت أمه فلما رأت ابنها قد أشرف على الهلاك ولهت فاحتضنته ورمت بها على الصفا وقالت يا ابني قد بدني فقالت يا أيها الملك ثم أنشأت

أمي لو يقبل الفداء لجدت بالشكد إلى أصبحت عليك بمطمع

يا ليت حر النار باشر مهجتي * أو ليت يدي وقد حدك بالدمع

ورق لها عمرو وأمر بإطلاقه وإطلاق من بقي من قومها (وروي) أن الملك عن ابنه قال أول من جر بن الحرم بعد ان اباد وبطش واستبروا في أرض بعد فقتل منهم الملك ... ابن عمر فأتي بهم وأسروا ... فلما قدم على الملك عرض الأسرى على السيف فقرب شاب من أبناء قبل فأقبلت أمه وهي تقول

يا أيها الملك المنيع القاهر * الحلم الموصوف بعفو القادر

هب لي ابني فلم أر مثله * بادي الشجاعة أو بغي عاثر

إن تعط بهما تكن أو تعفون * والعفو يغفره الملك القادر

لا تحرمني من عطايك بعدما * جربت لهما منظومة وبساحر

فاصرف إلى الأبناء بملكهم * طولا وعفو لهم غير ناصر

فرق لها الملك وقال لها بالله لا أبه حيارك مرسم وأطلب لها جارها أشعار وبطل له عن حتى تم ظفروا فأبى رحل أوا كثروا وسمحت الملك وأمر بإطلاقه في السابق ﴿ومن الحمد الله تشفع والسبق المسند ﴾ ما ذكره ابن حمدون في تذكرة بن عبد الله بن الزبير حين ظفر بأسد بن عمرو وكان بادم في أمسه وهم دوروم بالمدينة في هواهم فلما ولي أخوه عبد الله الخلافة أخذه وأقاد للناس ليقتصوا منه في كل من حقه عليه في الأقصاص وكان عبد الله لا يسأل أحدا

وهما حمزة بن عبد المطلب وابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف
بالامام فامر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا
بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت أكلة قط هي
أهنأ ولا أمرأ ولا أطيب في نفسي من هذه ثم أخرج عبد الصمد بن علي في طلب بني
أمية في أقطار الارض ان وجد منهم احدا وان وجد فقتلوا بين يديه وأحرق من قبورهم حتى
أتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها يوم جمعة في شهر رمضان خمسين ألفا من بني أمية
ومواليهم كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاما من
قبره فضربه مائة سوط وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبي ستين سوطا
ظلما * وذكر الاوحى في كتابه تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء سبب ذلك ان هشاما
اتهمه بقتل ... لما ... نسب الى أبيه عبد الله فقتل به لذلك (وقد) رأينا أن
نذكر مقتل زيد المشار اليه في الابيات المتقدم ذكرها فالشيء بالشيء يذكر وان كان
غير داخل فيما نحن بصدده في هذا الفصل وكان ظهوره في سنة اثنين وعشرين ومائة
بالكوفة وأرسل هشام الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت الحرب بينهم على
ساقها انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتل أشد قتال وهو يقول

وذل الحياة وذل الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم في جبهته فمات فحمله ولده وأصحابه ثم دل يوسف
على قبره فاخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلب جثته عاريا فتدلت
سرته حتى سترت سوأته وذلك في السنة التي ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن
يزيد بن عبد الملك فامر بها فأحرقت * وفيه يقول حكيم بن عياش الكلبي مخاطبا
آل أبي طالب من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علي وأطيب

ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاول وله من العمر بضع وخمسون
سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وأشهرا وأياما * وأول ملقب بأسد الله ورسوله
هو حمزة بن عبد المطلب واعادته ولهما أمية لان أبا سفيان قاداهم يوم أحد
لقتال المسلمين والفرسان بأحد قال المبرد وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم
عواس في يوم أحد استقاه على رضي الله عنه في درقة ماء فغسل به الدم عن
وجهه (ولما) زالت دولة بني أمية كان آخرهم مروان بن الحكم المكنى بالحمار
وهرب فتبعه صالح بن علي الى بلاد مصر فقتله بقرية من قراها تسمى بوصير (وحكي)

وبين الأمويين مائتي ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألفا وكان ظهوره سنة إحدى ومائتين في خلافة المأمون واستمرت فتنته إلى أيام المعتصم فأرسل إليه العساكر فكانت الحرب بينه وبينهم دولا إلى أن كانت الدائرة عليه فهزم عسكره وأسر وفتحت مدينته التي بناها ودخلها المسلمون واستباحوها في أيام المعتصم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وفيها فتحت عمورية وأحضر بين يدي المعتصم فأمر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت لطخ بدمه وجهه حتى لا يرى في وجهه أثر الجزع ثم أمر به فضربت رقبته وصلب وفي قتله يقول أبو عبادة البحتري من أبيات

لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا ❊ للطير في أجسادها ولا الأعداء
أخليت منه البذ وهي قراره ❊ ونصبته علما بسامراء
فتراه مطردا على أعواده ❊ مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها ❊ في أخريات الجذع كالحرباء

(وكان) بشر بن مروان شديدا على العصاة وكان إذا ظفر بعاص أقامه على كرسي وسمر كفيه في الحائط ونزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يضطرب حتى يموت (وقال الشعبي) ما رأيت في العمال مثل عبد الله التميمي كان لا يعاقب إلا في دين الله وكان إذا أتي برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا وإذا أتي برجل نقب في قوم جعل منقبته في صدره حتى يخرج من ظهره وإذا أتي برجل شهر سلاحا قطع يده وربما أقام أربعين لا يؤتى إليه بأحد خوفا من سطوته (ودخل) شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح بعدما ولي الخلافة وولبها وهو ابن أربع وعشرين سنة في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وعنده ثمانون رجلا من بني أمية وهم جلوس معه على المائدة فقام مولى لبني العباس فأنشده

أصبح الملك ثابتا في أساس ❊ بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ❊ بعد ميل من الزمان وياس
يا كريم المطهرين من الرجس ويا رأس كل طود وراس
لا تقيلن عبد شمس عثارا ❊ واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها ❊ وبها منكم كحز المواسي
أقصهم أيها الخليفة واقطع ❊ عنك بالسيف شأفة الأرجاس
ولقد غاظني وغاظ سوائي ❊ قربهم من نمارق وكراسي
❊ أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ❊ وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ❊ ثاويا بين غربة وتناسي

الحجاج كان أيوب بن القرية قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي لما خلع ربقة الطاعة وادعى الخلافة وحاربه الحجاج فلما كانت الدائرة عليه وأخذ أيوب مع من كان معه فلما قدم على الحجاج أسيرا قال له ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف فقال له الحجاج بئس ما منيت به نفسك يا ابن القرية أتراني ممن تخدعه بكلامك والله لأنت أقرب إلى الآخرة منك إلى موضع نعلي هذه قال أقلني عثرتي وأسغني ريقي فإنه لا بد للجواد من كبوة وللحسام من نبوة فقال له أنت إلى السطوة أقرب منك إلى العفو عن الهفوة ألست القائل وأنت تحرض حزب الشيطان وعدو الرحمن تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ثم أمر به فضربت عنقه وذلك في سنة أربع وثمانين (ولما) انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لحق سعيد بن جبير بمكة وكان قد خرج معه فأخذه خالد بن عبد الله القسري فبعث به إلى الحجاج فلما دخل سعيد على الحجاج قال له سعيد قال نعم قال ألم أقدم العراق وأنت بلا عطاء فأعطيتك ... قال بلى قال جعلتك إمام قومك وزدت عطاءك أربعين دينارا ... قال بلى قال وسهلت إذنك قال بلى واستقضيت أبا بردة بن أبي موسى وهو فقيه ابن فقيه فجعلتك وزيره وكاتبه وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال وأوفدتك وفدا إلى أمير المؤمنين فحملتك مثلهم ولا يوفد مثلك فاستعفيتني فأعفيتك وذلك كله بعين ... من الحجاج ثم قال فما أخرجك علي قال كانت لابن الأشعث في عنقي بيعة فاستوى جالسا وقال يا عدو الله فبيعة أمير المؤمنين كانت في عنقك قبل بيعة عبد الرحمن يا حرسي اضرب عنقه فلما ضربت عنقه التبس على الحجاج عقله فكان يقول قيودنا قيودنا فقط وأنه بالسلاسل ... على سعيد ... من ... ساقيه وأخذوا القيود وقد أورد القصاص هذه الحكاية على غير هذا النمط والصحيح هو هذا والله أعلم ﴿ابتداء الرشيد بالبرامكة﴾

(لما) ولي الرشيد الخلافة قال ليحيى بن خالد يا أبت قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم بما ترى واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وأمض الأمور على ما ترى فإني غير ناظر معك في شيء ثم ولى في سنة ست وسبعين ومائة جعفر بن يحيى المغرب كله من الأنبار إلى أقصى بلاد إفريقية وولى الفضل المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك وكان يحيى يميل إلى الفضل والرشيد يميل إلى جعفر وكان يقول ليحيى أنت للفضل وأنا لجعفر وكان الرشيد لا يسمي يحيى إلا أباه ... (ولما) وقع من هارون الرشيد ما وقع ... على ... وحصل ... أعمال ... على البرامكة ولا ... لهم ... حتى لا ...

انه لما فُصل رأسه بين يدي صالح فنُفض فسقط لسانه فأخذته هرة فقال صالح والله
لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان في فم هرة لكفانا ثم أدخل عليه ابنة
مروان فقالت كبراهن السلام عليك يا امير المؤمنين قال لست بامير المؤمنين فقالت
السلام عليك ايها الامير فقال وعليك السلام فقالت له ليسعنا عدلكم فقال اذا
لا نبقي على وجه الارض منكم احدا ألم تلعنوا علي بن ابي طالب على منابركم
واسمعتم اللعنة من الله تعالى وقتلتم الحسين بن علي وسرتم برأسه في الآفاق
وقتلتم زيد بن علي وصلبتموه واحرقتموه بالنار وقتلتم يحيى بن زيد وأمرتم من نال علياً
وسبّه وقتلتم ابراهيم بن محمد الامام وهو اسير في ايديكم فما ابقيتم فقالت ايها الامير
فليسعنا عفوكم قال اما هذا فنعم ثم امر برد عليها ما اخذ منها ونحوه لها ولمن معها
وأنشد المهدي قول بشار بن برد فيه لما أفنى الاموال التي جمعها المنصور في اللذات
والشرب والغناء

بني أمية هبّوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

خرج المهدي الى الصيد وما يريد غيره فلما صار بالمطبخ من همدان مر بدار كان بشار
على سطحها فاتفق لما أحس بمرور المهدي عليه خاف أن يعرفه فاندفع بشار يؤذن
فقال المهدي من هذا الذي يؤذن في غير الوقت فقالوا بشار فقال علي به فلما مثل بين
يديه قال له يا زنديق هذا من بعض لذاتك تؤذن في غير الوقت ثكلتك أمك فلو سكت
لسانك ما عرف مكانك ثم أمر بضربه بالسياط فضرب حتى مات فقيل (وقال)
ابن عبدوس في كتابه الذي صنفه في أخبار الوزراء في سبب قتله انه هجا يعقوب بن
داود وزير المهدي فسمع يعقوب على لسانه هجاء المهدي ودخل عليه فقال يا أمير
المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد هجاك قال وما قال قال يعفيني أمير المؤمنين من
انشاد ذلك فلم يزل به حتى أنشده

خليفة يزني بعماته * يلعب بالدف وبالصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى في حر الخيزران

فقال له وجه من يحمله فخاف يعقوب من أن يقدم على المهدي فيمدحه فيعفو عنه
فوجه اليه من ألقاه في البطائح وقيل بل دس عليه من قتله في طريقه وقيل انما قتل
على الالحاد وكان يرى رأي الثنوية وذلك في سنة ثمان وستين ومائة * وفي المحرم
سنة تسع وستين ومائة مات المهدي وله من العمر اثنان وأربعون سنة وخمسة عشر يوما
وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واحدا

﴿ومن شيء غيظه من العدو المخالف ولم يغض له عن دينه السالف﴾

الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك * فرد عليه الرشيد من كتاب إن أمير المؤمنين
لم يأت على ولدك الفضل ومن رأيه ترك الماضين ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاءك
بحبسك إنما أخرك وإياهم لمصالح المؤمنين بعد الأمم ثم تصير إلى العذاب الأليم
فاشرأبها المخادع الزنديق والمخالف الفسيق فما أعدك أمير المؤمنين من سلبك
نعمك وحول ذكرك وأطفأ أمرك فتوقعه صباحا ومساء (ووقع) الرشيد عليه
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم مات يحيى والد
الفضل في سجن الرقة حتى مات فيه ومات يحيى في المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من
غير علة وعمره أربع وسبعون سنة ومات الفضل في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين
ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال أمري قريب من أمره وكذا كان فإنه توفي بعده
بخمسة أشهر في المحرم سنة ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة
وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وأياما فإنه ولي سنة سبعين ومائة
وكان الفضل ترب الرشيد ورضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد
(وذكر) أن الرشيد أقام يتردد في قتل جعفر سنة لا تطاوعه نفسه في قتله قال
حسين الخادم أشهد بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا بأستار الكعبة قائلا في مناجاته
اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى (ورثاهم) بعد موتهم من عامة الشعراء
وغيرهم جم غفير وقد اخترنا أبياتا من أحاسن مقالاتهم أردنا أن نبين فيها ما كان في
مقاصدهم (فمن ذلك) أبيات لأشجع السلمي

ولى عن الدنيا بنو برمك * ولو يولى الخلق ما زادا
كأنما أيامهم كلها * كانت لأهل الأرض أعيادا

(آخر) كأن أيامهم من حسن بهجتها * مواسم الحج والأعياد والجمع

(آخر) يا بني برمك واها لكم * ولأيامكم المقبلة
كانت الدنيا عروسا بكم * وهي اليوم ثكول أرملة

(ومن قول الصمعي بن إبراهيم من أبيات)

هوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى * وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لأبناء برمك * بها يعرف الساري وجوه المسالك

(وللرقاشي)

ألان استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يحدي ومن كان يحتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولم تظفري من بعده بمسود

م من الناس في قتلهم لما كان بينه وبينهم من اتحاد الود فكلم الرشيد يوما بكلمة
عمها مسلما فوكل من رفع منهم من يحكي في نوعها حكاية ومنهم من يشد شعرا
يشد بعضهم أسامي قبر المهدي الذي هم بصدده فكان سبب الانصات لهم في
ايقاع بهم يقول فيها

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ＊ وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة ＊ إنما العاجز من لا يستبد

فسمعها الرشيد الابيات مرات فكان ذلك الشعر حامله على الايقاع بهم ＊ وكان غضب
الرشيد عليهم صرف الفضل عما كان بيده من ولاية الشرق أولا فأولا من سنة ثمانين
الى سنة ثلاث وثمانين ولم يزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية الى أن ركب
يوم الجمعة مستهل صفر سنة تسع وثمانين الى الصيد وجعفر معه يسايره خاليا به
انصرف متمشيا الى القصر الذي كان نزله بالانبار فلما وصل اليه ضمه واعتنقه وقال
لولا أني أريد الخلوة الليلة مع النساء لما فارقتك وسار جعفر الى منزله فواصله الرشيد
بالطاف الى وقت السحر فبعث اليه مسرورا الخادم ومعه سالم وابن عصمة فضربوا
له وأخذه مسرور وضرب عنقه وأتى الرشيد برأسه فأمر الرشيد بجثته الى بغداد
فقطعت نصفين وصلبا على الجسرين (ولما) انصرف الرشيد من الرقة سنة تسع
وثمانين الى بغداد مر بالجسر ورأى جثة جعفر فقال لئن مضى أثرك لقد بقي خبرك
ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك ثم أمر بها فأحرقت (ولما) قتل الرشيد جعفرا ارتحل
الى الرقة وحمل معه يحيى وولده الفضل فسجنهما فلما أن ضرب الفضل مائتي سوط
فوجد لجعفر الا خمسة آلاف دينار وللفضل الا أربعين ألف درهم ولم يجد لجعفر ولا
لأخيه موسى شيئا ووجد ليحيى بن خالد ستمائة ألف درهم (وقيل) انه وجد لجعفر
ضمن تركته أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار مكتوب على أحد

ي الدينار   وأصفر من ضرب دار الملوك ＊ يلوح على وجهه جعفرا
لى الوجه الآخر   يزيد على مائة واحدا ＊ اذا ناله معسر أيسرا

(ولما) أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيى أباه والفضل أخاه كتب
ي المهدي السجن من عبد أسلمه ذنبه وأوبقه عمله وخذله رفيقه ورفضه
صديقه فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته شهر وليلته
دهر عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين كبر سني وضعف قوتي
وارحم شيبتي وهب لي رضاك بعفوك ان كان من مثلي الزلل ومن مثلك
الاقالة وليس اعتذاري الا اقراري حتى ترضى عني فان رضيت رجوت أن يظهر لك
من عذري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما منيت به علي من رأفتك ورحمتك زاد

الله

ما كنت أملك رجال العراق حتى نقلتهم إلى رجال أهل الشام فقتلها عامة فآلى
على نفسه إن أمكنه الله منه ليقتلنه شر قتلة فاتفق أن عيسى بن علي أمر ابن المقفع
أن ينطلق إلى سفيان وكان إذ ذاك على شرطة بغداد برسالة كان المنصور أمره بها
فقال له إني لا آمن سفيان فقال له انطلق إليه ولا تخف فإنه لم يكن ليعرض لك وهو
يعلم مكانك مني فلم يجد ابن المقفع بدا من امتثال أمر عيسى فذهب حتى أتى باب
سفيان فاستأذن فأذن له وكان في مجلسه العام فعدل به إلى مقصورة ثم قام سفيان من
مجلسه إلى المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له ويحك والله فقال له أنشدك بالله تعالى
فقال أمي مغتلمة كما قلت إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد مثلك وأمر بتنور فسجر ثم
أمر به فقطع عضوا عضوا وألقي في النار وهو ينظر حتى أتى على جميعه ويقول بعضو
ثم قال يا ابن الزنديقة لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق بعد ذلك
(وكان) رافع بن الليث خلع هرون الرشيد وأظهر العصيان وتغلب على بلاد ما وراء
النهر وذلك في سنة تسعين ومائة وكان علي بن عيسى إذ ذاك على خراسان فحاربه
فلم يقدر عليه فخرج الرشيد إليه من بغداد سنة ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض
واشتد به المرض فلما كان يوم موته أخذ المرآة ينظر فيها وجهه فرأى عليه علامة
الموت فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فبينما هو في تلك الحالة إذ أدخل عليه أخو رافع بن
الليث أسيرا فلما مثل بين يديه قال إني لأرجو أن لا يفوتني أخوك والله
لو لم يبق من عمري إلا أن أحرك شفتي بقتلك لفعلت أو نحوه ثم دعا بقصاب وقال له
لا تشحذ مديتك وفصله عضوا عضوا وعجل لئلا يحضرني أجلي ويبقى من أعضائه في
جسده مفصل ففصله ثم جعله أشلاء ثم قال له اعدد قطع لحمه فعدها فإذا هي أربعة عشر
عضوا فرفع يديه وقال اللهم كما أمكنتني من ثأري ونكبت من أخيه ثم مات من ساعته (وكتب
رجل) كان في حبس المأمون إليه لما طال حبسه أعيذك بأمير المؤمنين أمري
وإن نسيت ذكري ولم تتأمل جرمي وعذري فتفضل من صبري الصبر وفي من
نكبات الدهر فأجابه المأمون ذكرتك فلم أنس صبرك وهل الصبر إلا للفضل وبعثت على
وعلى نفسك بذلك من يعيده الله إلى قدرك وإن الأحمق من جهل الشكر على المن
وقل صبره على المحن فاصبر على عواقب قولك ومن يعتبر لا يليك على قدر صبرك
على كثرة أناتك فإن حصل في نفسك كف عن معصيتي وعزم على طاعتي وندم
على ما مضى فلن تعدم مع ذلك جميلا مني (ولما) ظفر أبو جعفر المنصور بعبد الله
ابن حسن بن فاطمة وحبسه في داره فلما أراد المنصور خروجه إلى الحج جلست ابنة
لعبد الله تسمى فاطمة على طريقه فلما قرب منها أنشدت

ارحم كبيرا سنه متهدما ✿ في السجن بين سلاسل وقيود

وقل للعطايا بعد فضل تعطّلي * وقل للرزايا كل يوم تجدّدي

(وقال) ان الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان * وذكر بعض المؤرخين انه سعى بهم علي بن عيسى المذكور وبعد قتل جعفر هذا انشد ان ولا يعلم من كسبها ولا من قائلها

ان المساكين بني برمك * صبّت عليهم نوب الدهر

ان لنا في أمرهم عبرة * فليعتبر صاحب ذا العصر

كانت نكبة البرامكة كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج في المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة (وكانت) مدة وزارتهم سبع عشرة سنة وسبعة اشهر واياما * ولله در أبي كلثوم بن عمرو العتابي حيث قال يعرّض بالبرامكة ويذكر غادة صحبة السلطان وان ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد

رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد

أسرّك أني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنين أغصّني * مغصّهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد

فان كريمات المعالي مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

وان الذي يرقى من المجد والعلا * ملئ بانواع الاذى والمكايد *

(ولله) در المأمون اذ قال وكأنه يعتذر عن ايقاع ابيه بالبرامكة وان لم يقصده يستطيع الناس ان ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون ان ينظروا بالعدل من ملوكهم وحماتهم وكفاتهم وذلك انهم يرون ظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصحهم ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول في ذلك ما اوقع به الا رغبة في ماله او رغبة في الا يعود الى موضعه او الحسد او الملالة او شهوة الاستبدال ولا والله ما هو كذا الا لخيانات في صلب الملك او في تعرض الحرم ولا يستطيع الملك ان يكشف للعامة موضع العورة في ذلك ولا يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد مع علمه بان عذره غير مبسوط عند العامة ولا معروف عند اكثر الخاصة * ومن المنقول المستحسن * ما حكي ان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كان يطعن على عبد الله بن المقفع استهزاء كثيرا فمنها انه كان يراه ويسأله عن الشيء بعد الشيء فاذا اجابه قال له اخطأت ويضحك فلما كثر ذلك عليه غضب وافترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن المعطلة والله

للامامة من غيره فلان وفلان وعد جماعة الى ان قال لا وجعفر بن المعتصم فقال
رضي المسلمون اتفقا على يدي قصبة ثم ارسل الى امير المؤمنين فكان ما رأى قال
المتوكل فهي ما قاله ابن الزيات في نفسي فقتله بما احتج به عليه من قبل
فعملت ابن الزيات في التنور احاط الماء البارد * وكان ابن الزيات قد اتخذ
التنور لاهل اسقاط الخراج وهو صورة من حديد مدورة وجعل لباطن جوانبه مسامير
اطرافها الى داخل فاذا وقف فيه الواقف لا يستطيع الحركة الى جهة اخرى من
جهاته الا صدمته المسامير فلا يزال قائما فيه حتى يموت فلما القي فيه ابن الزيات صرخه
عماد الخدمة فقال يا ابن الزيات اردت تجرب في الناس وجرب فيك قال المسعودي اقام
ابن الزيات في التنور اربعين يوما الى ان مات وكانت مدة وزارته للمتوكل اربعين يوما
(وذكر) ان الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما قبض عليه هرب الى البصرة
فقيل له لم هربت قال خفت ان يقال لي ثاني اثنين اذ هما في التنور وقتل ابن الزيات
في الرابع من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكان قد وزر لثلاث خلفاء المعتصم
والواثق والمتوكل ولما قبض عليه قال يا بؤس من ألم تكملت الحضارة والسار والوعد من
العيش حتى طلبت الوزارة وتعرضت للسماع في عملها وفي الآن ما يجب على
نفسك * ومات الواثق بسر من رأى سنة اثنين وثلاثين ومائتين وله من العمر ستة
وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة اشهر واياما (اتي) الاسكندر
بسارق فامر بصلبه فقال ايها الملك اني فعلت ما فعلت وانا كاره قال وتصلب ايضا
وانت كاره

﴿من راقب في العقوبة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالاعمال والقصاص﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعض المفسرين هذا وعيد
للظالم وتعزية للمظلوم (كتب) عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اذا امكنتك
القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم ان لك عند الله ما لرعيتك
عندك (وقال) بعض الحكماء اذكر عند القدرة قدرة الله عليك وعند الظلم عدل
الله فيك * وفي المثل كما تدين تدان (وقالوا) لا يدمل من المظلوم جراحه حتى يكسر
من الظالم جناحه (وقال) اعرابي لمن جار عليه ابن عمه ليس الى الباطل ادل لمطرق
عن الحق (وقال) عبد الله بن ابي ايه من طلب عسرا الظلم وسوء اورثه الله ذلا
بباطل او عدل (وقال الشاعر)

لا تعاجل ذا الذنب بالانتقام * واحترس من تمادي الانام
وكرام الانام يسامحون العفو * وعفوا عن الذنوب العظام

(اتي) سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية تجب عليه فيها التعزير فلا عذر فامر

وارحم صغار بني يزيد انهم * يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا * ما جدنا من جدكم ببعيد

ولما سمع المنصور أبياتها قال أذكرتنيه ثم امر به فدُس في المطبق وكان آخر العهد (ويزيد) المذكور في شعر فاطمة هو اخو عبد الله بن حسن وأخذ عبد الله لأجل ولديه محمد وابراهيم وكانا قد خرجا على المنصور وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث المنصور الهاشمي عيسى بن موسى فقتل محمدا بالمدينة وكان قتل ابراهيم ومحمد بين البصرة والكوفة في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ❊ وقال أبو بكر الخطيب مات عبد الله بن حسن في الحبس وهو يوم الأضحى سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست وأربعين سنة ❊ وكان المنصور قل ما ظفر بأحد الا قتله سواء كان مستوجبا للقتل او غير مستوجب وهذا كان في اول خلافته وقال له عبد الصمد بن علي قد هجمت في القتل والعقوبة حتى كأن لم تسمع بالعفو فقال ان بني أمية لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن قوم رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد الهيبة في صدورهم الا باطراح العفو عنهم واستعمال العقوبة فيهم (ومن عجائب الظفر ما حكاه الصولي أن المتوكل قال ركبت الى دار الواثق أزوره في مرضه في اليوم الذي مات فيه ولم أدر بذلك فدخلت الدار وجلست في الدهليز انتظر الإذن لي فسمعت بكاء فاذا به قد مات فجلست واذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران في فقال محمد نلقيه في التنور وقال ايتاخ بل نلقيه في الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه اثر القتل فبينما هما كذلك اذ جاء احمد بن ابي دؤاد وكان القاضي يوثقه الخدام [illegible] فدافعهم حتى دخل [illegible] الا [illegible] لما دخلني من الخوف واستعمال القلب باعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما أرادوه في فبينما انا كذلك اذ خرج الغلمان يتعادون الي ويقولون انهض يا مولانا فشككت في أن أدخل وأبايع الواثق ويقتلني فامر بي فدخلت فلقيني ابن ابي دؤاد فقبل يدي وامسكها الى ان صار بي الى السرير وقال اصعد الى المكان الذي اهلك الله له فلما صعدت وجلست سلم علي بالخلافة وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسلما علي ثم استدعى القواد فسلموا علي ثم الناس على طبقاتهم فلما ذهبت الدهشة عني تحققت ما سمعته من كلام ابن الزيات وايتاخ فسألت عن الحال وكيف جرت فقال لي بينا محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ في ذكر ما سمعته اذ دخل عليهما ابن ابي دؤاد فسلم عليهما وعزاهما وقال انا رسول المسلمين اليكما وهم يقرؤن السلام عليكما ويقولون انكما قد بلغتما وقد امنتما وعبد الله يحب سنته واننا المنتظرون لكما في هذا الامر فان اخترتما لاماما فامضوا الا [illegible] فقال له ابن امير المؤمنين الا انه صغير لا يصلح

ما وهبت من حياتي في خفض عيش قال أعطوه مائة ألف درهم فقال أيها الأمير أشهد أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال ولم قال لقوله فيك

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه ❊ جبروت كلا ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الاتقاء

فتبسم مصعب وقال إن فيك لموضعا للصنيعة وأمر بملازمته فأحسن صلته ولم يزل معه حتى قتل في جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وقتل أخوه عبد الله في جمادى الأولى وكانت مدة خلافته تسع سنين وأشهر وعشرين يوما وماتت أمه أسماء بعده بجمعة أيام لم تشب ولم يقع لها سن ولها من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبد الله وإنما عرف أنه بقيس الرقيات لأنه يشبب في شعره بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية وقيل أحب في حداثته ثلاث رقيات وعلى القول الأول يقال الرقيات بالضم على الصفة وقيس بالتنوين وعلى الثاني يقال قيس الرقيات بالكسر على الإضافة * وأما الرقيات اللاتي يشبب بهن فرقية بنت عبد الله بن جعفر وفيها يقول

رود تنازعه الأحزانا ❊ يوم جازت حمولها سكرانا

ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول

أمست رقية دونها الغمر ❊ فالرقة السوداء فالبشر

رقية بنت الحسن وهي ابنة عم رقية بنت عبد الواحد (وفيها يقول)

أتبكي على رقية أم تنوح ❊ ومن تبع الهوى فيه افتضوح

❊ الفصل الثالث من الباب الرابع عشر ❊
❊ في أن الإقامة بحدود الله خير فعال من حكمه الله وولاه ❊

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (وروى) أبو داود في مراسيله إلى إسحاق بن سعيد عن مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود في السفر والحضر على القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام في الأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحا (وقال) الحسن البصري رحمه الله تعالى إن الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الكبائر والفواحش وأنزل القصاص حياة للعباد فأقيموا حدوده ولا تأخذكم في الله لومة لائم ولا يحل لأحد أن يشفع في إسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفوع إليه أن يشفعه لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله

بخيله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الأذان قال وما يوم الأذان قال الم
الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان و
(أتى) الرشيد ببعض من خرج عليه فلما مثل بين يديه قال ما تريد أن أصـ
الذي تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه أذل مني بين يديك فأطر
مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر
المؤمنين تقوى مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمثل هذا الباغي وتطلقه بـ
ألا تأمن أن تسلط عليك الأشرار بالإحسان إليهم فأمر برده فلما مثل
انه قد أغري به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم فيّ فلو أطاع الله فيك خلقه
عليهم ساعة واحدة فأمر بإطلاقه (أخذ) الحجاج محمد بن الحنفية بعد ما
ابن الزبير فقال بايع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال إذا اجتمع الناس
كنت كأحدهم قال والله لأقتلنك قال لعلك لا تدري قال ما لي لا أدري
حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله في كل يوم ثلثمائة و
يقضي في كل لحظة ثلثمائة وستين قضية فلعله أن يكفيك في قضية
فانقبض الحجاج وقال لقد تخطأك الله فاذهب حيث شئت وخلى سبيله و
بهذا الكلام إلى عبد الملك بن مروان ووافق ذلك كتاب ملك الروم إلى
يتوعده ويهدده فكتب إليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم
ما أتى عندي هذا الكلام ما هذا إلا كلام من أهل بيت نبوة (وقال)
عتب عليه أسألك بالذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك الع
عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من يرى برئ أحب
سقمي وعطبه في أولى به من طلبي فعفا عنه وأطلقه (ولما) هجم ابن حمران
أيام المستنصر بالله وأحرق دار الزيت وخطب بعسكر اجتمع الناس إلى
الجوهري الواعظ فشكوا حالهم إليه فكتب إلى المستنصر إن كنت
جاهلك وإن كنت تعلو فاتق حالك والسلام فرفع ذلك عنهم (غضب
سليمان على رجل فأمر بطرحه في القصر فقال له الرجل اتق الله في فقال
فإني كرهت أن أكون كالذي إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حـ
(قدم) إلى أحمد بن نصير خروجي حتى جنايته فأمر بضربه فقال أيها الأمير
ما تقوى عليه تريد بذلك القصاص في الآخرة فتركه وترك العمل (وأخذ
رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير
إن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي يستضاء
بأطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلني قال أطلقوه فقال أيها الأ

سماع بينة أو اقرار بان لم يكن بينة أخذت الخصم وذلك في حقوق الآدميين وهي
نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سكر وحد سرقة وحد قذف * حد الزنا
وهو أكبر الكبائر يثبت بأحد أمرين اما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء
يشترط في قبول شهادتهم رؤية العين للفاحشة وفي جواز تعمد النظر خلاف * وحد
الرؤية أن يرى من شهد به [illegible] البالغ العاقل حشفته ذكره في فرج امرأة
لا عصمة بينهما ولا شبهة * والزاني نوعان بكر ومحصن وحد الفاعل في البكر ان كان
حرا [illegible] مائة وتفرق على سائر أعضائه دون الوجه والرأس
والفاحشة دون [illegible] الاعضاء المخوفة ويغرب كان عاما وقال مالك يغرب الرجل دون
المرأة وقال أبو حنيفة لا يغرب والعبد يغرب نصف عام مسافة القصر * وحد الكافر غير الحربي
والمسلم في الجلد والتغريب سواء وحد العبد على النصف من حد الحر ويغرب
نصف عام في أحد القولين وقال مالك لا يغرب العبد في تغريبه من الاضرار بسيده
واما المحصن فهو الذي أصاب وطء في نكاح وحده الرجم بالحجارة حتى يموت ولا
يلزم الرجم نفي ولا جلد فان رجم بالبينة فر في حفرة فهو من الحرب وان
هرب اتبع بالرجم حتى يموت وان رجم باقرار لم يتبع وان هرب لم يتبع واذا تاب
الزاني بعد القدرة عليه لم يسقط عنه الحد (وحد السرقة) والسرقة أخذ مال من حرز
بلغت قيمته اما اذا سرقه بالغ عاقل مختار لا شبهة له في المال ولا حرزه قطعت يده
اليمنى من مفصل الكوع والنصاب ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار وهو عشرة دراهم
عند الشافعي وثلاثة دراهم عند مالك والاحرار يختلف باختلاف الاموال واذا
قطع السارق والمال باق رد على مالكه وان سرقه تالف قطع وقال أبو حنيفة لا يقطع
في مال غرم وان عفا رب المال عن القطع لم يبطل ويستوي في قطع السرقة الرجل
والمرأة والحر والعبد والمسلم والكافر واذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان
سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وان سرق خامسا
لم يقتل بل يعزر لانها معصية ليس فيها حد ولا كفارة واذا تلف المسروق في يد
السارق ضمن بدله وقطع لان الغرم [illegible] الآدمي والقطع [illegible]
أحدهما الآخر كالدية والكفارة ولا قطع [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] سرق من مال
سيده ولا والد سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال والده أو جده لان لكل واحد
منهما شبهة في مال الآخر (وحد الخمر) كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ يحد شاربه
سواء أسكر أو لم يسكر اذا كان مكلفا * والسكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين
السماء والارض ولا بين الطول والعرض هذا قول أبي حنيفة وقال غيره أن يجمع بين
اضطراب الكلام فهما وافهاما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما (ويحكى) أنه لما

تعالى ﴿فيما ورد عن ذوي البصائر والاحلام في كيفية مشروع الايقاع والالزام﴾
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد فوق عشر جلدات الا في حد من حدود
الله عز وجل (وقال) عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اوقفوا الحدود ما وجدتم مدفعا ولان يخطئ الامام في العفو
خير من ان يخطئ في العقوبة فاذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا عنه الحدود (وقال)
بعض الحكماء ينبغي مقدار العقوبة فيه اعلام المذنب بما جنى لا يتجاوز به
الارتفاع الى حد الايقاع (وقال) محمد بن رافع الدوسي من اعقل الناس قال من
عفا اذا قدر واجمل اذا انتصر ولم تطغه غيرة الظفر (ويحكى) ان جعفر بن محمد الصادق
قال لابي جعفر المنصور وقد غضب على رجل فاسرف في عقوبته اعيذك بالله يا امير
المؤمنين ان تغضب لله سبحانه باكثر مما غضب لنفسه ان الله تعالى يقول يوم القيامة
لعبد وقد وقفه لم عاقبت عبدي باكثر مما جنى فيقول يا رب انما غضبت لك
فيقول الله سبحانه أكان غضبك ان يكون فوق غضبي (وقال) ابو الدرداء لرجل اسمع
كلاما ما هذا الا تعرض في شتمنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا باكثر
من ان نطيع الله فيه (وقال) بعض الحكماء ان العفو نبيل في قصره عجز ومن
جاوزه ظلم ومن انتهى اليه اكتفى (أتى) المأمون برجل وجب عليه حد فأمر بضربه
فقال يا امير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال ما انا بارحم من الذي
اوجب الحد عليك (وقالوا) جماع الخير كله في القيام بحدود الله (تقدمت) امرأة الى
ابن الزيات وكان قد حبس ابنها في دم فاستعطفته فزجرها وزوى وجهه عنها فقال
بعض من حضر ارحمها ايها الوزير انها امه قال او لا ارحم ام المقتول (شاعر)

اذا عفا لم يك في عفوه * منّ به يكدر نعماه
وان سطا عاقب ذا زلة * بقدره لا يتعداه

(وقال) اكثم بن صيفي لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فان الله تعالى اقدرك
على عدوك (وقال) سري السقطي خصلة من اعلام الاسلام وقواعد الايمان من
اذا قدر لم يتناول ما ليس له (وقالوا) العفو واحتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا
يفضي الى حد ولا ينقص شيئا ولا يؤلم جراه فاما الذي يرتكب عمدا ويوجب حدا
فالاحتمال له يرخص في الذنوب والتجاوز عنه ابطال للحدود وذلك مما لا تحتمله
السياسة ولا تطيقه الشريعة ومن عفا عمن استوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق
المثوبة

﴿ذكر الحدود التي اوجبها الله تعالى على من افرط في ارتكاب الفواحش وتمادى﴾

(الحدود) وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما امر والاقدام الابعد

ويعزر من دونه بالضرب وبالحبس كالشتم ثم الى غايته غير مقدرة ۞ ويقود
في الضرب العقوبة فاذا لم يتعلق بحق لآدمي كالشتم والضرب وان تعلق به قوم أو
المضروب كان لولي الامر تركه ان رأى المصلحة في تعزيره أو العفو عنه وان تعاونوا ولم يترافعوا
الا كان ولي الامر مخيرا (والجنايات) في نوعين ۞ والجنايات على النفوس
ثلاثة عمد محض وخطأ وشبه عمد (أما العمد المحض) فهو أن يتعمد رجل قتل انسان
بما يقتل غالبا ففيه القود أو الدية ۞ والقود أن يقتل القاتل بمثل ما قتل به المقتول
اذا قتل بالسيف لم يقتص منه الا بالسيف وان أحرقه أو أغرقه أو رماه بحجر أو رماه من
شاهق أو ضربه بخشبة أو حبسه ومنعه الطعام والشراب حتى مات فللولي أن يقتص بذلك
لقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ۞ والدية في هذا القتل مائة من
الابل في مال القاتل حالة فان أعوزت الابل وجبت قيمتها بالغة ما بلغت وقيل ألف
دينار أو اثنا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب ۞ وحكم
القود فيه أن يقتل القاتل على المقتول حرا أو اسلاما فلا يقتل حر بعبد ولا ذكر
بأنثى ولا مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعي فان قتل حر عبدا فلا قود وكذا لو
قتل مسلم كافرا وقال أبو حنيفة يقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر
والكافر بالمسلم وكذا الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والكبير بالصغير والعاقل
بالمجنون مراعاة لقوله تعالى أن النفس بالنفس وقال المخالف له هذه الآية واردة
بما كان مكتوبا في التوراة على أهلها والذي خوطب به المسلمون كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ولا يقاد الوالد بالولد ويقاد
الولد بالوالد والابن بالاب (وأما الخطأ الظاهر) فهو أن يتسبب الى القتل من غير قصد
لايقاع الفعل به مثل أن يرمي هدفا فيصيب انسانا أو ركب دابة فرمحت بانسان
فأتلفته وما أشبه ذلك فهذا القتل فيه الدية مخففة على العاقلة دون
القاتل على ثلاث سنين في كل سنة ثلثها تؤخذ من جنس الابل في الاسنان
أخماسا عشرون بنت مخاض وهي التي لها سنة وعشرون ابن لبون وعشرون بنت
مخاض وهي التي لها سنتان وعشرون حقة وهي التي لها ثلاث وعشرون جذعة وهي التي لها
من العمر أربع سنين وعشرون ... وهي التي في خامس العمر أربع سنين
وسمي بذلك لانها ... أن يحمل عليها ... وهي التي في خامس
العمر ... ولا يحمل القاتل مع العاقلة شيئا من الدية ولا يدخل الا الاخوان على
الاب ولا الابن ولا الاب لانهم ليسوا من العاقلة ۞ وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة
مؤمنة ... من العقوبات ... لا الدية ... وله أن يدخل
بعد ... الاحرار لا الاطفال والنساء ... كانت ... لان الرفق

فلبس أبو بكر محمد بن أبي داود الأصفهاني الظاهري بعد أنه نفى استفسروه
بسؤال الفه رجلا وقالوا له سله متى يكون الشارب سكران فسأله الرجل فقال إذا
رتب عنه الهموم وباح بسره المكتوم فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم (وقال)
دم بن عبد الغفور في حده

سكر سكر الشراب الصرف حتى كأنما * يرى الأرض تمشي والجبال تسير
إذا مر كلب قلت فحل فارس * وإن مر سنور قلت ذاك بعير
يساير بالخطاف من كل جانب * يرى الشخص كالشخصين وهو صغير

والحد) في حق الحر أن يجلد أربعين بالأيدي أو بأطراف الأكمام أو بالسوط ويبكت
لقول النص والكلام الرادع وهذا العدد على النصف من حد الحر كذا جلد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وصدرا من خلافة عمر فقال للصحابة أرى الناس قد
تهافتوا في شرب الخمر فما ترون فقال علي رضي الله تعالى عنه أرى أن يجلد الحر ثمانين
والعبد أربعين فعمل ذلك ولما لم يكن بد من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل الفقهاء الأربعين الأولى حدا والثمانية تعزيرا لأجل الافتراء لأن الشارب إذا
سكر عربد وإذا عربد افترى وإذا افترى استحق التعزير فإن مات في الأربعين كانت
نفسه هدرا وإن مات في الثمانين ففيه قولان أحدهما جميع الدية لمجاوزة النص في
حده وهو الأربعون والثاني نصف الدية لأن نصفه حد محض والآخر مزيد (وحد
القذف) ثمانون جلدة إجماعا وهو من حقوق الآدمي يستحق بالطلب ويسقط
بالعفو ويعتبر في المقذوف خمس شروط البلوغ والحرية والعقل والإسلام والعفة
إن كان غير ذلك لا يحد قاذفه بل يعزر لأجل الأذى * وشرط القاذف أن يكون
عاقلا بالغا مختارا وإن كان صغيرا أو مجنونا فلا يحد ولا يعزر وإن كان عبدا جلد أربعين
نصفه بالرق ويستوي في الحد المسلم والكافر والمرأة ولا يحد القاذف بالسرقة
والكفر بل يعزر لأجل الأذى * والقذف بالزنا ما كان بالتصريح لا بالتعريض
وقيل بالتصريح والتعريض وهو مذهب مالك وقيل لا حد في التعريض وهو مذهب
الشافعي (والتعزير) هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ولا يبلغ به أدنى الحد
لا يبلغ به في الحر إلى الأربعين ولا في العبد إلى العشرين فالذي لم يشرع فيه الحدود
كمباشرة الأجنبية فيما دون الفرج وسرقة ما دون النصاب والسرقة من غير حرز
والقذف بغير الزنا أو الجناية التي لا قصاص فيها ويجوز أن يكون التعزير بالعصا
بالسوط وهو على حسب ما يراه الإمام ويختلف باختلاف الذنب وحال فاعله
كقوله عليه الصلاة والسلام أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم إلا في الحدود فمنهم من
يعزر بالإعراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف ويعزر من دونه بزواجر الكلام

ولكنه أن ينفرد باستيفائه إلا بإذن السلطان وإن صار إلى حقه من غير إذن السلطان
فلا شيء عليه وإذا تعذر وخاف فوات القاتل فالولي مخير بين أن يعفو أو يقتل أو يأخذ
الدية وذلك تخفيف من الله به هذه الأمة وذلك أن الله كتب على أهل التوراة القصاص
وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وأوجب على أهل الإنجيل العفو وحرم عليهم القصاص
وأخذ الدية (المحاربون) وهو اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ
الأموال ومنع السابلة فالحكم فيهم كما قال الله تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف أو ينفوا من الأرض وحكم هذه الآية أنها مرتبة باختلاف أفعالهم لا باختلاف
صفاتهم فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومذهب مالك وأبي حنيفة أن يصلب حيا
ثم يطعن بالرماح حتى يموت ولا بأس أن يطعم ويسقى ولا يجوز العفو عن هذا القتل
وإن عفا ولي الدم ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ومن أخذ المال ولم
يقتل قطعت يده اليمنى للسرقة ورجله اليسرى للمجاهرة بإخافة السبيل ومن أخاف
ولم يقتل ولم يأخذ المال عزر بلا تقدير (والنفي) هو الحبس وهو قول مالك وأبي
حنيفة وقال الشافعي رضي الله عنه هو أن يطلبوا لإقامة الحدود فيهربوا فإن تابوا
سقطت عنهم الحدود وقيل الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير
تفصيل وتوبة المحارب قبل القدر عليه فإن لم يكن في معينة وضع عنه الحد الإلهي
ولا يسقط به حد الآدمي وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه تضع عنه جميع
الحدود والحقوق إلا الدماء والله أعلم

﴿الباب الخامس عشر في الأخوة وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول من هذا الباب﴾

﴿في مدح اتخاذ الإخوان فإنهم العدة والأعوان﴾

(قال) الله تعالى حكاية عن قول الكفار في دركات النار في طلبهم الإغاثة من
الصديق إلى إزالة ما هم فيه من عذاب الجحيم أو تخفيف ما نالهم من العذاب الأليم
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قيل) إنما سمي الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه
من المودة وسمي العدو عدوا لعدوه عليك إذا ظفر بك (وقال) رسول الله صلى الله
عليه وسلم أكثروا من الإخوان فإن الله حيي كريم يستحي أن يعذب عبده بين إخوانه
(وقال) عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه (وقال) عليكم بإخوان الصدق فإنهم
معونة على حوادث الزمان وبركة في السراء والضراء وما أحسن قول من قال

ما دامت النفس على شهوة * النفس ويصدق أمين
من قابه وداج صالح * فذلك المطبوع منه الوثن

ممنوع من تصرف الأحرار ومن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به إليها فعليه صيام شهرين
متتابعين (ودية) نفس الحر المسلم ألف دينار وإن كانت ورقا فاثنا عشر ألف درهم
وإن كانت إبلا فمائة من الإبل وهي أصل الدية ودية المرأة على النصف من دية
الرجل في النفس والأطراف ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم وقال مالك
نصفها ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم ودية العبد قيمته وإن زادت على الحر أضعافا
(وأما شبه العمد) فهو أن يكون عامدا في الفعل غير قاصد للقتل كمعلم أدب صبيا
أو أب أو عزر السلطان رجلا على وجه الأدب فلا قود في القتل وفيه الدية على
العاقلة وهو أن يزاد عليها ثلثها فيؤخذ منها ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون
خلفة * والعاقلة هم العصبات الذين يرثون بالنسب والولاء وإذا اشترك جماعة في
قتل رجل واحد وجب القود على جميعهم وإن كثروا ولولي الدم أن يعفو عمن شاء منهم
ويقتل باقيهم وإن عفا عن جميعهم فعليهم دية واحدة تقسط عليهم بالسوية وإن كان
بعضهم جارحا وبعضهم ذابحا فالقود في النفس على الذابح الموفي والجارح مأخوذ
بجراحته * وإذا قتل الواحد جماعة قتل بالأول ولزمه القود في الباقين وتؤخذ
دياتهم من ماله * والقود في الأطراف كما قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس
بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح
قصاص ولا تؤخذ يمنى بيسرى ولا صحيحة بشلاء ولا ضرس بسن ولا ثنية برباعية ولا
لسان ناطق بلسان أخرس لأنه أكثر من حقه ويؤخذ الأخرس بالناطق وما انقسم
إلى أعلى وأسفل لم يؤخذ الأعلى بالأسفل ويقاد المرتد بالذمي

* ما الدية فيه كاملة من جوارح الإنسان وحواسه *

العقل الأذنان السمع على حياله العينان البصر على حياله الأجفان الأهداب
على حيالها الأنف الشم على حياله الشفتان النطق على حياله الأسنان اللسان
الذوق على حياله اللحيتان اليدان الأصابع على حيالها الصلب قوة الإمناء
إلا مال الذكر الأنثيان إبطال شهوة الجماع على حيالها الرجلان منفعة المشي
والبطش من غير قطع اليدين والرجلين سلخ جميع الوجه نزع لحم الأكتاف نزع
جميع اللحم النابت على الظهر

* ما تختص به المرأة دون الرجل *

الثديان وفي الرجل خلاف الشفران الإفضاء * ويجب في كل جفن ربع الدية وفي
كل سن خمس من الإبل وكذلك في الأضراس والرباعيات وفي كل إصبع من اليد
أو الرجل عشر الدية لا تفضل إصبع على إصبع وفي كل أنملة ثلث عشر الدية ما خلا
الإبهام فإن في كل أنملة منه نصف العشر (وإذا) وجب القود في نفس أو طرف فلم يكن

وقد صرح الشاعر في إعذار الأخلاق واعتبار الأعراق بقوله

وإذا جهلت من امرئ أعراقه * وذكرها فانظر إلى ما يصنع
إن النبات إذا استدام به الثرى * فرح النبات به وطاب المربع

(آخر) صاف الكريم فخير من صاحبته * من كان ذا شرف وكان عفيفا
إن الكريم إذا تمكن حاله * فالخلق منه لا يزال شريفا

(وقال علي رضي الله عنه) الأخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه (وقال العتابي) لا تستكثرن من الإخوان إلا أن كانوا أخيارا فإن الإخوان غير الأخيار بمنزلة النار قليلها متاع وكثيرها بوار وقد قال الشاعر

لا تركنن إلى أهل الزمان ولا * تأمن إلى أحد واستشعر الحذرا
فإن شككت فجرب من تعاشره * حتى يقول لك التجريب كيف ترى

(آخر) تخير من الإخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه
وقارن إذا قارنت حرا فإنما * يزين ويزري بالفتى قرناؤه

(عدي بن زيد)

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

(آخر) لابد للعاقل [illegible] * [illegible] الصاحب بالصاحبه
علامة الإنسان في [illegible] * تبين للشاهد والغائبه

(ولغيره)

إذا جربت أن تبلو امرأً صاحبا * فمن قبل أن تصطفيك الود فاعصه
فإن كان في حال الرخاء [illegible] * وإلا فقاطعه [illegible]

(قال) ابن مسعود ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب (وقال حكيم) كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه (ومن النوادر) أن حكيما رأى غرابا مع حمامة فعجب من ذلك لأنه ليس من جنسه فأتاهما فإذا كل منهما مكسور الجناح فقال الحكيم من هنا اتفقا (وقال بعض الحكماء) الأضداد لا تتفق والأشكال لا تفترق (وقالوا) على قدر [illegible] كل إنسان تألف قلوب الناس وأقربهم إليه ما كان أحسنهم أخلاقا وأكثرهم [illegible] نهارا (وحكي) أن عبد الله بن عمر [illegible] إلا استخار [illegible] فلما أصبح قال يا أهل مكة عرفنا أخياركم من أشراركم في ليلة واحدة [illegible] فهل أحد أدرى على أخياركم وأشراركم من أبراركم وقد نظم المتنبي هذا القول في بيت واحد فقال

وشبه الشيء منجذب إليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام

(وقيل لحكيم) ما أشد بالإنسان قال زوال الزمان وعثرة السلطان وكثرة الإخوان

فما أخ من كان له صاحب * يقدر أن يرفع من شانه
وإنما الدنيا بسكانها * وإنما المرء بإخوانه

(ولعلي كرم الله وجهه في معناه)

عليك بإخوان الصفاء فإنهم * عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرًا ألف خل وصاحب * وإن عدوًّا واحدًا لكثير

(وقال) المغيرة بن شعبة التارك للإخوان متروك (وقال) الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وقال الشاعر

وما المرء إلا بإخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الأجذم

(وقالوا) من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان (وقالوا) اتخاذ الإخوان سلاه للأحزان (وقالوا) مثل الصديق كالعضو يتصل بالبدن والعين تسمع بالعين (الثعالبي) الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين * وقال الصديق ثاني النفس وثالث العينين * وقال في لقاء الإخوان روح الجنان وراحة الأبدان قال لا فاكهة أطيب من مفاكهة الإخوان ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان (وقيل) لبعضهم أيما أحب إليك أخوك أم صديقك فقال أخي إذا كان صديقي (وقالوا) الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير * ولم يقل في احتياج الإنسان إلى صديق يرمه في المساء يعينه على دفع المصائب مثل قول الفقيه منصور

لولا صدود الصديق عني * ما نال واش مناه مني
ولا أدمت البكاء حتى * قرحت من الدموع جفني
وما جفاء الصديق إلا * هجوم خوف عقيب أمن

(وقالوا) أصطف من الإخوان من كان ذا عقل موفور يهتدي به إلى مراشد الأمور إن الأحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال (وقالوا) اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب فإنه ردء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عافيتك (وقال) حسان بن ثابت رضي الله عنه

أخلاء الرجال هم كثير * ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تصافي * فما لك عند نائبة خليل
وكم خل يقول أنا وفي * ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين * فذاك لما يقول هو الفعول

ويوسع له بالود في كل مجلس * كما كنت يوما موسعا لأبيكما
ويدعوه من أسمائه بأحبها * إليه تمسك بالوداد وبينكما
ويداوم عليها مع أصلك فإنه * من السوء عند النائبات يقيكما

وسئل) عبد الله بن جعفر ما حق الصديق على صديقه قال لا يسمع ويجمع ويتلبس بعيوبه وان يواسيه بالسراء والضراء (نظم) شاعر في هذه الكلمات فقال

حق لي على صديقي ثلاث * واجبات أخص بها إخواني
حفظه في المغيب إن غاب عني * ولقاه بالبشر إن لاقاني
ثم بذلي سماحة نفسي * مشفقا في الخطوب إن ما دهاني

﴿ومما يعد من شرائط الإخاء والمودة رعايته الأخ أخاه في الرخاء والشدة﴾

قال) علي رضي الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته (وقال) طاوس اليماني لا يواخي إلا الكريم الأديب الكامل المروءة الذي إن بعدت عنه حفظك وإن قربت إليه كرمك (وقال العتابي) ينبغي أن يكون الصديق لصديقه أتبع من خادم وأطوع من خاتم (وقيل) لابن السماك وأي الإخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك عند البعد إن دنوت منه داناك وإن بعدت عنه رعاك وإن استعضدته عضدك ولا يقطعه عنك عسران إن عصيته لك وإن احتجت إليه رفدك تكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر القليل من صديقه (وقال) جعفر الصادق رضي الله عنه للصداقة خمس شروط فمن كانت فيه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها وهي أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وأن لا يغيره عليه مال وأن يراه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات (وقال) أبو بكر بن عبد الله المزني إذا انقطع شسع نعل أخيك ولم تواسه في الحذاء فقد ملت إلى جانب من الجفاء (ومن حقوق الوداد) حفظ العهود وبذل المال وإخلاص المودة ورعاية الغيب وتوقير المشهد ورفض النكد وكظم الغيظ وإقالة العثرة والصفح عن الخلاف واحتمال الثقل وطلاقة الوجه ولطف اللسان والمشاركة في البأساء (ولقد كرم شعار من قال في معرض الافتخار)

لم يبق شيء على الأيام باقية * إلا بقية غير حفظ العهد والذمم
هذان خلتان أيام الحياة معي * لا يرجحان على الإكثار والعدم

﴿أبو العتاهية﴾

أخي من الإخوان كل مواتي * وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده * ويحفظني حيا وبعد مماتي

(ولغيره)

لكل امرئ شكل من الناس مثله * وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا
وكل أناس يألفون لشكلهم * وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا
لأن كثير العقل ليس بواجد * له في طريق كل حين له مثلا

(آخر) وقائل كيف تهاجرتما * فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلي ففارقته * والناس أشكال وألّاف

(وقال الجاحظ) من شأن الأجناس أن تتواصل ومن عادة الأشكال أن تتقاوم والشيء يتغلغل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقى عنصره ونبت عروقه وسمق بفروعه وتمكن على الإقامة وثبت ثبات الطبيعة (وقال حاتم)

وإني وجدت الفقر مشترك الغنى * وتارك شكل لا يوافقه شكلي
وشكلي شكل لا يقوم بمثله * من الناس إلا كل ذي ثقة مثلي
ولي نيل في المجد والبذل لم يكن * تأنقها فيما مضى أحد قبلي
وأجعل مالي دون عرضي جنة * لنفسي وأستغني بما كان من فضلي

(أبو سليمان الخطابي)

وما غربة الإنسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها * وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

(ويقال) المودة نسبة من غير رحم ووصلة من غير قرابة (شاعر)

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعا * وإذا المودة أقرب الأنساب

(آخر) ما القرب إلا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب بالنسب
كم من قريب بعيد الود منقطع * ومن بعيد سليم الود مقترب

﴿في شروط الإخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه﴾

(والقول) الجامع لحقوق الصديق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا لأخيه عليه أن يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويجيبه اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (نظم) بعض الشعراء هذه الكلمات

ثلاث بها يصفو لك ود أخيكما * اذا جمعت عند الأخوة فيكما
تسلم عليه ضاحكا متبسما * الــــه اذا لاقيته ولقيكما

فان ماتت من صاحب لك زله * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(وقيل) لبعض الادباء من الرفيق قال من أحسن شغله وأوكد فرضه وفعله فقيل له من الصديق قال من ان دخلت عليه وجدت نفعه لك وان شملك مخافة وجدت عنه دفعك وقيل له في الوفي قال من يحكي بالقصد كمالك ويرعى ملاطفة جمالك فقيل له في الصاحب قال الذي من اذا أتى ذكرك عند الناس وان ذا حدثك في الكناس (وقال بعض البلغاء) اذا سارك أخوك بماله فقد ملكك نفسه لانه قد بذل لك ما لا قوام لنفسه الا به واذا بخل عليك بزيه فلا تعتد به في وده ولله در القائل

اذا صاح لي صاحبي يا أخي * ووجد عصه الدهـر انيته
أعلل بالوصل عرس الاخاء * اذا كنت مما كنت ربيته
له الصفو منها سوى بلدي * وبقى اذا زارني بيته

(آخر) أميل مع الصديق على ابن أمي * وآخذ للصديق من الشقيق
فان أبصرتني حرا مطاعا * فانك واجدي عند الصديق

(وقالوا) ان لم تكن معاونتك أخاك بنفسك فلا تكثر من معاونتك اياه بحسن الرجاء (وقالوا) اجعل ... أخيك له مستورة ومساويه الى الزمان مستورة (وقالوا) من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا (وقالوا) ليس من الحب أن تحب ما يبغض حبيبك (السري الرفاء)

وليس يكون المرء سلم صديقه * اذا لم يكن حرب العدو المخالف

(آخر) صديق عدوي داخل في عداوتي * واني لمن ود الصديق ودود
(آخر) تود عدوي ثم تزعم أنني * صديقك ان الرأي عنك لعازب

(آخر من أبيات)

اذا ما صديقك من تعادي * فقد عاداك وانقطع الكلام

(وقالوا) يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة (وقالوا) اذا صح الود سقطت شروط الادب (ويقال) اذا صح الاخاء ذهبت الانفة * وقال المأمون أحب الاخوان الي من يكفيني مؤنة التحفظ

وما يجب عليه من حسن الصنيع من ترك العتاب واجتناب التقريع

(قال) عيسى عليه الصلاة والسلام الصبر على أخ تعتبه خير من أخ تستجده ... (وقيل) من عاتب في كل ذنب أخاه فخليق أن يمله ويقلاه (وقالوا) ... وحسبك المودة ... من الاساءة * شاعر

زر أخاك بحسن وصلك فضله * واذكر لماذا أتى من الحسنات
وتجاف عن عثراته وأناته * من ذا الذي يخلو من العثرات

ومن لي بهذا ليت اني وجدته * فقاسمته مالي من الحسنات

(وقالوا) خير الاخوان من نسي ذنبك ولم يقرعك به ونسي معروفه عندك فلم يمن به عليك (وقال أعرابي) اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه (وقال آخر) اصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة عدها وان عثر على سيئة سدها لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه (أبو نصر الميكالي)

أخوك من ان كنت في * نعمى وبؤسى عادلك *
وان بدا لك نقمة * بالبر منه عادلك *

(آخر) خير اخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أينا
الذي ان حضرت زانك في الحي وان غبت كان أذنا وعينا

(آخر) لعمرك ما زان الفتى في أموره * ولا شانه الا طباع الخلائق
ولا صاحب الاقوام في كل حالة * كحر كريم أو خليل موافق
يواسيك في البلوى ويمنحك الهوى * ويمنحك ودا خالصا غير ماذق
يكون اذا نابتك يوما ملمة * سنانا لدى الهيجاء في كل مأزق

(آخر) ان أخا الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقيل) لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك قال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي ويبسط عند نقصه أملي (وقال الثعالبي) صديقك من يرعى حبالك ويستر خلالك (وقال) الحجاج لابن القرية ما الكرم قال صدق الاخاء في الشدة والرخاء (وقال) صديقك من أعانك في أطوارك ولم يتغير في وقت أوطارك (أبو تمام حبيب)

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

(وقال) الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسئلة ومخرج العذر قبل العتب (وقال رجل) لمطيع بن اياس جئتك خاطبا لمودتك قال قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة الناس (وقالوا) الستر لما عاينت أحسن من اذاعة ما ظننت (شاعر)

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * حليما ظريفا ماجدا فطنا حرا

(بشار بن برد)

إذا كنت في كل الأمور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

(آخر)

أرض من المرء في مودته * بما يؤدي إليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * تصح منهم له سرائره
يوشك ألا يتم وصل أخ * في كل زلاته تنافره

(ابن الرومي)

هم الناس في الدنيا فلا بد من قذى * يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي الـ * ـمهذب في الدنيا ولست المهذبا

(العباس بن الأحنف)

إن بعض العتاب يدعو إلى العتـ * ـب ويؤذي به الحبيب الحبيبا
وإذا ما القلوب لم تضمر الود * فلن يعطف العتاب القلوبا

(وقالوا) الاستقصاء أول الزهد وآخر الود (ومن أمثالهم) رب حظوة صغيرة عادت هفوة كبيرة وقال الشاعر

هذي مخايل برق خلفه مطر * جود وورى زناد خلفه لهب
وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(نصر بن سيار)

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى * وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام

(عبد الله بن طاهر)

إذا ما صديق صرني سوء فعله * ولم يك عما ساءني بمفيق
صبرت على أشياء منه تريبني * مخافة أن أبقى بغير صديق

(وبعده قول الآخر)

وكنت إذا الصديق أراد غيظي * وأشرقني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

(ومنهم من استحسن عتاب الأصحاب وربما كان حضا على اكتساب الحباب)

(قالوا) معاتبة الأخ الصديق خير من فقده ولعلها تكون سببا إلى سلامته وزيادته (وقالوا) ترك المعاتبة من علامات الإهمال والتواطئ على مهيات الأعمال (وقالوا)

(وقالوا) العفو الذي يدوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات وخلص من تذكار الفرطات (وقالوا) ليس من العدل سرعة العذل * ويقال العتاب داعية الاجتناب (وقالوا) عتاب الأحباب داعية الهجر والسباب (وقالوا) العتاب آكد دواعي القطيعة بين الأحباب * شاعر

لولا كراهية السباب وأنني * أخشى القطيعة إن ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم * ما لو عرض على العظم لذابا

(آخر) تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من خطأ الصواب
ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

(أحمد بن يوسف)

وكم قد قلتمو قولا لبينا * له لولا مهابتكم جواب
تركت عتابكم وعفوت أني * رأيت الهجر مبدؤه العتاب

(آخر) إذا اعتذر الصديق إليك يوما * من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فإن العفو شيمة كل حر

(آخر) لا تجفون أخا وإن أبصرته * للشيء جانيا ولست مجافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا * والماء يكدر ثم يرجع صافيا

(آخر) أخلص الود لمن آخيته * واغفر العثرة منه إن عثر
وإذا رابك الفعل فلا * تلبسن من أجله جلد النمر
عد بحلم مثل يطوي جهله * إنما الجهل كنار تستعر

(آخر) إذا أنت عاتبت الملول فإنما * تخط على صحف من الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ولم يكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

(آخر) وكم من قائل قد قال دعه * فلم يك وده لك بالسليم
فقلت إذا جزيت العذر عذرا * فما فضل الكريم على اللئيم
وأين الإلف يعطفني عليه * وأين رعاية الحق القديم

(ويقال) إذا انبسطت المكاتبة انقبضت المعاتبة (وقال) أبو بكر الخوارزمي أخرق من لا يحمل أقذاءه ولا يشرب على الكدر ماؤه وإنما العشرة بتمامه الجماعة لا تسع الاستقصاء والكشف لا يحتمل الحساب والصرف (محمود الوراق)

إن التجني قاطع الود * والعتب يجرح كامن الحقد
فاصفح أخاك على جريرته * وارع الذي قد كان من عهد

(آخر) ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

فمن لي أشكو هذا التواني * في جمع الاخوان أم لي وحدي
أم ترى ما أحط منه عند غيري * وأنا أن أعتدك عندي
فلهذي أنت مثل جفاني * وشغال أني أرجع لك بعدي

﴿وينبغي﴾ للفطن اللبيب أن لا يوغل في عتاب الحبيب فانه والواقع كلام بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالحبة بالمصوبة في الشمس تعال فريد طلبها ويفرط في الامالة فيفسده (وقالوا) الجواد اذا ضرب في غير وقته كبا والحسام اذا استكره نبا (ولهذا) قال بعض الاعراب أذل الناس عقلا من أفرط في اكتساب الاخوان وأقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم (وقال) قارب الاخوان فان المقاربة أقرب الاسباب ولا تعتب عليهم فان العتب أقطع الاسباب للاسباب (ويقال) بدوام العتب على الاصحاب تتغير حسنات الخواطر والالباب واجمل الصاحب في مصاحبته أحسن قول القائل

صاف الصديق وأصفه مقة لها * واحفظ مودته بالصلاة يخفيها
أو بقول الآخر وهو الذي عن حسن أخلاقه وكرم أعراقه

مثلي من يعد له أي عيب يتبع * لا يعدون عتاب المرء للخير
ان كنت لا تصطفي من ترى أحدا * فاطلب لنفسك اخوانا على قدر

(وقالوا) كثرة العتاب تنفي مودات الصحاب وتبدي كوامن العداوات (شاعر)

كثر العتاب فعلت ان عادتها * كان العتاب أوله لها سهلا كا
وعرفت أن تنسى المودة بيننا * فوقوفه فتركت ذلك لما كا

(وما أظرف من قال)

وأي كلام الحياة اناؤه * ألون ألوانا على خطوبها
اذا عتبتها حلة وتكرمها * دعني العتاب لا أذمها

(وكتب) يزيد بن معاوية لابيه المرء زياد دليل العتاب تركه أولى الاخوان وكثرته يقطع وصائل الانساب

لا تكثرن في كل حادثة * عتابا لصديق فانه يهجو
هب مشربا يصفو وتكدره * أرى المشارب كلها تصفو

(آخر) لا تؤيسنك من مودة خلة * يد والهوى وهو الحياد الخضرم
فاذا أسأت فاستقبه ودأبه * حتى يعود له الطباع الاكرم

(آخر) وأرى الصديق اذا استشاط عتابا * فالعتب يجرح كامن الاحقاد
ولو ان كان العتب طبعا * لتناول الآباء والاجداد

(آخر) كاف الخليل على الجميل بمثله * فاذا أساء فتكاده بمتابه

شر الاصحاب من لم يضيع فيه العتاب (وقال) علي رضي الله تعالى عنه عتب أخاك بالاحسان اليه واردد شره بالافضال عليه (وقال) علي بن عبيدة الريحاني العتاب حدائق الاحباب وثمار الود ودليل الظفر وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق (وقالوا) العتاب يداوي القلوب ويترجم عن ضمائر الغيوب وما أحسن قول من قال

تواصف عاشقان على ارتقاب ❊ أرادا الوصل من بعد اجتناب
فلا هجر إذا عتاب فيه ❊ ولا هجر أذل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر ❊ ولا شيء ألذ من العتاب

(آخر)

أعاتب من أهواه في كل حالة ❊ لتجتنب الأمر الذي معه الذنب
فاني أرى الأديب عند خدوثه ❊ مزيلاً للعتب الذي قبله الذنب

❊ومن مستحسنات المعاتبات قول القائل❊

لا غرو إن كان من دوني يسركم ❊ وأنني عندكم بالويل والحرب
يدنو الأراك فيجني وهو ملتثم ❊ ثغر المهاة ويلقى العود في اللهب

(ولبعضهم)

سأنسيك بعدي إن نسيت مودتي ❊ كأنك لم تخطر ببالي ولا وهمي
وأكتمك إذ لم تسمع حفظ مودتي ❊ فمرآي منكم عندي وتبرأ من دمي
وأنساك نسيان القرون التي مضت ❊ عليها الليالي من جديس ومن طسم
فإن قيل لي أين الذي كان بيننا ❊ رددت عليه أنه كان في الحلم

(جرير)

فان تك قد ملت الاثنين ❊ فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا ❊ وتبلو الناس والاخوان بعدي
فلا والله لا أنساك حتى ❊ أوسد مضجعي وأزور لحدي

(ابن الرومي)

اتخذتكم درعاً منيعاً لتدفعوا ❊ نبال العدا عني فكنتم نصالها
إذا كنتم لا تدفعون ملمة ❊ عن النفس كونوا لا عليها ولا لها

(ابراهيم بن العباس رحمه الله تعالى)

وكنت أخي بإخاء الزمان ❊ فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أعدك للنائبات ❊ فها أنا أطلب منك الأمانا
وكنت أذم إليك الزمان ❊ فها أنا أطلب منك الزمانا

(وقال بعض الأمويين يعاتب عيسى بن موسى)

إن تكلمت لم يكن لكلامي ❊ موقع والسكوت ليس عندي
وأراني إذا تأملت أمري ❊ ناقص الحظ في دنوي وبعدي

فمن ذا يملك أفعاله * ومن تولى فإلى النار

﴿ملح من مدح الأخلاء الأصفياء وصفات مودات الأصدقاء الأولياء﴾

(مدح) الصاحب بن عباد صديقاً له فقال تصفحت أوطار القلوب فلم أجد أحداً أحسن من قربه وتأملت أشخاص الخطوب فلم أرع بأقطع من بعده فمحاسنه أنوار لم تحجب بسجوف ومناقبه شموس لم تمن بكسوف وألفاظه كرقى بالسحاب وريا به دل بأفنان الصبا وجمانه (ومدح) اعرابي صديقاً له فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة هو كالمسك إن بعته نفق وإن تركته عبق (شاعر يصف أخاه)

أخ وأب وابن وأم شفيقة * تفرق في الأحباب ما هو جامعه
سلوت به عن كل من كان قبله * وأذهلني عن كل ما هو تابعه

(آخر) ولي صاحب أصفيه ودي وإنه * لمصطفى في وده ومزيد
أمنت صروف الدهر بي وبينه * إذا دب بين الصاحبين حسود

(وصف) المأمون ثمامة بن أشرس فقال إنه كان يتصرف في القلوب تصرف السحاب مع الجنوب (شاعر) ولقد أحسن في وصفه لصديقه

خل بلغت برأيه شرف العلا * وأخ غنيت به عن الإخوان
ومتى طلبت بكفه طالب حاجة * كفلت يداه بدقتي وصفائي

(آخر) موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

(ومن كلام الثعالبي) يصف صديقاً له فلان كريم ملء لباسه موفق ملء أنفاسه ذو خلق كعلو الجد وهدى كخد الورد عشرته ألطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال وألصق بالقلب من علائق الحب

فتى وقد السيف ماء عوده * ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله
إذا جد عند الجد أرضاك جده * وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

(آخر) أخ لي لم تلده أبي وأمي * يراه الدهر ذخري ومال عدمي
يشاطرني سروري في ابتهاجي * ويأخذ عند همي شطر همي
يصرفني عمومي حين يبدو * مخافة كاشح لهج بذمي
ويصفي الود منه أهل ودي * ويحسم من معادي وظلمي
ويحمد حكمه في كل حالي * كما في حاله يرضى بحكمي
ولو أخفى من المحذور بعدي * إذا ألفيته بدني ولحمي

(آخر) لي صديق إذا أتاني صديق * هو للدهر كان خير صديق
حقه واجب علي مقيم * لا أؤدي وقد قضى لي حقوقي

وإذا عتبت على امرئ آخيته * فتوق طائر عتبه وسنانه
وأبن بجانبك ما استطعت مودة * وأجب دعاءه إذا دعا سبحانه

ومن ذوي الأنفة من أطاع أمر عقله فكان المستكاف للهوى على مثله

يقول الشاعر إذا ما الصديق عليك كبرا * فتفكر على ذلك الصديق
وإن سالك الغرام به طريقا * فخذ طريقا سوى ذلك الطريق
فإيجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(آخر) وإذا الصديق رأى بجانب بعده * وبأنك مزن عمامة المدوق
وازور عند لقائه وثنائه * وبشره ونحى ولم تتخلق
فاعدده في الموتى ولا تعزى له * وأرني به العرض المعد وحلق
ان طمع للمارمنه شفاعة * يوم القيامة ساعط الاحمق

(الكميت) ولست إذا ولى الصديق بوده * بمكتئب أبكي عليه وأندب
ولكنه إن دام دمت وإن يكن * له مذهب عنى فلي عنه مذهب
ألا إن خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(أبو العتاهية) ما أنا إلا لمن بغاني * أرى حلالي كما يراني
لست أرى ما ملكت طرا * مكان من لا يرى مكاني
من ذا الذي يرتضي الأداني * إن لم ينل خيره الأداني

(آخر) ومن شيمتي أني إذا المرء ماني * وأظهر إعراضا ومال إلى الغدر
أطلب له دنيا بحسب عتابه * وتاركه في حسن مس وفي سر
فإن عاد في ودي رجعت لوده * وإن لم يعد ألغيت ذلك إلى الحشر

(محمد بن حازم)

عبادي به الهجران وابه حسن العذرا * وأتى عيبا لا يكلمني الدهرا
فوالله ما استحسنت بعد هوده * صدوده ولا أرهقت دار له عسرا
* فإن عاد في ودي رجعت لوده * وإلا فإني لا أجيب له أصرا
وإن مال عني جانبا بعودده * سلمت عنه واستغفرت له صبرا
أعدل أيدي العداوة مثلها * وأجري على الإحسان واحدة عشرا

(...) أشكو إلى الله تعالى امرئ * ما كان بالجافي ولا بالملول
كان وصولا دائما عهده * خير الأخلاء الودود الوصول
ثم ثناه الدهر عن رأيه * فمال والدهر بقوم يحول
فإن يعد أشكو له وده * وإن يطل هجرا فإني حمول

(آخر) في سعة الأرض وفي أهلها * مستبدل بالخل والجار

يستخفك ويستثقلك ويتسلط عليك الا كابر الصحابة واني أوصيك بخمس خلال لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجربن عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا تطلعنه منك على خيانة (وقالوا) من دخل على السلطان فليسلم عليه بخفض الصوت بالسلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام (ومن أدبه) أن تكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد (حكي) أن زيادا لام على استشارة حارثة بن بدر فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصك ركابه ركابي ولا تقدمني فسارت الى قفاه ولا تأخر عني فلو يت عنقي اليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء ولا الروح في صيف ولا سألته عن شيء من العلوم الا ظننت أنه لا يحسن غيره (وقالوا) لا يقدر على صحبة الملوك الا من لا يستثقل ما حملوه ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يبطر اذا أكرموه ولا يلحف اذا سألهم (وقالوا) اصحب الملوك بالهيبة والصديق بالتواضع والعدو بالحذر والعامة بحسن الخلق (وقالوا) من استخف بالاخوان أفسد مروءته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف بالملوك أفسد دنياه (وقال) عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن ابن وهب الجمحي مؤدب ولده بعد أن اصطفاه وأراد وقوفه على سيرته يا عبد الرحمن اني قد ملكتك حبلي في يدك كتبت اليك بهذا وقد عرفته فلا تحوجني الى ما احرج منه لم يعرف رجل ما يدخل فيه لا تطرين في وجهي فانا أعلم بنفسي منك ولا تساعدني على شيء أقبح ولا تحملني على الغضب فان مرآة الحياء عندي قد تنقص عندي ذلك بالله اذا حدثتك وكن على الناس احفظ بالسكوت أحرص منك على التماس بالكلام فقد قيل اذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تزدني على حمل وكن بما ربما استطعمك واعلم ان الاستماع أحسن من القول واذا حدثتك حديثا فلا يفوتك منه شيء فان الفهم من القائل وضع له وأرني فهمك في طرفك فرب طرف انطق من لسان

(فصل) في الرئيس في معاشرة الجليس الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أدبه قال أنس بن مالك ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه بين يدي جليس قط ولا مد يده الى أحد فأزالها عنه حتى يكون الرجل هو الذي يدعوه ولا صافحه أحد قط فنزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده ولا رآه لم يقم أحد فأقعده حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف وكان يكرم من يدخل اليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف من صلاته وسأله عن حاجته (وقال) سعيد بن العاص رضي الله عنه لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له

صادق الود والإخاء وما كل صديق في وده بصدوق
فهو كالماء في اللطافة والإشفاق كالوالد الشفيق الرفيق
والشقيق الوصول والإلف كأ ✽ ن بعد ابتدائه فوق الشفيق
فجرى في مفاصل الجسم ✽ حيث لا يهتدي مجاري العروق
مثبت نفسه على صدق ما أصبح دون الأحوال وهو صديق
وهو باق إن جار دهر وإن عق زمان فإنه نعم صدوق

✽ الفصل الثاني من الباب الخامس عشر ✽
✽ فيما يأخذ به أهل الخدمة من شرائع العوائد المستحسنة ✽

(اعلم) أن أول ما ينبغي أن يبدأ به ما يجب من الأدب على الجليس في مصاحبة الرئيس ✽ فمن واجب أدبه أن لا يدخل على الرئيس أحد رجلين إما مختص به أو مستدعى عنه فإن كان أحدهما فينبغي له إذا أذن له في الدخول إليه أن يقف حيث يراه وأن يبدأ بالسلام إذا دخل عليه ويطرق بين يديه إلا إن أشار إليه فإن أمره بالقعود قعد وإن أذن له في الجلوس فليجلس حيث انتهى به المجلس حتى يدنيه إن أراد إكرامه فإن في ذلك نفيا للقدرة وإثباتا للحسنى بذكره (قال) الأحنف بن قيس لأن أدعى من بعد أحب إلي من أن أقصى من قرب وإن كان مخصوصا به من جليس إلى جانبه ويخفي النفس من سره ما يكتمه عن غيره فينبغي له وقت جلوسه أن يكون بينه وبين الرئيس فرجة لاحتمال أن يجيء من يجب عليه إكرامه ورفع منزلته فيجلس في تلك الفرجة (ومن) أدب الرئيس قلة الخلاف والمقابلة بالإنصاف وترك الجواب على ما يدق من الخطاب وستر العيب وحفظ الغيب وأن يحسن الحديث إذا حدث ويحسن الاستماع إذا حدث وليكن حرما لمجلسه إذا غاب كرما إذا حضر (وقالوا) إذا كلمك رئيسك فاصغ إليه بسمعك وأقبل عليه بوجهك ووكل به خاطرك وأشغل بحديثه خاطرك واسمعه سماع مستبشر به مطرق له وإن أحكمته علما وأتقنته فهما وأن لا تفرط في الدلالة عليه فربما أوقعك الإفراط في الانتقاص إليه (وفي) كلام بعض الحكماء الإسماع بالفن فإذا رأيت غيرك من تحدثه قد أقبل على غيرك فاصرف حديثك إلى غيره (شاعر في المعنى)

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ✽ وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

(وما أحسن قول من قال)

إذا ما شئت أدبك فاعلم ✽ بأن علمك عين الإسعاد
فكن غض الجوارح ذا احتفاظ ✽ فعين الإسعاد بالإرشاد

(وقال العباس) لولده عبد الله إن هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بدراً فاضاء الحرم بالحر أحرى (وكتب) . . . فضله أسد راثه وقد طلعت الكواكب بسطر بدرها فرأيتك في الطلوع قبل غروبها (شاعر)

ولما رأيناه بلا شبه السدى * أتقا وبينا أنه من الورى لما
أحذ لما طاب المكان وحسنه * منى فتباهت الامانيا

(آخر) * لو يعصاب باشى الما * لمر رباقوه العـــين عما

(وكتب) آخر يومنا أمرك الله زيق الحواشى ايتالا واحى دوماه قد رعدت وبرقت وانت موضع السرور ونظام العيش والحبور فأقبل الماتم ولا ابما حرعما ـ سلم وادلك بطاعتنا سعد و كالغنا الاترشد (كتب) بعضهم الى صديق له ـ سترزيره

يا ابن اتمها والابلا يصبر عن الفه * أكثر من يوم ويومين
وقد صبرنا عنكم جمعة * ماهكذا فعل المحبين

(وكتب) جعفر بن عثمان الى أبي أيوب الهاشمي يستدعيه

أيا ابن الذي يابديع الورى * ومن حل من هاشم في الذرى
ويا فداك من ودك في المحب * اذا انقض الود واهي العرى
وصالك يعدل صدق الرجاه * وصفو المدام وطيب الكرى
وقد نابت النفس من وامق * الى أن تراك وما اشترى

(آخر) جعلت فداك في رأسي خمار * وليس دواءه الا العقار
وعندي من تحب فدتك نفسي * وأقداح وأكواب تدار
فبادر غير مأمور سريعا * فان سالمورد لك انتظار

(ومن) اطرف الاستدعاءات ما كتب به الرشيد هرون الى جعفر بن يحيى

سل بن الصارم ان حي تعده * رأسه لا قدوما من الهجران
لصبوح المدام سهلا و رشئي الـــ * ـحمر من الاصوات والعيدان
فاستطع ولا ـــتعدا * لـ ـلاث رقيب من ذا ان

فقام اليه وقام بين يديه وقبله وكتب اليه

ان يوما كنت فيـــه الى غيـــدك يوم يسود كل زمان
يوم طـــوكا به طلعة الـــكا * س اذا فاتـــحه والقيان
فاصطبح واغتبق دا أولك نفسى * من جميع الآلام والحدثان

(آخر)

عندنا هـ ذي صبوح * وقد بين عسـ ـدارع
وطيب ـــ لي مليح * واقل في الكاس والع
وغـــزال من بني الاســـلم ـيكى الـبدر بارع
مالك عندك عيب * غير أن ليس بالنع

وإذا حدثت أقبلت عليه (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث تثبت لك المحبة
في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه
(وقال) يحيى بن خالد لولده جعفر يا بني إذا حدثك جليسك فأقبل عليه واصغ إليه
ولا تقل قد سمعناه وإن كنت أحفظ له منه حتى كأنك لم تسمعه إلا منه فإن ذلك مما
يكسبه المحبة والميل إليك ولا تستخدمه إذا جلس إلى مؤانستك فقد حكي أن
هشام بن عبد الملك كان نائماً فقام إليه سعيد بن الوليد المعروف بالأبرش ليسوي
عمامته فقال له إنا لا نتخذ الإخوان خولا (وقام) عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج
لجلسائه فقال أحدهم ألا أمرتني يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك إصلاحه فقال
ليس من المروءة أن يستخدم المرء جليسه قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

ومما ينبغي على الصديق الآلف زيارة صديقه من غير انقطاع ولا تكلف

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاً ناداه منادٍ أن طبت
وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً * وأحسن ما قيل امش ميلاً وعد أخاً وامش
ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثاً وزر أخاً في الله (وقالوا) المودة شجرة ثمرها
الزيارة (وقالوا) المحبة شجرة ثمرتها المودة وأصلها الزيارة (شاعر)

رأيت أخا الدنيا وإن كان آمناً * على سفر يسعى به وهو لا يدري
تثاقلت الأعمار بدأ استعدها * ورودي ودي وأشد به أزري

وعلى الزائر في الزيارة الإغباب فإنه يؤمن من محاق الأحباب

قال عليه الصلاة والسلام زر غباً تزدد حباً (وقالوا) ربما كان القلى في كثرة التلاقي
وما أحسن قول عبد الله بن علون العمري

عليك بإغباب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائماً * ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

(وقالوا) قلة الزيارة أمان من الملالة (وقالوا) كثرة التعاهد سبب التباعد (شاعر)

زر قليلاً لمن يودك غباً * فدوام الوصال داعي الملال

(اعتذار من لم يزر) أظرف ما كتب في ذلك قول علي بن الجهم

أبلغ أخانا تولى الله صحبته * أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وإن طرفي موصول برؤيته * وإن تباعد عن مثواي مثواه
الله يعلم أني لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه

مكاتبات في استدعاء الزيارة

(كتب) بعضهم إلى صديق له طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عهد التلاقي
وقد جعلك الله للسرور نظاماً وللأنس تماماً فاطلع في فلك عيني شمساً وفي سماء فلي

حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها (وحكي) أن المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس يعوده نصف النهار فقال له المسور يا ابن عباس ان أحب الساعات الي ساعة أؤدي فيها حق الصديق (ودخل بعضهم) على محمود الوراق يعوده فأنشده

كان شكي الى الناس علتي وردها * فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى * لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

(وكتب) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الى الحسن بن وهب يتوجع له من حمى أصابته

يا حليف الندى ويا توأم الجو * د ويا خير من حبوت القريضا
ليت حماك بي وكان لك الأجـ * ـر فلا تشتكي وكنت المريضا

(وكتب) أبو الفضل بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمد اعتراه

فداك أجل من عينيك للرمد * فاسلم وقيت الردى في آخر الأبد
من حسن عينيك بدرا وصحته * فلا رأى الخير في مال ولا ولد

(وكتب) أبو الطيب الطبري في عيادة المريض الصحيح تخفيف السلام وتقليل الكلام وقلة الالمام (وقال) جلسة العيادة خلسة (وقالوا) التعريض في العيادة فانه كما قال عمرو بن العلاء وقد عاد صديقا في مرض ألم به فأطال الجلوس عنده فقال له ما خطبك قال أريد أن أسامرك قال أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعني أنام والله أسأل أن يسوق لأهل العافية الشكر والى أهل البلاء الصبر (ومن آدابه) الاغباب فانه جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أغبوا في زيارة المريض وأربعوا الا أن يكون مغلوبا (وحكي) ان بعضهم قال دخلت على الفضل أعوده فأطلت وألححت في السؤال فقال لي أدبا قد درست فأنشدني

حق العيادة يوم بعد يومين * ولحظة مثل لحظ العين بالعين
لا تبرمن مريضا في مسائله * يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

(آخر)

أدب العيادة أن تكون مسلما * وتكون في أمر السلام مودعا
فاذا نظرت الى العليل فلا تكن * متجسسا في الحال أو متوجعا
بل كن اذا أبدى الخبير شكاية * منه وعند الخوف منه مشجعا
واسمح بأن تسعى اليه منها * أو أن تذكره لبيت مصرعا
واذا وجدت عليه اشفاقاتهم * من غير أن ترأى بذلك شرعا
وتوق شر العائدين فربهم * من كان منهم موجعا ومروعا

(دخل) علي بن ابراهيم العلوي المعروف بالأعرج على علي بن عيسى عائدا فأنشده

كم لوعة للندى عليك وكم * من قلق للجود من قلقك

والزلال العذب مع بشدك ملح غير سائغ
فاحتشم واركب الصلاح واحضر لا تراوغ

(وكتب بعض المجان) سيدنا وهو ربك * ليس للسيد شريك
وبيدك رطل * وغلام يستبدلك
فمتى ما لو تفتدى * ثم تشرب وتمسك

(وما أحسن) قول ابن عباد يستدعي ندماءه من الزهراء الى قصره بقرطبة
حسبنا القصر كم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساؤا
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

(ولآخر) وماذا عليكم لو منتم بزورة * فأوجدتم فيها علينا التفضلا
فإن لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا * فكونوا أناسا يحسنون التفضلا

(اعتذار من لم يزر) أبو اسحق الصابي
عراني عنك يا مولا * ي عذر أي عذر
هبوب الريح مع ماء * عظيم زاخر يجري
فلم أقدم على الماء * ولم أصبر على الجسر
ولم أسمح الى الآن * على ما فات من عمري
بريح جئت ريحا * وبحر جئت عن بحر

وهو مأخوذ من قول الحسين بن وهب وقد اعتذر عن تأخره عن زيارة محمد بن عبد الملك الزيات لمطر عاقه عن زيارته
أوجب العذر في تراخي اللقاء * ما توالى من هذه الأنواء
لست أدري ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالثكل * وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الإله أهديه مني * كل يوم لسيد الوزراء

(كتب) بعض ظرفاء الحسين الى صديق له يستدعيه لزيارته فلم يجبه بالأدب
كتبت اليك من شوقي بدمعي * وحرقة وجد وصلك الحسن الجميل
أقض مضجعي وأطال ليلي * وأضحكت العواذل من عذولي
(فكان جوابه لما قرأه)
لقد أنشأت في عتب طويل * وقد أكثرت من قال وقيل
فأما إذ كتبت فقد عرفنا * وليس الى الزيارة من سبيل

(ومن أحسن ما أوجبه الوداد وافترض عيادة الإخوان في حال المرض)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في حديقة الجنة

ولئن شكرت أخي جميل ثنائه * ادعى أو علت أو أحسن عللا
وودت أني مالك لسلامتي * فأعير مالك شكره وأسيلا
هذا أخ لك شتكي ما تشتكي * وكذا الحساد إذا أحب خليلا

(أنشدني) الشيخ الامام الفقيه المفيد أمين الدين محمد بن علي المحلي النحوي لنفسه يعتذر من تركه الهدية لبعض الرؤساء

ان جئت قلت بما لك الشرع بها * وان اعطيت فأوثر التخفيفا
فوحق من ملك فؤادي * عوضت أكره ان أرى تضعيفا

(ومما يورد من الهدية أعذب الموارد هدية يسعطف بها القلوب الشاردة)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء (وقال) عليه الصلاة والسلام تهادوا فان الهدية تذهب وغر الصدور (وكان) صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها * وقال لو أهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت * وقالت عائشة رضي الله عنها اللطفة عطفة تزرع في القلوب المحبة والالفة (وفي الأثر) الهدية تجلب الى القلب السمع والبصر (شاعر)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا * وة بعد نفرته حبيبا

(ومن أمثالهم) اذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا (وقال الجاحظ) ما استعطف السلطان ولا استرضي الغضبان ولا استميلت القلوب ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا (وقالوا) في شكر الهدايا على الهدايا (وقال) بعضهم ان الابريق ... الهدية رسول ... ويدل على القلوب من غير استئذان * وهدية المرء تدل على عقله (وقد) رأى رجل لأهدى الى ... فقال ... الرجل في ... الا ... (الشاعر) شربها خطيرا كما فعل أبو العتاهية فانه أهدى الى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها

نعل بعثت بها لتلبسها * قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يحسن أن أشركها * خدي جعلت شراكها خدي

(وأهدى) الاخطل الاهوازي الى ابن ... في يوم نوروز ... درهم وكتب معه

قل لابن ... * لازلت كالوكر ...
وافاك ... * في عرس ... درهم

ألبسك الله ثوب عافية * في نومك المعتري وفي أرقك
يخرج من جسمك السقام كما * نزعت حمل الملام من عنقك

(آخر) تلقت السلامة من مريض * نوب كل نائبة تنوب
فإنك ما عللت بل المعالي * وإنك ما مرضت بل القلوب

(آخر) ولما اشتكيت اشتكى كل ما * على الأرض واعتل شرق وغرب
لأنك قلب لجسم الزمان * وما صح جسم إذا اعتل قلب

(الناشي)

إذا ما صديق لي تأوه واشتكى * عدمت سروري ما اشتكى ورقادي
وحرمت شرب الراح ما دام شاكيا * ولم أستلذ من طارف وتلادي

﴿اعتذار من لم يعد﴾

إن كنت في ترك العيادة تاركا * حظي فإني في الدعاء لجاهد
ولربما ترك العيادة مشفق * وأتى على غل الضمير الحاسد

(ولآخر) كلفت مقلتي لشوقك السهاد * لم أذق مذ هجرت طعم الرقاد
يا أخي الحافظ الإخاء والنا * زل مني مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفتت من الأنين فؤادي

(ولآخر يعتذر بكونه لم يعلم)

دفع الله عنك نائبة الدهر * وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا * ك من العذر جائز أن أقولا
ولعمري أن لو علمت لما سهلت بعدا وكان ذاك قليلا
فاجعلن لي إلى العلائق بالعذر * سبيلا لا أعدمتك سبيلا
فقديما ما جاد بالود بالوصل * وما سامح الخليل الخليلا

(الشريف أبو يعلى بن الهبارية)

العذر يلحق عائدا ويلي * أني لأهل العذر مقاسم
لا زلت تغني الأنام عن الدواء * وعلته هيا أذى عنه ما يهم
فلئن تألم جسمه أو اشتكى * داء أصابه وقاسى ألم
وأنا أحق بأن أعاد وإنما * يدعى لحمده الصحيح السالم

(حكى) محمد بن داود الظاهري في كتاب الزهرة أن الرشيد لما بلغه أن الفضل ابن الربيع عليل كتب إليه يعتذر إليه بأشغاله عن العيادة
أعزز علي بأن تكون عليلا * أو أن تكون لك السقام نزيلا

يتبسّط بالقول وأدمن بات لفرط الحياء أدب في المجلس

(آخر) يا أيها المولى الذي * عمت أياديه الجميل
اقبل هدية من يرى * في حقك الدنيا قليل

(آخر) فلئن مالي لم أهدك الله شيء فتكن لهدايا وان
لا تقيسه الى ندى كفك الغمر ولا بالثنا الكثير الجميل
فاغفر ولا يخيب قبولي ان حسبا له عن قليل

﴿ومن﴾ طرائف الهدايا التي هي من أحسن ما طرق الأسماع وأبدع كرماً ما روي
أن يحيى بن خالد بن برمك بعث الى ولده وأهدى الى هذا والد ولدك كل منهم
بحسب حاله وقدره فبعث بعض العمال الفارسين بخطابين وملأ أحدهما
عطرا وملأ الآخر نقدا وكتب معهما رقعة فيها وإن الارادة لا تساعد
الهدايا ولو ساعدت القدرة على ذلك لهيأ لهدية السابقين الى خدمتك
والمستبقين في كرامتك لكن وجدت القدرة عن مساواة أهل النعمة
وقصرت في الحمد عن موالاة أهل الكرم ووجدت أن ساوى بهذا الرواني لحق
فهاك كرأس الهدية بعد كرأس الجواد ما انعقد وعاله وهو السعد
ان هاد المقدرة صابرا على ألم الفقر وما يجده من الانتظار على الدهر والقاسم
يدري في ذلك الشيء على الدهر ولا على المدح ولا على الا من لا حرج وبما يعفون
حرج والخادم صار عرف الأمر ان ما به وان عمد ومقصد به والاحسان الا به
بالاعراض عن جراءة والرأي أعلى ما يحمل دار من وقع الكرم بطهر والرقعة
من يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن يفرغ وملأ أحدهما دنانير والآخر دراهم (ومن
الحكايات المطروفة) ما حكي أن بعض العمال أهدى لسلطان هدية ثلاثة
هدايا وكان من جملتها من أهدى سلطان بخيل هدية من ذهب وجعلها لواء
ما شاء ومن أراد مكتوب عليها ماس حيث لا يروي الأخرى فاذا هي لواء
فضة فيرد وعليها ومن أرادنا مكتوب عليها أي أمر بالوجه الله تعالى به يمر الله على
الامانة من صدقت ووجه الأخرى واذا هي فارغة لا شيء فيها الارقعة مكتوب فيها
لو كان للمادي لا سبيل هدية لمن كان بادر أو ليدع أبدا شيئا أهدى الي
الأحطبه معا

﴿اعتذار من لم يهد شيئا﴾

يأتون بالهدايا كل يوم * الي السعادة من ملك الولاء
فاما ان يهدى من ماله لا * لموضع حرمة دائما والامام
رأيت كبر ما أهدى فلا * لنا شكوا لمن رب على الولاء

(آخر) ان أهدى شيء فهو ما كلها * وفيها أصون كرائم الشعر

(وقال بعضهم) من امتنع من اهداء القليل لقلة الهدية اليه انقطعت سبل البر بينه وبين اخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الاخاء (أبو العتاهية)

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في القلوب هوى ووداً * وتكسبهم اذا حضروا جمالا

(آخر) ما من صديق وان تمت صداقته * يوماً بأنجح في الحاجات من طبق
اذا تلثم بالمنديل منطلقاً * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
لا تكذبن فان الناس مذ خلقوا * لرغبة يكرمون الناس أو فرق

(وفي الهدية) اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كان أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع (أهدى) يعقوب الكندي الى بعض اخوانه سيفا وكتب معه الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدي اليك اذ جعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وتمضي في الامور مضاء المأثور وتصون عرضك بالارهاد كما تصان السيوف في الاغماد وبظهر دم الحياء في صفحتك كالمشرق يتخلله الرونق في صفحات السيوف وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون المشرفيات (واهدى) العتابي دواة ومرفعا وكتب معها قد بعثت مجلس مؤلانا بما يتداوى به عرض عفاته وروى بها اوسعدانه على من يرفع نؤدب بدوام رفعته وارتفاع الدوائب من ساحته (وأهدى أيضا) الى بعض الاصحاب دينا وكتب معه وقد بعثت اليك وسألت الله تعالى يبارك لك فيه ويحول الكسر معقودا بنواصيه والاقبال عن قوسه وتنال الامان في طلق شوطه ومع العدو من تحته شأوه وادراك المطالب بتحجيل قوائمه وسلامة الدوائر منتهى غايته والسلام

﴿من اهدى هدية حقيرة واعتذر عنها﴾

(كتب) بعضهم مع هدية حقيرة

قبول الهدية اكرومة * وحاشاك من أن ترد الكرم
فان الملوك على قدرها * لتقبل نشابة أو قلم

(ابن التعاويذي)

هدية المرء تنبي عن مروآته * وعن حقارة موليها او نشبته
وما يقل من الاهدى الهدايا * كانت حقيرة عن قدر رتبته
فاعذر مقصر من جئت هديته * وقابله منه على مقدار قدرته

(وكتب آخر مع هدية أهداها الملك)

بعثت هدية الوفد * بأياد من حاضر له مقتبس
هدية مثل خجل الاناء * من حمل كرك عنه من القبس

ومستخبر عن سر ليلى رددته ※ بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها ※ وما أنا إن خبرتهم بأمين

(روي) أن عليا رضي الله عنه قال لأبي الأسود الدؤلي أراد رجل خلافة فإذا قال يا أمير المؤمنين ألست كذلك قال بلى ولكن أردته لا يخرج مثل الدعوة فقال ولكن كتوما للسر فإن الرجل إذا أنس بالرجل ألقى إليه عجره وبجره (وقال الشاعر)

يصل الصديق إذا أراد وصالنا ※ ونعده يصدود عنا جانبا
لا يظهر عند القطيعة بيننا ※ بل حافظ من ذاك ما استرعانا

(آخر)

إن الكريم الذي تبقى مودته ※ ويحفظ السر إن صافى وإن صرما
ليس الكريم الذي إن غاب صاحبه ※ بث الذي كان من أسراره علما

(سالم اليشكري)

إذا ما عرفت السر يوما لصاحب ※ فلست مبديا ما حييت له ذكرا
ولست إذا ما حال عن عهد وده ※ وعادى له سره [illegible]

(وأنشد آخر وقال)

ولا أكتم الأسرار لكن أذيعها ※ ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي
فإن قليل العقل من بات ليلة ※ تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

※ومما يقرب من المعاني حق المجاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة※

(قال) الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قال ابن عباس الجار ذي القربى الجار الملاصق والجار الجنب الذي بينك وبينه ملاصقة والصاحب بالجنب الرفيق في السفر (وكان) يقال ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن الصبر على الأذى وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وأن [illegible] (وقال) جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له فله حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له فله حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الرحم وحق الجوار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر يا أبا ذر إذا طبخت اللحم فأكثر المرق وتعاهد جيرانك (وكان) يقال من قال من جاره حرم بركة داره (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ولا يؤذي جاره ولا يحسدن من يقصده (وكان) عبد الله بن أبي بكر ينفق على أربعين دارا من جيرانه من سائر جوانب داره الأربع في كل سنة أربعين ألف دينار وكان يبعث إليهم الأضاحي والكسوة في

أو أحمد مالا فهو واهبه * وأما الحقوق عليه فالشكر
أو أحمد شكرا فهو مرتهن * يحمل ثقلا آخر الدهر
(آخر) وأوفى المهرجان إلى الثنا * ربعه الحال وهي داء الكرام
فأقصرنا إلى الدعاء وفيه * عون صدق على قضاء الذمام
(آخر) هدبتي تقصر عن همتي * وهمتي تفضل عن مالي
فالبس الود وخص الولا * أنفس ما يهديه أمثالي

(ومن واجبات شيم الأحرار حفظ ما أودعوه من الأسرار)

وكتمان السر يجب على الإخوان أن يأخذوا به أنفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وكمال الطبيعة والعقل (حكي) أن رجلا أراد حيلة إنسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السر حتى كأنه * إذا استنطقته عن حديثك جاهله
وبدي أكرمها يدا أو دينه * ولا سائل أشغال وعاملها له

وقال سهل هذا بن أبي أن يباط غيرة القلوب ويطلع على خفايا السرائر والله در وهبان الهمداني لبكر بن عمرو من أبيات * وأسرر حل إلى صديقه حديثا فلما فرغ منه قال له حفظته قال بل نسيته (وقيل) لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك السر فقال أجعله غوصا من قلبي وبه همة من بعدي فيكون قبرا وهو قبره وقيل لأعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرده تحت شغاف قلبي ثم لا أحفظه وأنساه كأني لم أسمعه (وقالوا) قلوب العقلاء حصون الأسرار وقالوا صدور الأحرار قبور الأسرار (شاعر)

ولي سرائر في السر طويتها * نسي الحبيب بأنها في طيه

(وقيل) لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم الخبر وأحلف للمستخبر * وما أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسر فحاوره بيتين

لسر صديق من حشى منقل * فداه على المستنبط من طوله
إذا لحقت أذني به من لسانه * فأنسى علم الخلاص بنفسي

(وكتب إليه أيضا)

والسر من بين حشى ممكن * سوق قصى عن مدارج أنفاسي
أنسى به عرض حفيظه * فما عنه على أحساس عبري واهتدائي
كان من فرط احتفاظي أحفظه * فقد لواع وبقي له ناسي *
(آخر) لا تكتم السر إلا من له حسب * فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
(مجنون ليلى)

(وقيل) لبعضهم صف لنا الصديق قال أنت هو وهو أنت إلا أنكما شخصان بينكما
روح (وقيل) لأبي الطيب الشيباني صف لنا الأخوة وأوجز فقال أغصان شجرة أصلها في
القلوب فثمرها على قدر العقول (وقيل) لأفلاطون ما معنى الصديق قال هو أنت إلا أنه
غيرك (وقيل) لبعضهم ما الأصدقاء قال نفس واحدة وأجساد متفرقة (وقال)
ابن المقفع الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح * وقيل لأرسطوطاليس
وقد سئل عن الصديق ما هو فقال نفس مقسمة في جسمين نظمه بعض الشعراء فقال

نفسي أخي في الأمور مساعد * فلي وله جسمان والقلب واحد
إذا غاب عني لم أستطع له [illegible] * لأن فؤادي شطره [illegible]

(لآخر) يا من هو مني في الحشا * لئن [illegible] على [illegible]
روحه روحي وروحي روحه * إن يشأ شئت وإن شئت يشا

(ولقد تتبعت) ما قاله الناس في الاتحاد فما رأيت ولا سمعت أحسن من قول أبي
الحسين الحلاج في ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الأمثال في الناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا

(وله) جبلت روحك في روحي كما * يجبل العنبر بالمسك الفتق
فإذا مسك شيء مسني * فإذا أنت أنا لا نفترق

(وله) مزجت روحك في روحي كما * تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني * فإذا أنت أنا في كل حال

وهذا غاية ما انتهى إليه علمي وأدركه فهمي ونص الناس في حسن الاتحاد [illegible]
من الواصلين [illegible] (وقد) أحسن السيد الرضي في قوله
مخاطبا لبني عمه [illegible]

أنت [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

(ويقال) [illegible] (ويقال) إذا [illegible]
[illegible]
[illegible]

﴿الفصل الثالث من الباب الخامس عشر﴾
﴿في ذم البخل والحسد من الأثر والشعر﴾

في الإسعاد والمودة (وأعطى) أبو الجهم العدوي في داره بالثمن مائة ألف درهم فقال لهم بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص قالوا وهل رأيت جوارا يشترى قط قال والله لا أبيع دارا تجاور رجلا إن غبت عنه سأل عني وحفظني في أهلي وإن رآني رحب بي وقربني وإن أتيته قضى حاجتي وإن لم أسأل عنه عطف علي وبداني والله لو أعطيتموني ملء الأرض ذهبا ما بعته فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه بمائة ألف درهم (وقال) جعفر بن أبي طالب لابنه يا بني لا آمن أن أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فقال له أبوه إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وقال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الأذى ولكنه الصبر على الأذى (وقالوا) الإحسان إلى الجار يعمر الديار ويزيد في الأعمار (شاعر)

إني لأحسد جاركم بجواركم * طوبى لمن أضحى لدارك جارا
يا ليت جارك باعني من داره * شبرا فأعطيه بشبر دارا

(وقال) بعض حكماء العجم حسن الجوار يقرب من وعلى استخلاص المودة حريص
(مسكين الدارمي)

ناري ونار الجار واحدة * وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جارا لي أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتي خرجت * حتى يواري جسمها الستر

(آخر) أجود وأرعى حرمة الجار إنني * كريم نماني كل عرق مناسب
وأمنع جاري من الذم والأذى * وأركب من إكرامه كل مركب

* ومن النوادر المحكية في إكرام الجار * ما ذكر أن يهوديا عطارا بزبيد بين أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطر فمات بين أظهرهم فلو استحالهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه فأعلموه بأن اليهودي جاء وغسل وكفنه ودفنه ثم وأقام الناس حلقه وقال اللهم إن هذا الجار وله علينا ذمام فأدوه بذمامه وسار الملك ملك الجار أن يفعل به ما هو له أهل أو يفعل به ما أنت له أهل فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة (شاعر)

راع حقوق الجار في كل ما * حدده الله وأوصى به
وزره في الصحة مستبشرا * وعده في السقم وأوصابه
ولا تشــــاركه له حالة * تدعو كشفها القول أوصابه

* وهذه طرف يكون لما ذكرنا ختاما ولمعنى المقابل ولهذه الذكر نظاما *
* وفيما يلزم الأصدقاء من عوارض الأرواح امتزاج الصهباء بالماء القراح *

الصبر على احتمال ذلك (وقد) نظم أبو الحسن علي بن أبي الطيب الباخرزي
أبياتا من هذا المعنى [illegible] وقد ذكرناه [illegible] بطوله [illegible] ذكرناه في
هذا الموضع لأنه [illegible] من المعنى البديع واللفظ الرائق

وأ[illegible] عقاب [illegible] ❁ [illegible]
[illegible] للقطع [illegible] ❁ وأم [illegible] السمل من عل
[illegible] في المنام كأنه ❁ [illegible]
[illegible] في القرآن [illegible] ❁ [illegible]
[illegible] له [illegible] ❁ واردف أعجازا [illegible]
[illegible] ❁ ألم [illegible]

(ودخل رجل) على الصاحب بن عباد فأطال الكلام وأ[illegible]
الصاحب [illegible]

إن كنت تزعم أن [illegible] ❁ [illegible]
أو كنت تعلم أن [illegible] ❁ [illegible] والعارا

(وأنشد) [illegible] محمد بن المكرم [illegible] قال أبو [illegible] والله
[illegible] الا في [illegible] قال [illegible]
كالجمال [illegible] (وقال) [illegible] والله
ما [illegible] الأول ولا [illegible] الثاني فقال [illegible] وأنا [illegible]
[illegible] ❁ ألم [illegible]

[illegible] الله [illegible] ❁ أرى [illegible]
أولئك [illegible] في [illegible] ❁ [illegible]
(آخر) [illegible] ❁ [illegible]
[illegible] على الأرض [illegible] ❁ [illegible]
لو ان في الناس [illegible] ❁ [illegible]
(فقال) [illegible]

هل [illegible] ❁ [illegible]
[illegible]

[illegible] الكتاب [illegible] ❁ [illegible]
(وقال) [illegible]
[illegible] على [illegible] ❁ [illegible] السهاد
[illegible] في العيون [illegible] ❁ [illegible] معاد

(قال) الله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قالت عائشة رضي الله
الله عنها هذه الآية نزلت في الثقلاء (وكان) أبو هريرة رضي الله عنه اذا استثقل
رجلا يقول اللهم اغفر له وأرحنا منه * وكان الأعمش واسمه سليمان بن مهران اذا
رأى ثقيلا قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون (وروي) عنه أنه قال من
فاته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء (وقيل له) لم عمشت عيناك قال من نظري الى
الثقلاء فاني ما رأيت ثقيلا قط الا وأعمشت عيني * وكان يقول اذا كان عن يسارك
ثقيل في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك * وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا قال استراح
العميان من النظر (وقيل) لارسطوطاليس لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل
قال لأن الحمل تشترك الجوارح في حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله (شاعر)

ان الثقيل وان تخفف جهده * كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا

(وقال) بعض الملوك لطبيبه حين جس نبضه فقال مزاج معتدل الا اني أرى فيه
تكدرا فهل جالست اليوم ثقيلا قال نعم فقال هذا من ذاك (وقال) بختيشوع
للمأمون لا تجالس الثقلاء فانا نجد في الطب ان مجالسة الثقلاء حمى الروح (وقيل)
لهرمس ذكره الرازي أيما أمر الثقيل المرئي أو شرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم
فقال ليس مما يكسب الداء كاجتماع الثقلاء ان مجالسة الثقيل تذيب الاجسام
وتنحل الاجسام وتورث الاحزان وتؤلم الابدان وتهد الاركان وشرب الدواء يصلح
الاجسام ويحلل الاسقام ويسهل الاوهام ويدفع الاحزان وينشط الكسلان
ويقوي الامكان (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر اياك ومجالسة الثقيل فان
مجالسته تذبل الروح وتذهل العقل وتميت القلب (وقال الاصمعي) [illegible] وربما
قتل انتظار المائدة وبطء الخادم والسراج المظلم وبكاء الاطفال وخلاف
من تحب ورؤية الثقيل

(ومما أثار بطلعته كوامن الاحقاد فكشف عن مساوئه ستر الاعتقاد)

(عاد) الاعمش أبو حنيفة فقال له بعدما أبرم في جلوسه يا أبا محمد ما أثقل شيء من ثقلي
عليك قال جلوسك عندي قال ما تشتهي قال أشتهي أن لا أراك وحكي أنه قال
له يا أبا محمد لولا ما أخاف من التثقيل عليك لاتيتك في كل وقت فقال انك لتثقل
علي وانت في بيتك فكيف اذا جئتني (وقال رجل) لابي العيناء ان الله لم يأخذ
من عبد كريمتيه الا عوضه الله خيرا منهما فالذي عوضك قال أن لا أرى ثقيلا مثلك
(واستأذن) ثقيل الى آخر فتعلل بزيارته فقال ما رأيت احسن اذا [illegible] الا هذا
(صلى) امام بقوم فأطال فلما سلم لامه بعض من صلى خلفه من الظرفاء فقال انها
لكبيرة الا على الخاشعين فقال أنا رسول الخاشعين اليك بانك ثقيل فانهم لا يطيقون

(حسام الدين الحاري)

سلوى البا ن من من وهـذا البـــولـه الحسن من يجمع اسمه
فقسا لاهسا به لا معمه ا * لا ن فمسه سر لمن يرقبه
لم يكن بهواه نكاح ولكن * وحب فرحها ما حملته
ثم بالا الـــــرى ولدلى * رحا كلما طـــرت الـــه

(نادره) دخل اعرابي على ثلاثة يشربون والاقبال اعطهم
ايها الداخل الذي جاء يطوي * من لدا كنت سلى واهوى
(فقال الآتي) حسب عما تسأل والله سل امن يرمي دير كعب
(وقال الثالث) ومن الناس من يحسبونهم * كرجي الدرداء ثرووى فطلب
(فقال الاعرابي) لست بالبارح العشية والله لشتم ولا السد ضرب
اوة او بالكـــبروراعلمنا * ثم بعلوامن فوق ذلك بعصى

فاستطردوه وخاطوهم

﴿وما يكون لمن المأمول فيه بالذم من كان نعمة اعتبارا﴾

(سئل) جعفر الصادق رضي الله عنه هل يكون المؤمن بخيلا قال لا قال ولا يكون ثقيلا
(وذكر) ابو مروان انه لما اراد ان يبعث برولا هرمزا ولي عهده استشار اولادها في
ذلك وكل ذكر عنه الادب نحو به الملك فقال لانه لم يطلب الانه فقير وذلك مما
يذهب بهاء الملك فقال انوشروان صدقت انه لا يكاد يرى الا وكانوا حالسا على سرير
فلا يبعث عليه بذلك ومن قال انه ان روى والملك اذا كان ابن امة بعث ذلك بين
اعين الناس فقال انوشروان صدقت ان الاستيلاد الى الاباء ولا ينسبون
الى الامهات فلا صر مما قلت فقال الموبذان انه قصير وهو انه نقص الى الناس
فقال انوشروان عند ذلك شهدا هو العيب الذي لا حيلة ولا دفعه وان الا ى
لا ملك قصد له ان من كان قصير ولم يكن ذلك الحد لا من فلا حرمه (وقالوا)
فلان او حسن من يد متحول تابه و مل اطنابه وعارب شوا وعشر بنوما
(وقالوا) فلان اودى للدين من سبا داء الا من دا من * وقالوا فلان لا تفهمه
الناس بين الارض الام وذلك انها لا فى الام ولابد له فيها اثر ونقصها

نابه اراد في الـــــس على على دن
أنسحته فاح الـــــلاد في تحمه المردي

(وقالوا) فلان اسمن من زوال النعمى ووقت المنى والمدة الردى (وقالوا) سالمه
الاهاء ريد الهموم وانس الهموم وثقل الدلسه وانه داء الكرب ويكدح في
السياط ويطوي بساط الانبساط

يا ركوداً في يوم غيم وصيف ۞ يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فإنما أنت فينا ۞ واو عمرو وكالحديث المعاد

(الباخرزي يذم ثقيلا)

يا قوة الماس ويا صفعة الأول ۞ يا حيرة الملاق أعنة الحمل
۞ يا رجل الدهر ومرض الدول ۞

۞ومما استحسن من مقام الملالة الشاهدة بحاسنها أقوام العقلاء۞

(قال) بعض البلغاء حذرا من ثقالة الثقيل إذا رأيتك ثقيل فإنه من خلقك المصرم ومن طبعك الفدم ولا يوسعه برحمة ولا يحمل بدنو منا ولا تحمل الله يوحدك ولا يحل عليه بحلك وأوحشه عند استئناسه وتخم له من سلامه وأبعد مما بعدت وأدنه ومن قطعت فعلله راشدا عسلك ومحله ملالك فإنك إن أدنيته أملك وإن أدللته علك حتى يحسدك وكذلك ورادته بكذلك وكذلك (أبو بكر الخوارزمي) فلان أثقل من موت الحماق وكتاب الطلاق وفقد الحبيب وطلعة الرقيب وقدح اللّا بلا سقي كف المريض وأسوأ من جراح بلا علة ودواء بلا عسل ورؤية الموت عند التكاثر وقد ختم أعماله بالتكاثر فلان وخز في الأكباد وسقم في الأجساد (وصف) العباس بن الأحنف ثقيلا فقال والله ما الحمام مع الإصرار وكثرة الدين مع الإقتار وشدة السقم في الأسفار بأثقل من لقائه (أبو نواس) الحسن بن هانئ الحكمي يذم ثقيلا

ثقيل يطالعنا من أمم ۞ إذا سره رغم أنفي ألم
لطلعته وخزة في الفؤاد ۞ كوخز المشارط في المحجم
أقول له إذ أتى لا أتى ۞ ولا حملته إليّا القدم
فقدتك بالله لا من عمى ۞ وصوتك كالرعد لا من صمم

(وصف) بعضهم ثقيلا فقال لا أدري كيف لم تحمل الأمانة أرض حملته وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته كأنما قربه فقد الحبائب وسوء العواقب وكأنما وصله عدم الحياة وموت الفجاءة (شاعر)

يطول بقربك اليوم القصير ۞ ويرحل إن مررت بنا السرور
لقاؤك للمبكر فأل سوء ۞ ووجهك أربعاء لا تدور

(آخر) إذا ما بدى طالعاً كأنه ۞ حمة وغريم أو طلوع رقيب
وإن بات يهوى فاصطفاه كأنه ۞ كتاب عزول أو فراق حبيب

(آخر) وثقيل أشد من غصص المو ۞ ت ومن كيدة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا ۞ ن سواه عقوبة للجحيم

(وقال بعضهم) ان كان في مخالطة الناس خير فان تركهم أسلم (وقال) بعض الزهاد لرجل ان استطعت أن تكون بمكانك وبين الناس سور من حديد فافعل وان كان الانس في الجماعة فان السلامة في العزلة (وقال الشاعر)

ليس في الناس وفاء * لا ولا في الناس خير
قد بلوت الناس طرا * فكسير وعوير

(آخر)
كن لعمر البيت جلسا * وارض بالخلوة أنسا
واعزل الناس بأرض الزهد ما شئت [illegible]
ولكن بأسك دون الطمع الكاذب ترسا
لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا

(كتب) بعضهم الى صديق له أما بعد فاني أحمد الله الى الناس وأذم الناس اليه
(وقيل لبعضهم) ما تجد في الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم
(وقال الشاعر)

وقالوا الفناء الناس أنس وراحة * ولو كنت أدري الناس ما عشت مفردا

(وكتب) محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه من مدينة السلام وكان أخوه بخراسان يشكو الوحدة وفقد الأنس وبأنه بحضرة الجليس فكتب اليه جوابا

طب عن الأمة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
ما رأينا أحدا شا * وى على الخبرة فلسا

(آخر)
قد بلوت الناس طرا * لم أجد في الناس حرا
ما أحلى الناس في العين اذا ما ذقت مرا

(أبو حامد الغزالي رضي الله عنه)

لا تحزنن لوحدة وتفرد * ومن التفرد في زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم أخوة * الا التملق باللسان وباليد
فاذا كشفت ضميرما صدورهم * ألفيت ثم نقيع سم الأسود

(آخر)
اذا ما طلبت أخا صالحا * فهيهات منك الذي تطلب
فكن بانفرادك ذا همة * فباقي زمانك من يصحب

(آخر)
بلوت الأناس وأهل الزمان * وكل مصر على [illegible]
وأوحشني من عدوي الزمان * وآنسني بالله الواحد [illegible]

(آخر)
بلوت الناس من غرب وشرق * فلم أر من يدوم له صادق
فللخلوة [illegible] * [illegible] تطاول [illegible]
وفي الآداب للصابر [illegible] * وفضل الله [illegible]

✽الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول✽

✽الفصل الأول من هذا الباب✽

✽في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافي الأجناس✽

(قال الله تعالى) حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (وقال) عليه الصلاة والسلام أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم (وقيل) لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة فقال أنا جليس ربي إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت له وقال ذو النون المصري الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم قاطع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيه نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال الجنيد) للسري السقطي أوصني فقال لا تكثر مصاحبة الأشرار ولا تشتغل بالملاهي عن الأخيار (وفي) كتاب كليلة ودمنة ينبغي لذي المروءة أن يكون إما مع الملوك مبجلا أو مع النساك متبتلا كالفيل إما أن يكون مركبا لا أو في البرية مهملا (وقال) علي رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به (وقالوا) ما اشتغل أحد بالله إلا وافتقر الناس إليه (وقال) بعض الحكماء الأنس بالله من [illegible] قال الله إذا أحب عبدا أوحشه من خلقه (وقيل) من حقائق التوحيد حب الوحدة (وقال) الجنيد رضي الله تعالى عنه أطيب ساعاتي خلواتي وألذ طاعاتي في مناجاتي (ولله در من قال)

من حمد الناس ولم يبلهم ✽ ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنسا ✽ يوحشه الأقرب والأبعد

✽فيما يكون عونا للكريم على الانقطاع ذم ما الناس عليه من لؤم الطباع✽

(قال) سفيان الثوري للحسن البصري دلني على من أجلس إليه فقال تلك ضالة لا توجد (وقيل) لبعضهم ما الصديق فقال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (الناشئ)

سمعنا بالصديق ولا نراه ✽ على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه محالا نمقوه ✽ على وجه المجاز من الكلام

(وقيل) لبعضهم من أبعد الناس سفرا قال من كان في طلب صديق صدوق يكون عونا له على مهماته وعونا على ملماته ✽ سمع المأمون أبا العتاهية ينشد

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب ✽ يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب وقيل هذا البيت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته ✽ صفا لي ولا إن كنت طوع يديه

للمعاد (الثعالبي) إذا كان الصديق الحاذق بنعمة نادرا وتحت الأخلاء لا يكاد يرى فإنه بعد الله تعالى بمنزلة العنقاء (وقالوا) إذا أنس اللبيب بالوحدة دون الصاحب وبر نفسه بإكرامها عند بعد الأخ والصاحب وقرب بالأنس ونعلى بإيه المؤمنين وألزم نفسه الرياضة بالآداب وأعتق رقها من ألم العتاب فقد استراح وأراح ووقف في كل قطر المطار والمراح (وأنشد) لعلي بن عبد العزيز الجرجاني

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت في وحدتي لكتبي جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـ * ـم فلم أبتغي سواه أنيسا
إنما الذل في مخالطة النا * س فدعهم وعش كريما رئيسا

(وما أحسن قول بعضهم في المعنى)

إذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن * ومن عاقل طيب مخبر
ومن حكم من أديب بها * فوائد للناظر المفكر
فإن ضاق صدري بأسراره * وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤثرا ما حييت * عليه جليسا إلى المحشر

(ولآخر) وما طلبي شيئا بعيد وجوده * أخاف عليه الأسف نفسه
ولم تدع التجارب لي صديقا * أميل إليه إلا استفيده
أنست بوحدتي حتى لو أني * رأيت الأنس لاستوحشت منه

(أبو فراس) بمن يثق الإنسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحابه

(وهذا شيء من كلام الحكماء الأجلاء في التحذير من اتخاذ الأصدقاء والأخلاء) (قال) بعض الزهاد لو أن الله سامحني بما أعطاني مما أولوني وأنا كره الناس لبعد (وقالوا) استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (وقال آخر) ما في الناس إلا خادع أو كاذب أو أحمق (وقال) أقوال زداه كثار الناس وربما لا تشوى فيه فروا واسوكالأورق فيه (وقال سلمان) الناس أربعة أسد ونمر وثعلب وضأن فالأسد الملوك والنمر التجار والثعالب القراء وإنا نرى فيهم وراء أن القوي يأكل من يراه (شاعر)

الناس أخلاقهم شتى وإن جبلوا * على تشابه أرواح وأرواح

(وقال) بعض الحكماء احذروا الناس فإنك واستسلم بعد الإذن روه ولا تظهر سواد الاعقروه ولا تطلب مؤمن الأسر يوه (وقال) حال بن صفوان الناس أحد أو ثلاثة كالكلب لا تراه الدهر الأهرار أعلى الناس ومنهم كالهر تدرد فيه شمس به (وقال) عبد الحميد الكاتب الناس أصناف مختلفون وأطوار متبائنون فمنهم من علو

(آخر) ما أعجب الناس في فعلهم * إذ نيل طعمه وداسه نير
ترمى على الشخص حين دنوه * ويسقط العقل حين يحير

(وقال) بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم * فيقول علي رضي الله عنه أحسن بعده (وقال) المأمون لولا أن كلام علي فرع من كلام النبوة لعكسته وقلت أوله خير (وقال) وهب بن الورد صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقال لي عثرة ولا ستر لي عورة (وقال) علي رضي الله عنه إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز (شاعر)

أما الوفاء فشيء قد سمعت به * وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم في الدنيا أخا ثقة * فإنه بشر لا يعرف البشرا

(آخر) ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب * والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا * وقلوبهم محشوة بعقارب

(آخر) لك الخير فاعلم ليس في الناس منصف * وكل ودادهم بهم متكلف
وكل إذا قايسته فهو ناقص * لعهدك أو واعدته فهو مخلف
وأشباه هذا الدهر كالدهر لم يزل * يوثقهم إلا جهول مسوّف

(آخر) ذهب الوفاء فلا وفا * ء ولا صفاء ولا مروه
إلا التواصل باللسا * ن من الصدور بلا أخوّه

(عبد المحسن الصوري)

نزع الدهر ثقتي من النا * س ووفاء الإخاء ثق الصديق

(وقال) العزلة عن الناس توفر العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وتدفع مؤونة المكافأة في الحقوق (لما) وقع الاختلاف في المدينة خرج عروة بن الزبير إلى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض إخوانه فقال رأيت ألسنتهم لاغية وقلوبهم لاهية وأديانهم واهية فخشيت أن تلحقني معهم الداهية (شاعر)

الأمر عقل المرء كل وقت * ولي فيها الأمر عليه عذر
وكل أذى فصبري عليه * وليس على قرين السوء صبر

(آخر) وأفردني عن الإخوان علمي * بهم فبقيت مهجور النواحي
فكم ذم لهم في جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

(الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي * ألذ وأشهى من غوي أعاشره
وأجلس وحدي للعبادة آمنا * أقر لعيني من جليس أحاذره

(وقال) جعفر الصادق رضي الله عنه العزلة أسكن للفؤاد وأبعد من الفساد وأعود

بعث إلى عبد الله بن المبارك أن كان الفضيل بن موسى لا يجالس السلطان فاقرئه مني السلام (أبو الفتح البستي)

يا من يرى خدمة السلطان عدته ※ ما فيه من ذلك إلا الذل والندم

[illegible] والدين خائفة ※ وغيره [illegible] عرض والدين منه سلم

[illegible] إذا [illegible] أيام دولته ※ [illegible] منه الندم

(وقال) زياد بن أبي سفيان لجلسائه من أنعم الناس عيشا قالوا أمير المؤمنين فقال [illegible] فال وكيف [illegible] وأمور [illegible] ولهم [illegible] لو عنه قالوا فمن قالوا فأنت قال فكيف [illegible] ومداراة الناس فقالوا فمن إذا قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة تأوي إليها وخادم وكفاف من العيش لا نعرفه ولا يعرفنا فإنه إن عرفنا وعرفناه أفسد علينا آخرته ودنياه (شاعر)

وصاحب السلطان في [illegible] ※ في [illegible] الأمر وفي [illegible]

إن ساءه خاف على نفسه ※ أو سره [illegible] على دينه

(آخر) إن الملوك بلاء حيثما حلوا ※ فلا يكن لك في أكنافهم ظل

ماذا تريد بقوم إن هم غضبوا ※ جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا

فإن أتيتهم [illegible] ※ [illegible] الكل

فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ※ إن الوقوف على أبوابهم ذل

※ الفصل الثاني من الباب السادس عشر ※

※ في الحض على الاعتزال عن خدمة الملوك والجلال ※

فأهم ما [illegible] ولا [illegible] الإعراض عنها [illegible] على [illegible] في [illegible] (قال [illegible])

[illegible] ※ [illegible]

وما هو في [illegible] ※ وأول [illegible]

(آخر) إن الولاة [illegible] ※ [illegible]

[illegible] ما كان ذا أدب ※ [illegible]

(وروى) عن [illegible] الساعدي رضي الله تعالى عنه أنه قال أظلم الناس [illegible] الإثم فإنه إذا ارتفع [illegible] بالأشراف [illegible] ذوي الفضل (شاعر)

[illegible] ※ [illegible]

[illegible] ※ [illegible] السلطان [illegible]

(أبو بكر الخوارزمي)

مطية لاتباع ومنهم من غل مطية لاتقناع (وقال) جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر (وقال) بعض العلماء تلوث الناس طرا فلم أجد الا من يرى الحق باطلا والباطل حقا واللئيم مرفوعا والكريم ملقى والنصح غشا والغش نصحا والمدح هجاء والهجاء مدحا (العماني في مثل ذلك)

تساوى أهل دهرك في المساوي * فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الناس كلهم غثاء * فما يرجون للأمر الصحيح
وأضحى الجود عندهم عيوبا * فما يستحسنون سوى الشحيح
وكانوا يعصمون من الأهاجي * فصاروا يعصمون من المديح

(وقال حكيم) مصاحبة الناس خطر ومن صبر على صحبتهم فقد بالغ في المداراة فهو كراكب البحر ان سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق (شاعر)

تجنب قرين السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف في غير أهله * يجد وراء الخسر أوفى قراره

(ووصف) بعض العلماء أهل زمانه فقال أخطى الناس لديهم من أحسن اليهم فان قصر عنهم رفضوه وابغضوه ونبذوه ولم يعذروه ان قصروا داهنوا وان علوا سطوا يطوون على الاحن ولا يرثون لممتحن غنيهم شحيح وفقيرهم شحيح ان رأوا خيرا دفنوه وان ظفروا بسر أذاعوه الواثق منهم على غرر والمصاحب لهم على خطر فهم بين طاعن بالسن ومتقول كاذب وحسود مؤارب ان احتجت اليهم سكتوا وان افتقرت اليهم ربعوا وأنشد

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

(ولقد أحسن في التحذير من قال)

اياك أن تصطفي من ترى أحدا * ولا تثق بامرئ في حاله أبدا
من عاش منفردا لم يأته ندم * على انفراد ويلقى في الأنام عدا

وقد يكون حسانا للحسد الأول ومعادلا الحذر من صحبة السلطان وان كان عادلا (قال الأعشى) صحبة السلطان خطر ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه (وقال) ابن مسعود ان الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه منه شيء (وقال) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا (وقال) الفضيل ابن عياض رضي الله عنه كانوا يتعلمون اتقاء السلطان كما يتعلمون السورة من القرآن وقال أيضا لان يدنو الرجل الى جيفة منتنة خير له من أن يدنو الى ذي سلطان وقال أيضا ما أقبح بالعالم أن يقال أين هو فيقال هو في بيت الأمير (وكتب) أبو بكر بن

عياش

وكنت أخي أيام عودك يابس ❊ فلما اكتسى واحد مرضت مع الدهر
لعمرك لو دوهى ثمر الغنى ❊ أدو لما رضيت من ثمر الشكر
ولو بات مايعى بك اليوم أو غدا ❊ أتلف لك باري الى آخر الدهر
ألم تر أن المرء يرجى له الغنى ❊ وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

(آخر) ألم تر أن ذئاب الرجال ❊ اذا الدهر ساعدهم ساعدوا
وان خانه دهره أسلموه ❊ فلم يبق منهم له واحد
ولو علم الناس أن المريض ❊ يعود الى عزه عائد

(آخر) كم من صديق لنا الأيام دولتنا ❊ لما كان عند صفا ودنا صار يهوانا
لم يدر أنا ما ادعينا عنه الماربنا ❊ من كان يصحب من كان يهوانا
مال بلا طمع من كان يصحبنا ❊ الا لسعيه بما ع ا الد نا

(آخر) صا رملت من تسمى كثر ❊ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد اذا ما ❊ طوى عنك المودة عند ضيق

(آخر) أرى قوما وجوههم حسان ❊ اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم ❊ يقبح حسن وجوههم علينا
ومنهم من يمنع ما لديه ❊ ويمنعنا من ع ما لدينا
فان يك فعلهم سمجا وفعلي ❊ قبيحا مثله فقد استوينا

❊ومما يدل على صغر الهمة والنفس الملوك على الهيئة المصاحب بالأمس❊

(قال) بعضهم لان أبلى بألف سوء خلق أحب الي من ان أبلى بملوق (وقال آخر) اذا كان للشخص صدق فلا يمن له رفعة فيقدر ارتفاعه يكون انحطاط الشخص عنه ❊ ولا بلغ حال قول حبيب بن أوس الطائي

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا ❊ من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فانه بالرد في أنه بعد الخسة والدناءة ويترقى بما يدلهم بالرحمن وان كان من لم يذكر وفي عرق الحسد ويعادل اشاله في الزيارة بالملالة ويعد معرفة له بمركز لا يرى لهما فالفقد وقد مات وان دخل في دار الناس ازدراه ومن يعم به أكثره وقد قال ابو منصور بن اسمعيل الفرى

اذا ما رأيت امرأ في حال عزته ❊ نادى الصديق فما في وده دخل
فلا تظن له الا التي رضيا ❊ فانه بانتقال الحال ينتقل

وكأنه نظر الى قول بعض الملحظ لا يطلب الا مالك ربه هي أروع من ربه الي هو فيه أو بك فيها فانه يرمل عليه أنه في أحوال بلا دكون صديقك عند حاجته الملك ومعرفته عند ما انس هما أنه نملكه وعند قلة مالك الما بك ماجاتك الله (وقال) بعض

كفى حزناً أن لا صديق ولا أخ * يعد لدى الإملاق إلا له ذكر

فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره يسر

وما ذاك إلا رغبة في وصاله * وإلا فقد أرى أن نام به الفقر

(ولبعضهم يعاتب صديقاً ناله ولي منصب ولي)

ولما صرفت لك الليالي * وحكمك الزمان على بنيه

عدلت عن الوداد وكنت قدماً * لنا نتعهده ونرتضيه

(آخر) دعوت الله أن تعلو محلاً * علو البدر في أفق السماء

فلما أن علوت علوت عني * فكان إذاً على نفسي دعائي

(آخر) إن الولاية غيرت أصحابنا * فأزوا وجوههم عنا وتبدلوا

فاصبر على جور الليالي فيهم * واترك عتابهم إلى أن يعزلوا

(آخر) قل لعبد الله ذاك الذي * قد غره السلطان أطماعه

أضاع ودي وهو في عسره * حتى إذا نال الغنى باعه

(آخر) ورب ذي ثقة قد كان لي سكناً * وكنت منه مكان العين في الراس

ولى وأعرض عني إذ أفاد غنى * وبات منه سواء ناس وآساس

حتى إذا ما قضى من ماله وطراً * فما أحس من اللذات والكاس

غدا إلي بوجه صاحب طلق * وعاد فيه من بعد إفلاس

(آخر) ذا علمه ما وراء إطراقه * وحاسبه عهده ووفاقه

ولم أر إلا صديقاً به * نعرت لله لدى أخلاقه

(وقال) بعض الحكماء يرثي حاله ويشكو دهره لما مال عليه وانعكس الحال وقال يصف ما حل به من الحال

إن كنت ملك زماناً طال عزكم * عزك الأديم ومن يعدى من الزمن

وصاحباً لست مغبوطاً بصحبته * دهراً فما درى فرداً بلا سكن

هبت له ريح إقبال فطار بها * نحو السرور وألجاني إلى الحزن

نأى بجانبه عني وصيرني * مع الأسى ودواعي الشجن في قرن

وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهداً في السر والعلن

وكان غالي به حيناً فأرخصه * يا من رأى صفو ود بيع بالثمن

فليس في الأرض مغبون بصفقته * إن لم يكن ذاك مغبوناً إلى الغبن

كأنه كان مطوياً على إحن * ولم يكن من عيون الشر أشد في

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(وقال آخر) يعاتب صديقاً له تغير عليه عندما نظر الزمان بعين المقت إليه

والسلام (وكتب آخر)

قل للذي لست أدري من تلونه ❊ أناصح أم على غش يناجيني
إني لأكثر مما سمته عجبا ❊ يد تشج وأخرى منك تأسوني

(ولما) نكب علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحد من أصحابه وآله وإخوانه الذين كانوا ملازمين له في حال نعمته واشتغاله فلما ردت إليه الوزارة اجتمعوا إليه وعظموا أمره وجعل كل منهم يأخذ في الشكر والثناء والاعتذار إليه فحين رآهم كذلك أنشد

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ❊ فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ❊ عليه يوما بما لا يشتهي وثبوا
لا يحلمون على من [illegible] ❊ حتى يكون لهم شطر الذي حلبوا

(عادى) الزمان بعض الوزراء فطرده من المنصب فوجد من كان يبالغ في التعصب عليه ثم عاد إليه ما كان فيه من الأعمال فلا أمر أحد باله إلا وعرف بحاله فبادر بالاعتذار فأعطاه الذي وأعطاه المال بما يكفي ليقطع [illegible] قال قوله ويستغفره فأنشد يقول

عاداني الدهر نصف يوم ❊ فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني ❊ عودوا فقد عاد الزمان

❊ (ومن ذم الغيبة والأخوان الخائنين في الأخوان) ❊

(قال الله تعالى) ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ❊ وقال رجل لعبد الله بن عباس إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به السوء (وقالوا) الأخ الذي إذا نأت عنك داره [illegible] (وقالوا) إنما يعرف الناس الأمين إذا أتمن [illegible] (وقالوا) الأخ إذا غاب عنك وإذا [illegible] (وقالوا) [illegible] والصغار (وقال) من عدم [illegible] (وقال العتابي) [illegible] الأخوان من إذا [illegible] وإن [illegible]

(الشريف الرضي)

إذا أنت [illegible] ❊ فلولا [illegible] أصادق

(ابن المعتز)

[illegible] أخلاء هذا الزمان ❊ [illegible]
وكلهم [illegible] ❊ [illegible]

(وقال) [illegible] كل [illegible] لم يصن نفسه من الأدناس ❊ [illegible]

الأعراب يذكر رجلا فقال كان والله علمه صفرة ثمار الود في وجهه عند الملاقاة وأكثر مسألته وتودده المشرات وكانت تضرعها أيضا فأدرما كان يلقى ويرى مقبلا وأقل ما كان منشرا وصار في مودته كمثل الأفعى واحوته ماء وكتاقوى الحرباء (وقال بعضهم) الملوق إن ودك لشيء ملك عند انقضائه (وقال أبالك ومن مودته على قدر حاجته إليك فعند ذهاب الحاجة ذهاب المودة (وقال بعض الأعراب لولده يا بني لا تصحبن من إذا استغنيت عنه مال إلى غيرك (وقالوا إذا انقطع من صديقك رجاؤك فأكثره بعذولك (وما أحسن قول بعضهم)

إذا أنا الصديق عليك ضكرا * فدع زهدا على ذاك الصديق

وإن سلك العــرام به طريقا * فدعه وسر سوى ذاك الطريق

فإيجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(ولبشار بن برد)

إذا كان ذواقا أخوك من الهوى * موجهة في كل أوب ركائبه

فخل له وجه الفراق ولا تكن * مطية رحال كثير مذاهبه

(الكميت بن زيد) ولقد أحسن في الأنفة إذا تعطش ناديه سامح وأبان عن أنه في الكرم راسخ من أبيات يفخر

وما أنا بالمستكين إلا في ولا الذي * إذا صد عنه ذو المودة يقرب

ولكنه إن دام دمت وإن يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب

ألا إن خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(وقيل) لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما في حال الولاية فكثير ثم أنشد

الناس إخوان من دامت له نعم * والويل للمرء إن زلت به القدم

(آخر)

فوالله ما أدري لست أدري من الفتى * أأرجو ذوب أم أخشى عواقبه

فيا ليت شعري هل لي فيك مطمع * بخير وهل مستقيم مسالكه

فإن كنت لست أدري فعاذل * أأعقوه من ذا أم بالظن

ولست بذي عيش ولست بناصح * وإني من خوفي لسائلك واقف

فدعك لما بي شاهد لك مادح * فكان أن في حاله ذلك عارف

(كتب) بعضهم إلى صديق له يتلون عليه أما بعد فإنه عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الأمر فيك لأنا لا نأتي واثقا من غير حزامة أعقبني ذلك فأطمعني أولك في إخائك وآيسني آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأي في أمرك عن طلاء الشك فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف

إذا ما رأى وجهي فأهلا ومرحبا * ويرمي ورائي بالسهام الصوائب

(آخر) إذا سعد الناس الكرام رأيتهم * يطوون طيب الوصف في كل بلدة

(كثير عزة)

أنا في معشر إذا غبت عنهم * بدلوا كل ما يزينك شينا

وإذا ما رأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم الرجال علينا

(ولله در من قال)

شر السباع الضواري دونه وزر * والناس شرهم ما دونه وزر

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وما نرى بشرا لم يؤذه بشر

* وفي ابرع الوحدة في ابراده * حسد أهل العفو من وداده *

الحسد داء دوي وخلق ردي يدل على فساد الدين وقلة اليقين وما رأيت أحمق حاسد نفس هموم وألف غموم وطالما يرى مظلوم وأي حسد عند من هو أنب على العطاعة وحسد على العمل أهله وأمر بالاستعاذة بالله من شره وحض على الاحتراس من ضره (وقيل) لعبد الله بن عباس كيف لرجل العدو وبركت دونك قال وهل تبقى في الناس الأمن إذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت ثم أنشد

عين الحسود إليك الدهر ناظرة * تبدي المساوي والإحسان تخفيه

يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة * والقلب مضطغن فيه الذي فيه

(وقال) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كل الناس أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها * وقالوا الحسد داء يعمل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود نظم هذه الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا * إلا الحسود فإنه أعياني

لا أن لي ذنبا إليه علمته * إلا تظاهر نعمة الرحمن

يطوي على حنق حشاه إذا يرى * من حال مالي أو لقول لساني

ما إن أرى يرضيه إلا ذلتي * وذهاب أموالي وقطع لساني

(ونظمه آخر فقال)

قل للذي بات محسودا على نعم * دع الحسود فقد قطعته قطعا

لو كنت عالة ما عبته لما * عصيته كان أراك كما ما

(وقال) بعض الحكماء الحسد شؤم واعتقاده لؤم يقصي الأشباح وينفي الأرواح ويورث الأرق ويطيش الخلق ويكدر صفو رفاهية العيش ويستعجل ميراث السفاهة والطيش وإن الحسود حزين في حلة ظالم مظلوم في بردة ظالم

الناس على جنبه ملقاة فقال لأصحابه والله لأن يأكل أحدكم من هذه حتى يمتلئ به
خير له من أن يأكل لحم أخيه (وكان) أبو الطيب الطاهري يهجو بني ساسان فقال
له نصر بن أحمد إلى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد (وقيل) أوحى الله
إلى موسى عليه السلام من مات مصراً على الغيبة فهو أول من يدخل النار ومن
مات تائباً منها فهو آخر من يدخل الجنة (وقال) علي بن الحسين رضي الله عنهما إياك والغيبة
فإنها إدام كلاب الناس (اغتاب) رجل رجلاً عند مسلم بن قتيبة فقال له مسلم
تطلبت بمضغة طالما عافها الكرام ** ويحكى عنه أنه ذكر عنده رجل فتكلم فيه
بعض أهل المجلس فقال له مسلم هذا أوحشت أمر نفسك ومودتك ودللت على
عورتك ** وما أشد سمع من قال لا تذكر لسانك بطالة بعيوب أحد فإنك تزيدهم في
أعدائك (أضاف) إبراهيم بن أدهم أناساً فلما قعدوا للطعام أخذوا في الغيبة فقال
لهم إبراهيم إن من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكلتم اللحم قبل الخبز
(أبو تمام) ومع الله صار باعظم أكثر سمعه عن المغتاب سلم الملام

(الصاحب بن عباد)

احذر الغيبة فهي الـ ** ـفسق لا رخصة فيه
إنما المغتاب كالآ ** كل من لحم أخيه

(الوزير المغربي)

أي شيء يكون أقبح مرأى ** من صديق يكون ذا وجهين
من ورائي يكون مثل عدوي ** وإذا يلقني يقبل عيني

(ابن المعتز)

أخ لي يعطي الرفاق حضوره ** ويعطي بعض الرضا وهو نائي
إذا ما العيان سرّني منه ظاهر ** وإن غاب عني ساءني منه باطن
على عبد نفس عز أن يتساويا ** له عندي كفتا يدي الكأس

(ولبعضهم يهجو)

فمذ قلت لا أثني عليك بطائل ** وأذنيه عيباً الحسود يقول
وحسبك من لؤم وخبث طوية ** بأنك عن عيب الصديق سؤول

(آخر) فيا ضاحكي وداً إذا ما لقيته ** ويرشقني إن غبت عنه بأسهم
وكم من صديق وده بلسانه ** وفي قلبه إن غبت صاب وعلقم

(آخر) لي صاحب مثل المساوي دأبه ** تعويره معناها وضمنه لفظها
فكأنه ملك الشمال موكل ** أبداً بكتب السيئات وحفظها

(آخر) وما صاحبي عند الرخاء بصاحبي ** إذا لم يكن عند الأمور الصعائب

ولعل طاعونا يصيب علوجها ❊ ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال المرزباني صاحب الاتفاق ولم يكن الأيام ولا الليالي أمامهم جميع ما بين لهم (وأطرف من هذا) ما حكي أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا فقال أحدهم لاحد صاحبيه ما بلغ من حسدك قال ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرا قط لئلا أرى أثر ذلك عليه فقال له أنت رجل صالح أنا ما اشتهيت أن يفعل بأحد خيرا قط لئلا أسمع الأصابع بالشكر له فقال الثالث ما في الأرض خير منكما لكني ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرا قط قالا ولم قال لأني أحسده على ذلك فقالا له أنت ألأمنا جدا وأكثرنا حسدا (وقالوا) الحسود عدو مهين لا يدرك وتره إلا بالتمني وقال شاعر

إياك والحسد الذي هو آفة ❊ فتوقه وتوق غرة من حسد

إن الحسود وإن أراك توددا ❊ بالقول فهو لك العدو المجتهد

(وقال) علي رضي الله عنه لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله (وقيل) للعتابي في مرض أصابه ما تشتهي قال أكباد الحساد وأعين الوشاة وآذان الرقباء (وقال) بعضهم لولده إياك والحسد فإنه من علامات النفاق ولا يضر إلا بحاسدك (وكان) يقال الحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم (ذم أبو بكر الخوارزمي حاسدا فقال) وأما فلان فمعجون من طينة الحسد والمنافسة ومغروس في قالب الحسد والمنافسة يحسد من رزقه الله إياها ويحرم الناس ما فيه مباح ويحسد من دونه جاها وأنسا ويغار على الدرهم أن ينفق وعلى الدرهم أن يفتح وعلى الشمس من طلوعها عليه وعلى نسيم الهواء من وصوله إليه لو قدر لمنعها من الأمطار ولو أطاعته الأرض لمنعها من الإنبات والأشجار ولو سخرت له الأشجار لمنعها من الثمار ودين الأبرار كأن كل رزق يعطاه أحد من غيره ينقص من رزقه وكأن كل درهم ينفق من ماله ومال أطفاله على أن يحصل إليه ما بالهواء ... إلى العذاب والعناء ❊ وقال شاعر

لا مات حسادك بل خلدوا ❊ حتى يروا منك الذي يكمد

ولا خلاك الدهر من حاسد ❊ فإن خير الناس من يحسد

(أبو تمام)

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ❊ قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ❊ ومات أكثرنا غيظا بما يجد

(وله) وإذا أراد الله نشر فضيلة ❊ طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ❊ ما كان يعرف طيب عرف العود

(والمشهور)

معارض لله في مشيئته معترض عليه في قضيته يعيش مغموما ويموت مهموما
مدفوع في الدنيا إلى الكرب والتلف وممنوع في العقبى من القرب والزلف
لا يعمل شعلة النار في الحطب اليابس ما يعمله الحسد بحسد صاحبه وقيل
رأيته يشرب دمه ويأكل لحمه وينشر عظمه ويجعله مغرضا للكروب ومعرضا
إلى الذنوب فجدير بالإنسان أن يفر من الحسد فراره من الأسد (وقالوا)
أشد تأثيرك فيمن تحسده براءتك (وقال) بعض السلف إذا أراد الله أن يسلط
على عبده من لا يرحمه سلط عليه حاسدا يحسده (وقال أردشير) كل خلة رديئة
فهي دون الحسد لأن الحاسد يسعى في أخس الخصال ويتمنى الغوائل لمن أنعم عليه

(أبو الطيب المتنبي)

يرد لك الحساد ما الله دافع * وسمر العوالي والحديد المذرب
(وله) وأظلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب
(وله) سوى وجع الحساد داو فإنه * إذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة * وإن كنت تبديها له وتنيل

(وقال ابن المعتز) الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وبخيل بما لا يملكه وطالب
ما لا يجده (وقال حكيم) الحسد يبدي نقص الحاسد ويدل على كمال المحسود * وما
أحسن قول المعافى بن زكريا النهرواني

ألا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله * لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عنه بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب

(أبو فراس)

إن ساد الحساد أحرا بهم * وأكثر ما طولبت أرواه بالحسد
ولم أر مثل اليوم أكثر حاسدا * كأن قلوب الناس لي قلب واحد

(وقالوا) لا ينال من الحسود جزاءه حتى يعض من الحسود أحشا (وقالوا)
بحسب الحسود ما يلقى من ضر غمه في حزنه لسرور صاحب النعمة (وقالوا) من
عادات الأغبياء معاداة الأغنياء (وقال) عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له
ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول
الله تعالى في بعض الكتب المنزلة الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض
بقسمتي ولم أسمع بحاسد من حسد بعض في دولة وقدر تولد بلوم الأوساط ورعا

وزرعاه الزارعون وليس لي زرع بها * وإن الحالوني وليس لي ما أحالب
ولعل ذلك الزرع يؤذي أهله * ولعل ذلك الشاء يوما تجرب

فابعث دارى واعتامت جوارى (أنشدنى) أفضل الافاضل وأمثل الاماثل سليل ذوى العلم والحلم والبيان والقلم انسان عين الاعيان وزين أرباب البيان الامير ناصر الدين محمد بن عرفات المعروف بابن الكاتب لنفسه رحمه الله

لى جار شقيت به * أكثر أوصاف المعايب
حسبه الكبر بقربه * وعشاوات الاقارب
لم يكن لم يعتد * لم يكن عون النوائب

الفصل الثالث من الباب السادس عشر
فيما يختم به الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

(قال الله تعالى) قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم * وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * وقال تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة * وقال عليه الصلاة والسلام استقبلوا أمواج البلاء بالدعاء * وقال عليه الصلاة والسلام ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء (ولما كان) الدعاء فى الغاية مثله ... المشابه استحسنت وضع كتابى أن يختم به كتابى هذا الذى ... عفو الله تعالى واقتبست من الادعية التى ... أهل الاجابة ... العباد ... الاجابة ... عن المطول ... ليسهل على الراغب فيها أن ... بعدها وأشرف الاوقات التى ... الدعوات أوقات ... الله لاداء ما افترض من الصلوات فاذا أراد امرؤ ... مع ... ولو ... لله الاستكانة والخضوع ... وعرف المقبول ... وليقل اللهم ... بركاتك والعصمة من كل ... والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار (اللهم) لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا عيبا الا سترته ولا همّا الا فرجته ولا سقما الا شفيته ولا دينا الا قضيته ولا حوائج الدنيا والآخرة ... ولا ... من حوائج الدنيا والآخرة ... برحمتك يا أرحم الراحمين (اللهم) انى أعوذ بك من ... الدنيا والآخرة ومن ... ومن أمل ... العمل وأسألك ... والسلامة ... دار المقامة (اللهم) لا تحرمنى ... ووسع ... وشمول ... عطائك ... ولا ... وجهك الكريم ... (اللهم) لا ... وأنا أدعوك ولا ... وأنا أرجوك (اللهم) انك ... ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم ان كنت ... عندك فى أم

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسداً وبغياً إنه لدميم

(ابن المعتز)

ومن عجب الأيام بغي معاشر * غضاب على سبقي إذا أنا جاريت
يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم * كأني قسمت الحظوظ فأحظيت

(آخر) إني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من كان يوماً غير محسود
لا يحسد المرء إلا من فضائله * بالعلم والحلم أو بالفضل والجود

﴿ومما يؤمر الكريم باجتنابه جار سوء ملاصق لجنابه﴾

(عن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله من جار سوء في دار مقامه فإن البادي يتحول (وكان) عمر رضي الله عنه يقول ثلاث كلهن فواقر جار مقيم إن أحسنت إليه كفره ولم يشكرها وإن سمع كلمة لم يغفرها وجار إن رأى حسنة أخفاها وإن عثر على سيئة أفشاها وامرأة إن أقمت عندها آذتك وإن غبت عنها خانتك (وكان يقال) من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامه بائس لك من المفارقة لا ينجع فيه عتب ولا يرعوي للائمة ومن دعاء الأعمش اللهم إني أعوذ بك من جار تراني عيناه ويرعاني أذناه إن رأى خيراً دفنه وإن سمع شراً أعلنه (وقال) لقمان لابنه يا بني حملت الحجارة والحديد فلم أر أثقل من جار سوء في دار مقامة وشاعر وقد عرض داره للبيع كراهة في جاره

ألا من يشتري داراً برخص * كراهة بعض جيرتها تباع

(ولآخر)

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما * بجيرانها تغلو الديار وترخص

(وقال) رجل لسعيد بن العاص والله إني لأحبك قال ولم لا تحبني ولست لي بجار ولا ابن عم (ويقال) في التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه أقاربه وجيرانه (وقالوا) ألأم الناس من لا تسعد به جيرانه ولا يسلم منه إخوانه (ابن معروض) أبو مسلم الخراساني فرساً أهدي له فقال لأصحابه لم يصلح هذا فكل قال شيئاً فمنهم قال يصلح لأن يسبق به الغار ويحمله الوتر والثار وآخر يقول يصلح لمبارزة الأقران ومواصلة الأبطال وآخر يقول يصان عن أن ينال بالأحداق ليوم يحرز به قصب السباق فقال أبو مسلم كلكم أخطأت استه الحفرة وزاغ بقدمه عن الإتقان والخبرة فقالوا وما يصلح أيها الأمير فقال لمن يركبه في الهرب والفرار من جار سوء يهدم عيشاً كمله السكون والقرار (وقيل) لأبي الأسود الدؤلي لم بعت دارك فقال

واقض لي فيها بالحسنى وآمني مكرك ولا تهتك عني سترك ولا تنسني ذكرك (اللهم)
صل وسلم على سيدنا محمد وآله وافتح مسامع قلبي لذكرك حتى أعي وحيك واتبع
كتابك وأصدق رسلك وأومن بوعدك وأخاف وعيدك وأوفي بعهدك وآخذ بأمرك
ولا احترق على نهيك (اللهم) اني أستودعك نفسي وديني ومالي وأهلي وكل نعمة
أنعمت بها علي فاجعلني اللهم في كنفك وأمنك وكلاءتك وحفظك
ورعايتك وودايعك يا من لا يضيع ودائعه ولا يخيب سائله ولا ينفد ما عنده (اللهم)
اني أدرأ بك في نحور أعدائي وكيد من كادني وبغى علي (اللهم) اني اسألك رحمة من
عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها لي أمري وتلم بها شعثي وتحفظ بها غائبي وتصلح
بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء (اللهم)
وما قصرت عنه مسألتي ولم تبلغه أمنيتي من خير وعدته أحداً من خلقك فاني
ارغب اليك فيه (اللهم) يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين
أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية (اللهم) اني اسألك حسن
الظن بك والصدق في التوكل عليك وأعوذ بك أن تبتليني ببلية تحملني ضرورتها
على التعرض بمعاصيك واعوذ بك ان اقول قولاً في طاعتك ألتمس به سواك
وأعوذ بك أن تجعلني عبرة لغيري وأعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما آتيتني مني وأعوذ
بك أن أتكلف طلب ما لم تقسم لي وما قسمت لي من قسم أو رزقتني من رزق فأتني به
في يسر وعافية حلالاً طيباً وأعوذ بك من كل شيء يزحزحني عن بابك ويباعدني
من رحمتك أو ينقص حظي عندك أو يصرف وجهك الكريم عني (اللهم) دعاك
الداعون ودعوتك وسألك السائلون وسألتك وطلبك الطالبون وطلبتك (اللهم)
أنت الثقة والرجاء واليك منتهى الرغبة والدعاء والشدة والرخاء (اللهم) وصل وسلم
على سيدنا محمد وآله واجعل اليقين في قلبي والنور في بصري والنصيحة في صدري
وذكرك على لساني (اللهم) أنت الحافظ والدافع والواقي المانع من كل شر
أسألك الرغبة في نفسي فيما أدرك به لي طاعتك وأبلغ به رضوانك وأنتهي به
الى دار السلام غداً (اللهم) لا تردني برد قطيعة ولا تبتلني بفقر ينسيني
وأعطني في الآخرة حظاً وافراً وفي الدنيا معاشاً واسعاً (اللهم) المساجد بيوتك
وما عندك عظمت رغبتي فافضل علي وارحم ضعفي وقوتي واغفر خطاياي
واجعل لي في كل خير نصيباً والى كل بر سبيلاً (اللهم) اجعل كل ما لدي
يوفي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني أسباب طاعتك وامنحني
من أسباب معصيتك وجنبني وإياها (اللهم) أنت متعالي الشأن عظيم الجبروت
شديد المحال ذو الكبرياء قادر قاهر قريب الرحمة سابغ النعمة وصادق الوعد

الكتاب شقيا أو محروما أو مقترا علي في الرزق فامح من أم الكتاب شقاوتي وحرماني وإقتار رزقي
وأثبتني عندك سعيدا مرزوقا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب
(اللهم) هذا مقام الأذل بك العائذ بك من النار يا فارج الهم يا كاشف الغم
يا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغنيني بها عن
سواك (اللهم) إني أدعوك بما دعاك به عبدك ذو النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن
لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
فاستجبت له ونجيته من ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فإنه
دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك
أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تستجيب لي كما استجبت له وأدعوك
بما دعاك به عبدك أيوب إذ قال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له
وكشفت ما به من ضر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فإنه دعاك وهو
عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلي على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تفرج عني كما فرجت عنه وأن تستجيب لي كما
استجبت له إنك سميع الدعاء (اللهم) إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب
لا يخشع وعلم لا ينفع ودعاء لا يسمع وعين لا تدمع وصلاة لا ترفع (اللهم) إني أسألك في
صلاتي ودعائي بركة تطهر بها قلبي وتؤمن بها روعتي وتكشف بها كربي وتغفر بها
ذنبي وتصلح بها أمري وتغني بها فقري وتذهب بها ضري وتفرج بها همي وتسلي بها
غمي وتشفي بها سقمي وتقضي بها ديني وتجلو بها حزني وتجمع بها شملي وتبيض بها
وجهي واجعل ما عندك خيرا لي (اللهم) أصبح ظلمي مستجيرا بعفوك وذنبي مستجيرا
بمغفرتك وخوفي مستجيرا بأمنك وفقري مستجيرا بغناك وضعفي مستجيرا بقوتك وذلي
مستجيرا بعزك ووجهي الفاني البالي مستجيرا بوجهك الدائم الباقي (اللهم) مقلب
القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب (اللهم) صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلني في
حفظك وكلاءتك وودائعك التي لا تضيع واحفظني من كل سوء ومن شر كل ذي
شر واحرسني من شر الشيطان الرجيم والسلطان اللئيم إنك أشد بأسا وأشد تنكيلا
(اللهم) إن كنت مقلا بأعمالي فأملي أوثق من نقمتك على أهل معصيتك ساعات
وهم يأتون أو هم يلهون فصل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلني
وأهلي في كنفك ومنعك وحرزك (اللهم) إن هذين الليل والنهار خلقان من خلقك
فاعصمني فيهما بحولك وقوتك ولا ترهما مني جراءة على معصيتك ولا ركوبا لمحارمك
واجعل عملي فيهما مقبولا وسعيي مشكورا وسهل لي ما أخاف عسره ويسر علي أمره

لعهد صحب المصطفى بأن الذنوب محص لما سلف مدرك ما طلبت شكوران
شكرت ذاكرا إن ذكرت أسألك بالمعنى شفاها وأرغب إليك فقرا وألحّ إليك
بائسا وأرجوك ناصرا اللهم صمدت فلا تولني اللهم شملتني مرفأ على نفسي فقرا
أسوء على (اللهم) جعلتني وأمرتني ونهيتني ورغبتني في ثواب ما به أمرتني ورهبتني
عقاب ما عنه نهيتني وجعلت لي عدوا يكيدني وسلطته علي فأسكنته صدري
وأجريته مجرى الدم مني لا يغفل إن غفلت ولا ينسى إن نسيت يؤمنني عقابك
ويخوفني بغيرك إن هممت بفاحشة شجعني وإن أردت صالحا ثبطني يتعرض لي
بمسائل الشهوات إن وعدني كذبني وإن منيته قنطني وإن لم تصرف عني كيده
يستزلني وإن لم تفلتني من حبائله يصدني وإن لم تعصمني منه يفتني اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واقهر سلطانه عني بسلطانك عليه فأكون مع
المعصومين منه (اللهم) لا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما
أعطيت ولا معطي لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا مقدم
لما أخرت ولا مؤخر لما قدمت (اللهم) أنت العليم فلا تجهل وأنت الحليم فلا تعجل
وأنت الكريم فلا تبخل وأنت العزيز فلا تذل وأنت المنيع فلا ترام وأنت المجير
فلا تضام اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني
أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وبالإجابة جدير لا إله إلا أنت

﴿قال المقيد﴾ لسوابغ فوائد أمداد كرم الإمداد والمؤلف من عرائسها دون الأشباه
والأنداد وعقد ما تم كتابته وقرعنا سمعه بعد الصرار وكاد يشاهد صبحه يعلو
بالمصادر دون الآثار وتفجرت من خلال سطوره ينابيع الحكم وهم عمالها أن
يفوقهم بالكلم ويرتب ألفاظه على معان كأحسن ما ينشق عنه الكمائم
وبانت نفثات بدائعه لصرف لواعج الهموم مقام الرقى والتمائم نعاملها بوعد إياه
عند انتهائه بأن أطلعه باهر العقول أولياته وأعلاه فاستخرت الله تعالى الكريم
وأمسكت من عنان القلم في مضمار الإطناب وقصرت خطوه لعلمي أن الساحة
معروفة بالأكدار والأسباب وجلوته في حلل معربة وقلائده وأهدار المناسب
من وعاه ما دام صحائفه أكما يستدل بها المهتدي عن سواء الطريق ويدرأ بها
شهاب من يرى أن يسعده زمام التوفيق فهو يتصرف به على حكم اختياره ومراده
ويبلغ غاية أمله بجهاد نفسه واجتهاده وإلى الله افتقر من الحول والقوة وأسأله أن
يزحزحني عن الوقوع في هذه الهوة وأن يجعل هذا الكتاب للمؤمنين نخبة
يروق ويجريه بالحكمة مجرى الماء في العروق وأن يشفع بحل وصفها
وتذوق المؤمن راحة قربها ولذاعية سمع نخبة آمين